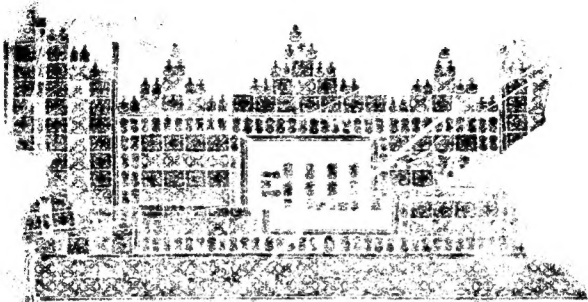


A0236



آبشار شالیزاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في تصور في العالم انواراً في وهو سبحانه يمشي في اموره وعالمه في انوار الوصفه
بصفاته واما في انوار صفاته واقسامه يعني الصفات فليس فيها من عظمي
انه قاله اما على انوار خفيه وهو القاسم كقولنا على نور من انوار الارض انه خلق
واما على جهة طيفه كقولنا على نور بل لئلا يذهب غايته من انوار هذا القسم
فغير انه يمتد في القسم ذاته ويكون في انوار غير ودمر في انوار القسم والمقسم عليه
يراد القسم او كونه في انواره ان يكون في انوار في انوار الا انوار في انوار
ان انوار على انوار انما الا نور الظاهر في انوار كاسم في انوار والظاهر

[illegible]

فصل واقدوم بسم الله الرحمن الرحيم
 ١٠٠ فصل في بيان ما يجب من العلم
 ١٠١ فصل في بيان ما يجب من العمل
 ١٠٢ فصل في بيان ما يجب من الاعتقاد
 ١٠٣ فصل في بيان ما يجب من النية
 ١٠٤ فصل في بيان ما يجب من القول
 ١٠٥ فصل في بيان ما يجب من الفعل
 ١٠٦ فصل في بيان ما يجب من السر
 ١٠٧ فصل في بيان ما يجب من العلانية
 ١٠٨ فصل في بيان ما يجب من الخفية
 ١٠٩ فصل في بيان ما يجب من الظاهر
 ١١٠ فصل في بيان ما يجب من الباطن
 ١١١ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن
 ١١٢ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن
 ١١٣ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن والظاهر والباطن
 ١١٤ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن والظاهر والباطن
 ١١٥ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن والظاهر والباطن

١٠١ فصل في بيان ما يجب من العلم
 ١٠٢ فصل في بيان ما يجب من العمل
 ١٠٣ فصل في بيان ما يجب من الاعتقاد
 ١٠٤ فصل في بيان ما يجب من النية
 ١٠٥ فصل في بيان ما يجب من القول
 ١٠٦ فصل في بيان ما يجب من الفعل
 ١٠٧ فصل في بيان ما يجب من السر
 ١٠٨ فصل في بيان ما يجب من العلانية
 ١٠٩ فصل في بيان ما يجب من الخفية
 ١١٠ فصل في بيان ما يجب من الظاهر
 ١١١ فصل في بيان ما يجب من الباطن
 ١١٢ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن
 ١١٣ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن
 ١١٤ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن والظاهر والباطن
 ١١٥ فصل في بيان ما يجب من الظاهر والباطن والظاهر والباطن والظاهر والباطن

في الدنيا اذ يرون العذاب في الآخرة واجلو اب محذوف ثم قال ان القوة لله جبريت كما قال تعالى
ولو ترى اذ هم يقولون فلان هذا الذي وعى الدين كفروا الملائكة اى لو ترى ذلك الوقت
وما فيه واما القسم فان الملائكة قد يعلب على الشئ ثم يكره انقسم فلا يريد لتسم عليه لانه قد
عرف ما يحلف عليه فيقول ول والله ان لى عليه الف درهم ثم يقول ورب السموات
والارض والذي نفسى بيده وحقق القرآن العظيم ولا يريد القسم عليه لانه قد عرف
المراد والقسم اما ان يكثر في الكلام اختصر مصار عمل القسم يحذف ويكتفى بالبهاء
ثم هو من الياه الواو وفي الاسماء الظاهرة وباناء في اسماء الله كقوله وتالله لا كيدن
اصنامكم وقد نقل توب المكة واما الواو فكثيرة

في اصله اذا عرف هذا فهو سبحانه يقسم على اصول الايمان التي يجب على الخلق
معها نارة يقسم على التوحيد ونارة يقسم على ان القرآن حق ونارة على ان الرسول
حق ونارة على الجزاء والوعد والوعيد ونارة على حال الانسان فالاول كقوله والصفات
صفا الى قوله ان الحكم لوحد والثاني كقوله فلا اقسم بواقع انجوم الى قوله كرم
وقوله حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة وانا جعلناه قرآنا عربيا اذا جعل
ذلك جواب القسم كما هو الظاهر وان قل بل الجواب محذوف كان كقوله ص والقرآن الذي
لذكر فيه حاشا حذف الجواب ومن قال ان الجواب هو قوله ان ذلك الحق نؤمن اهل النار
وقد ابعد النجعة والقسم على الرسول كقوله يس والقرآن الحكيم انك من المرسلين على صراط
مستقيم اذ قيل هو الجواب وار قيل الجواب محذوف كان كما ذكر ومنه ن والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون واركع لا جبرا غير مجنون ومنه والنجم اذا هوى ما مثل صاحبكم
وما هوى وما ينطق عن الهوى هو الى آخر القصة ومنه قوله فلا اقسم بما تبصرون
وما لا تبصرون انه لقول رسول كرم وما هو يقول شاعر قليلا ما تؤمنون الى قوله ذي قوة
عند ذي العرش مبين واما القسم على الجزاء والوعد والوعيد في مثل قوله والذاريات ذروا
الى قوله انما اوعدون لصادق وان الدين لواقع ثم ذكر تفصيل الجراء وذكر الجسمة والمار
وذكر ارفى السماء رزقهم وما يوعدون ثم قال فو رب السماء والارض انهم لخلق مثل ما تأنكهم
تطلقون ومثله قوله والمرسلات عرفا الى قوله نعم اوعدون لو وقع ومن والطود وكتاب
تسطور الى قوله ماله من دافع وقد امرت به ان يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات
فقال تعالى زعم الذين كفروا الى قوله لتعذب وقال تعالى وقال الذين كفروا لانا نرى الساعة
قل بل وربي لتأتينكم وقال تعالى ويستنبئونك احق هو قل اى وربي انه لخلق وما أنتم بمحجزين
وهذا لان المعاد انما يعلمه عامة الناس بأخبار الانبياء وان كان من الناس من قد يعلمه بالظن
وقد تنازع الظاهر في ذلك فقالت طائفة لا يمكن علمه الا بالسمع وهو الخبر وهو قول من لا يرى
تعليق الاموال ويقولون لا تدري ما يفعل الله بالعبادة أو خبر كما بهوله جهه ومن اتبعوا الاشرى
واتباعه ويثير من أهل الكلام في العقول والحديث من اتباع لائمة الاربعة بخلاف اعلمنا تصفع فان
الناس متفقون على انه لا يعلم بالعقل ان كان ذلك معناه نيت لرسول عليه وصفاته فتعلم العقل
وتعلم بالسمع ايضا كما قد بسط في موضع آخر واما القسم على احوال الانسان فكقوله

واقبل اذ يقضى والنهار اذا تجلى الى قوله ان سعيكم لشيء الآية ولفظ السعي هو العمل
 لكن يراد به العمل الذي يعم به صاحبه ويمتد فيه بحسب الامكان فان كان يفتقر
 الى عدو بدنه عدوا وان كان يفتقر الى جمع عدوانه جمع وان كان يفتقر الى تفرغه وترك
 غيره فعل ذلك فلفظ السعي في القرآن جاء بهذا الاعتبار ليس هو مرادنا فلفظنا طاعة
 بل هو عمل مخصوص يعم به صاحبه ويمتد فيه ولهذا قال في الجملة فامضوا الى ذكر الله وهذه
 احسن من قراءة من قرأ فامضوا الى ذكر الله وقد ثبت في الصحيح من النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال اذا اقيمت الصلاة فلانأقوا تسمونها أتوها تمشون وعليكم بالسكينة فما أدركتم
 فصلوا وما فاتكم فأقوا فليته من السعي الى الصلاة فان الله أمر بالسعي اليها بل نهاهم أن
 يأتوا اليها يسعون فنهاهم عن الاتيان المتصرف بسعي صاحبه والاتيان فعل البدن وسعيه عدو
 البدن وهو منتهى عنه وأما السعي المأمور به في الآية فهو الذهاب اليها على وجه الاهتمام
 بها والتفرغ لها عن الاعمال الشاغلة من بيع وغيره والاقبال بالقلب على السعي اليها وكذلك
 قوله في قصة فرعون لما قاله موسى هل لك لي أن تزكني الى قوله ثم أدير سعي ففسد فنادى
 هذا اهتمام واجتهاد في حشر رعيته ومناداه فيهم وكذلك قوله واذنولي سعي في الارض
 ليفسد فيها هو عمل بهمة واجتهاد ومنه سعى الساعي على الصدقة والساعي على الازمنة
 والقيم ومنه قوله ان سعيكم لشيء وهو العمل الذي يقصده صاحبه ويمتنع به ليرتب عليه
 ثواب أو عقاب بخلاف المباحات المعتادة فانها لم تدخل في هذا السعي قال تعالى فامضوا فاعلموا
 واتقوا وصدق بالحق ففسد سعيه وأما من يغفل وامتنع وكذب بالحق ففسد سعيه
 له سعي ومنه قوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا

❖ مصلح وأقسم على صفة الانسان بقوله والسادات ضحا الى قوله ان الانسان
 لربه لكونه وأقسم على طائفة وهو قسم على الجزاء في قوله والصر الى قوله وتواصوا
 بالصبر وفي قوله والتين والزيتون وطور سيناء الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
 ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحذف جواب القسم لانه قد علم
 بأنه يقسم على هذه الامور وهي متلازمة فحق ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد
 ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد
 حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق
 الكتاب الذي جاء به والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم القسم به وانه لما
 يحلف به كقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليحلف ولكن هذا
 يذكر منه العمل دون مجرد حرف القسم كقوله فلان يحلف بالله وحده وأنا أحلف
 بالخالق لا بالخلق ونحو ذلك والصراني يحلف بالصليب والمسيح ولان أكذب ما يكون
 اذا حلف بالله وقد يكون هذا النوع يحرف القسم مجردا كما في الحديث كانت أكثرين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لاومقلب القلوب وكان يمين السلف اذا اجتهد في يمينه قال والله
 الذي لا اله الا هو وتارة يحذف الجواب وهو مراد اما لكونه قد ظهر وحرفا مبدالة الحال

كن قبل له كل فقل لا والله الذي لا اله الا هو اوبدلالة السباق واكثر ما يكون هذا اذا كان
 في نفس المقسم به ما يدل على القسم عليه وهي طريقة القرآن فان المقصود يحصل بذلك القسم
 به فيكون حذف القسم عليه ابلغ وأوجز كن اراد أن يقسم على أن الرسول حق فقال
 والذي أرسل محمد اليه دى ودين الحق وابده بالآيات البينات وأظهر دعوته وأمل كلمته
 ونحو ذلك فلا يحتاج الى ذكر الجواب استغناء عنه بما في القسم من الدلالة عليه كن
 اراد أن يقسم على التوحيد وصفات الرب ونفوس جلاله ففقال والله الذي لا اله
 الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الاول الآخر الظاهر الباطن وكن اراد أن يقسم على
 علوه فوق عرشه فقال والذي استوى على عرشه فوق سمواته يصعد اليه الكلم الطيب وترفع اليه
 الابدى وتخرج الملائكة والروح اليه ونحو ذلك وكذلك من حلف لشخص انه يعبد ويعظمه
 فقال والذي ملا قلبي من محبتك واجلالت وهمايتك ونظارتك لم يخرج الى جواب القسم
 وكان في القسم به ما يدل على القسم عليه فن هذا قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر فان
 في القسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذى الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون
 اليه ولشرف والقدرة ما يدل على القسم عليه وكونه حقاً عند الله غير منقضى كما بقوله الكافرون
 وهذا معنى قول كثير من المفسرين متقدمين ومتأخرين ان الجواب محذوف تقديره ان القرآن
 الحق وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك واما قول بعضهم ان الجواب قوله تعالى كم اهلكنا
 من قبلهم من قرن فاعترض بين القسم وجوابه بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فبعد
 لان كم لا يتلحق بها القسم ولا تقول والله كم انتفعت ما لا يوافقكم اعتقت عبداً وهو لا ملائم بحذف
 عليهم ذلك احتاجوا ان يقدر واما يتلحق بها الجواب اى لكم اهلكنا وابعد من هذا قول
 من قال الجواب في قوله ان كل الاكاذب لرسول وابعد منه قول من قال الجواب ان هذا لرسولنا
 ماله من نفاد وابعد منه قول من قال الجواب قوله ان ذلك لخلق فخرصهم اهل النار واقرب
 ما قبل في الجواب لفظاً وان كان بعيداً معنى ما ذكره من قتادة وغيره ان في قوله بل الذين كفروا
 كما قال ق والقرآن المجيد بل يجبروا ان جاءهم منذر منهم وشرح صاحب الظم هذا القول
 فقال معنى بل تأكيد الخبر الذى بعد فصار كان الشديدة في تثبيت ما بعدها قبل ههنا مجزلة
 ان لانه يؤكد ما بعدها من الخبر وان كان له معنى سواه في نفي خبر مقدم فكانه عز وجل قال
 ص والقرآن ذى الذكر ان الذين كفروا في عزة وشقاق كما تقول والله ان زيدا لقاسم قالوا اخبر
 صاحب هذا القول بأن هذا الظم وان لم يكن للعربية فيه أصل ولا لها فيه رسم فحصل أن
 يكون لفظاً أحسنه الله عز وجل لما بينا من احتمال بل بمعنى ان انتهى وقال أبو القاسم الزجاجي
 قال الصوريون ان بل تقع في جواب القسم كما تقع ان لان المراد بها تأكيد الخبر وهذا القول
 اختيار أبى حاتم وحكام الأعمش عن الكوفيين وقرره بعضهم بأن قال أصل الكلام بل الذين
 كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذى الذكر فلما قدم القسم ترك على حاله قال الأخفش وهذا
 بقوله الكوفيون وليس يحيد في العربية لو قلت والله قام وانت تريد قام والله لم يحسن وقال
 الفساس هذا خطأ على مذهب الصوريين لانه اذا ابتداء القسم وكان الكلام حمداً عليه
 لم يكن يدمن الجواب وأجمعوا انه لا يجوز والله قام عمرو بمعنى قام عمرو والله لان الكلام

يعتمد على القسم وذكر الاخفش وجها آخر في جواب القسم فقال يجوز ان يكون لصناد معنى يقع عليه القسم لا تدري نحن ما هو كأنه يقول الحق والله قال أبو الحسن الواحدى وهذا الذى قاله الاخفش صحيح المعنى على قول من يقول من الصادق الله أو صدق محمد وذكر الفراء هذا الوجه أيضا فقال من جواب القسم وقال هو كقولك وجب والله وتركك والله فى جواب لقوله والقرآن وذكر النحاس وغيره وجها آخر فى الجواب وهو انه محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر فالامر كما يقوله هؤلاء الكفار ودل على المحذوف قوله تعالى بل الذين كفروا وهذا اختيار بن جرير وهو مخرج من قول قتادة وشرحه الجرجاني فى قوله بل رافع خبر قبله وثبت خبر بعده فقد ظهر ما بعده وظهر ما قبله وما بعده دليل على ما قبله فظاهر يدل على الباطل فإذا كان كذلك وجب أن يكون قوله بل الذين كفروا فى عزق شفاق مخالفا لهذا الضمير فكأنه قيل والقرآن ذى الذكر ان الذين كفروا بزعم أنهم على الحق أو كل ما فى هذا المعنى فهذه ستة أوجه سوى ما بدت فيه فى جواب القسم والله أعلم وتظهر هذا قوله تعالى والقرآن المجيد بل يحبوا وقبل جواب القسم قد علمنا وقال الفراء محذوف دل عليه قوله لا ذمتنا أى لم نعتن وقيل هو بل يحبوا كما تقدم به

فصل ل ومن ذلك قوله لا أقسم يوم القيمة ولا قسم بالنفس أو أمانة فقد تضمن هذا الاقسام ثبوت الجزاء ومضيق الجزاء وذلك يتضمن اثبات الرسالة والقرآن والهادى وهو سبحانه يقسم على هذه الامور الثلاثة ويقررهما يبلغ لتقرير حاجة النفوس الى امر قسمهما والايان بها وامر رسول الله ان يقسم عليهما كما قال تعالى ويستبينونك احق هو قل انى وربى انه الحق وقال تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى ثم لتبينن سبحانه وذاك على الله بسير فهذه ثلاثة مواضع لاربع لها بأمر الله ان يقسم على ما انقسم عليه هو سبحانه من النبوة والقرآن والمعاد فانقسم سبحانه لمعباده وامر اصدق خلفه ان يقسم لهم واقام السرايين القطعية على ثبوت ما تقدم عليه فى الضالمون الاجمودا وتكذيبا واختلف فى النفس المقسم بها ههنا هل هى خاصة أو أمانة على قولين بناء على الاقوال الثلاثة فى الوامة فقال ابن عباس كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة يلوم المحسن نفسه ان لا يكون ازدا احسانا ويلوم المسى نفسه ان لا يكون رجوعا عن اساءته واختاره الفراء قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت خيرا وان سكك انت عملت سوء قالت يا ليتنى لم أفعل والقول الثانى انها خاصة قال الحسن هى النفس المؤمنة وان المؤمن والله لا تراه الا يلوم نفسه على كل حال لانه يستقصرها فى كل ما تفعل فيندم ويلوم نفسه وابن القيم رحمه الله قدما لا ياتى بنفسه والقول الثالث انها النفس الكافرة وحدها قال قتادة ومقاتل وهى النفس الكافرة تلوم نفسها فى الآخرة على ما فرطت فى امر الله قال شيخنا والظاهر ان المراد تقيس الانسان مطلقا فان نفس كل انسان لوامة كما أقسم بحسن النفس فى قوله ونفس وما سواها قالهما فيجورهما ونقرواها قائمه لا بد لكل انسان ان يلوم نفسه أو غيره على امر ثم هذا اليوم قد يكون مجودا وقد يكون مذموما كما قال تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتلومون قالوا يا ويلتنا انا كنا طاغين قال تعالى

بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهذا اليوم غير محمود وفي المحصين في قصة
 احتجاج آدم وموسى اتلومنى على امر قدر الله على قبل ان اخلق فخرج آدم موسى فهو
 سبحانه يسم على صفة النفس الوامة كقوله ان الانسان لربه لكنود وعلى جزئها كقوله
 فوردك لنسئلهم اجمعين وعلى تباين علمها كقوله ان معكم لشيئ وكل نفس لوامة فالنفس
 السعيدة تلوم على فعل الشر وترك الخير فتبادر الى التوبة والنفس الشقية بالصد من ذلك
 وجع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب وهو النفس الوامة وتوبه
 سبحانه بكوفا لوامة على شدة حاجتها وقاقتها وضرورتها الى من يعرفها الخير والشر
 ويدلها عليه ويرشدها اليه ويعلمها اياه فيصلها امر يده الخير مرشدة له كارهة للشر بمجاهدته
 لتخلص من اللوم ومن شر ما تلوم عليه ولا نها متلومة متزدة لانبت على حال واحدة فهي
 محتاجة الى من يعرفها ما هو ارفع لها في معاشها ومعادها مؤثر مو تلوم نفسها عليه اذا قاتلها فتوب
 منه ان كانت سعيدة وتقوم عليها بجة عدله فيكون لومها في القيامة لنفسها عليه لوما بحق قد
 اهدر الله خالفها وقاطرها اليها فيه في صفة اللوم فبده على ضرورتها الى التصديق
 بالرسالة والقرآن وانما الاغنى لها عن ذلك ولاصلاح ولا ملاح بدونه آتية ولما كان يوم معادها
 هو محل ظهور هذا اللوم وترتب اثره عليه قرن بينهما في الذكر

فصل ٦ ومن ذلك قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها
 الى قوله فاطمها فجورها وتقواها قال الزجاج وغيره جواب القسم قد افلح من زكاهوا وما
 طال الكلام حسن حذف اللام من الجواب وقد تضمن هذا القسم الاقسام بالخلق والمخلوق
 فانقسم بالسماء وباتيه والارض وطاحيها والنفس ومسويها وقد قيل ان ما صدرية فيكون
 الاقسام بنفسه فله تعالى فيكون قد اقسام بالمصنوع الدال عليه وبصنعه الدالة على كماله
 وقدرة وحكمته وتوحيده ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار امرا يشهد للناس
 حدوثه شيئا ماثبتا ويعلمون ان الحوادث لا بد له من محدث كان العلم بذلك منزلا منزلة ذكر المحدث
 له لمطافئ يذكر الفاعل في الاقسام الاربعة ولهذا سلك طائفة من النظائر الاستدلال
 بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد يه عليه القرآن في غير موضع كقوله ان في خلق
 السموات والارض لايات لاولى الايات ولما كانت السماء والارض ثابتين حتى ظن من
 عن انهما قديما فذكر مع الاقسام بهما بانفسهما ومبدعهما وكذلك النفس فان حدوثها غير
 مشهور حتى ظن بعضهم قدمها فذكر مع الاقسام بهما مسويها وقاطرها هنا مع ما قد ذكر بناء
 السماء وطحو الارض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعتابة بالخلق فان
 بناء السماء يدل انها كاتبة العالاية على الارض وجعلها سقفا لهذا العالم والطحو هو مسد
 الارض وبسطها وتوسيعها ليستقر عليها الاثام والحيوان ويمكن فيها البناء والقراس
 والزرع وهو متضمن لنضوب الماء عنها وهو مما حير عقول الطبيائين حيث كان
 مقتضى الطبيعة ان يجرها كثرة الماء فيروى جانب منها على الماء على خلاف مقتضى الطبيعة
 وكونه هذا الجانب المعين دون غيره مع استواء الجوانب في الشكل الكروي يقتضى تخصيصا
 فلم يحدوا ايدا بان يقولوا هناية الصانع اقتضت ذلك قلنا نعم اذا ولكن هناية من لاشيئة له

ولا ارادة ولا اختيار ولا علم بيمين أصلا كما تقولونه فيه محال معانيه تقتضي ثبوت صفات
كامله ونفوت جلاله وأما انفصال فضل باختياره ما يريد به ذلك النفس اقسامها وبين سواها
والعلمها فبجورها وتقواها فان من الناس من يقول قدسية لا مبدع لها ومنهم من يقول بل هي
التي تبدع فبجورها وتقواها فذكر سبحانه أنه هو الذي سواها وابدعها وأنه هو الذي
العلمها البجور والنقوى فاعلمنا أنه مخالف تقوسنا وعمالها وذكرنا كلفه التسوية كاذ كره في
قوله ما فكر بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعداك وفي قوله فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي اذنا بدخول البدن في لفظ النفس كقوله وهو الذي خلقكم من نفس واحدة
وقوله فسلوا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم ولولا اذ سمعتموه عن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم غيرا ونظائرهما واجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرة أو ثقية والأفاروح
بدون البدن لا فبجورها وقوله قد افلح من زكاها الضمير مرفوع في زكاها ما دخل من وكذلك
هو في دساها والمعنى قد افلح من زكا نفسه وقد خاب من دساها هذا هو القول الصحيح وهو نظير
قوله قد افلح من تزكى وهو سبحانه اذ ذكر الفلاح حلقه بضم الميم كقوله قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى آخر الآيات وقوله الذين يؤمنون بالغييب ويقيمون الصلاة
وعما رزقناهم ينفقون إلى قوله أولئك هم المفلحون وقوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ونظائرهم قال
الحسن قد افلح من زكا نفسه وجعلها على طاعة الله وقد خاب من أهلكها وجعلها على معصية
الله وقاله قتادة وقال ابن قتية يريد افلح من زكا نفسه أي غاها وأهلها بالطاعة والبر والصدقة
واستقام المروءة وقد خاب من دساها أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي
والفساجر ابدأ في المكان من المروءة فامضى الشخص فأكس رأس فكان التصف بارة كتاب
الفواحي دس نفسه وقبحها وصنع المروءة شهر نفسه ورفضها وكانت أجود العباد
تزل الربى وبضاع الارض لشهرتها نفسها المصنفين وثوقه الذين في ليل لطارقين وكانت القتام
تزل الاولاج والامراف والاضام لتضي اما كنهها على الطالبين وأولئك أهلوا أنفسهم
وزكوها وأولئك أخفوا أنفسهم ودسوها وأند

ويؤت يتك في مصلح رحيب المباحات والمرح

كفيت الصفة طلاب القرا ونوع العكلا لمستج

وقال أبو العباس سألت ابن الأرباعي عن قوله وقد خاب من دساها فقال دس معناه دس نفسه
مع الصالحين وليس منهم وعلى هذا فاعنى اخفى نفسه في الصالحين يرى الناس أنه منهم وهو
منطو على غير ما ينطوى عليه الصالحون وقال طائفة أخرى الضمير يرجع إلى الله سبحانه
قال ابن عباس في رواية عطاء قد افلحت نفس زكاها الله وأصلها وهذا قول مجاهد وعكرمة
والكلبي وسعيد ابن جبير ومقاتل قالوا سمعت نفس افلحت نفس أصلها الله وطهرها
ووقعها طاعة حتى علمت بها وخابت وخسرت نفس أصلها الله فغواها وأبطلها
وأهلكها قال أرباب هذا القول قد اقسم الله بهذه الاشياء التي ذكرها لانه لا يدل على وحدانيته
وعلى فلاح من طهره وخساره من خذله حتى لا يظن أحدا أنه هو الذي يتول تطهير نفسه

واملا كما بالمصيبة من غير قدر سابق وقضاء متقدم قالوا وهذا أبليغ في التوحيد الذي سبقت
له هذه السورة قالوا ويدل عليه قوله فآلهما فيجورها وتقواها قالوا ويشهد له حديث نافع
عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت اتبعت نفسي ليلة فوجدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها
ومولاها قالوا فهذا الدماء هو تأويل الآية بدليل الحديث الآخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ فدلح من زكها وقتبتم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها
أنت خير من زكها قالوا وفي هذا ما يبين ان الامر كله سبحانه فانه هو خالق النفس وملهمها
القبور والقوى وهو من كبرها ومدبرها فليس للعبد في الامر شيء ولا هو مالك من امر
نفسه شيئا قال ارباب القول الاول هذا القول وان كان جائزا في العريضة حاملا للضمير المنصوب
على معنى من وان كان لفظها مذكرا كافي قوله ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير وان كان
لفظ من مفردا جلا على نظمها فهذا اقل ما يحسن حيث لا يقع لبس في مفسر الضمائر وهنا قد تقدم
لفظ من والضمير المرفوع في زكها يستحقه لفظا ومعنى فهو أولى بدم يمدود الضمير
المنصوب على النفس التي هي أولى باللفظ ومعنى فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق
الكلام ووضعها ما عود الضمير الذي يلي من على الموصول السابق وهو قوله وما صاهاوا واخل
جاءه الملاصق وهو من ثم عود الضمير المنصوب وهو مؤنث على من ولفظه مذكرون
النفس المؤنثة فهذا يجوز لو لم يكن الكلام مجمل غيره أحسن منه فلما اذا كان سياق الكلام
ونظمه يقتضي خلافه ولم تدع الضرورة اليه فالجمل عليه ممتنع قالوا القول الذي ذكرناه أرجح
من جهة المعنى لوجوه أحدها ان فيه إشارة الى ما تقدم من تطبيق الإصلاح على فعل العبد
واختباره كما هي طريقة القرآن الثاني أن فيه زيادة تأنيدها هي إثبات فعل العبد وكسبه وما يشاب
وعلى ذلك عليه في قوله فآلهما فجورها وتقواها أثبات القضاء والقدر السابق تضمنت
الآيتين هذين الأصلين السطين وهما كثير اما بقرتان في القرآن كقوله ان هذه نذكرة
فن شاء ذكرهم ما يدرون الآن يشاء الله وقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وما ننشأ أن الآن يشاء الله
رب العالمين تضمنت الآيتان الرد على القدرية والجبرية الثالث ان قولنا يستلزم قولكم
دون العكس فان العبد اذا زكى نفسه ودساها فآلهما بركتها بعد تزكية الله لها بتوفيقه
وامانته وانما يدسها بعد تدسية الله لها بمخلاته والتخليه بينه وبين نفسه بخلاف ما اذا كان
المعنى على القدر السابق المحض لم يبق للعكس وفعل العبد ههنا ذكر آية

فصل في ذكر في هذه السورة عمود دون غيرهم من الامم المكذبة فقال شطنا هذا والله
أهل من باب التنبيه بالآتي على الاعلى فانه لم يكن في الامم المكذبة أخف ذنبا وعدا من
اذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد ومدين وقوم لوط وغيرهم ولهذا لما ذكرهم وماذا
قال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد مناقرة ولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو أشد منهم قوة وكأنا آياتنا بينهم فدعواهم فاستغفروا المسمى على الهدى وكذلك
اذا ذكرهم مع الانتم المكذبة لم يذكر عنهم ما ذكر عن اولئك من الجبر والتكبر والاعمال
السيئة كاللواط وبخس المكبال والميزان والفساد في الارض كما في سورة هود والاشعراء

او غيرهما فكان في قوم لوط مع الشرك اتيان الفاحشة التي لم يسبقوا اليها وفي قوم عاد مع الشرك الجبر والتكبر والنوس في الدنيا وشدة البطش وقولهم من اشدمننا قوة وفي اصحاب مدين مع الشرك الظلم في الاموال وفي قوم فرعون مع الشرك الفساد في الارض والعلو وكان عذاب كل امة بحسب ذنوبهم وجسارتهم فعذب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء وعذب قوم لوط باتواع العذاب لم يذنب بها امة غيرهم فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالجحارة من السماء ولمس الاتيسار وقلب ديارهم عليهم بأن جعل عاليها سافلها وانصف بهم الى اسفل سافلهم وعذب قوم شعيب بالنار التي احرقتهم واحترقت تلك الاسماء التي اكتسبوها بالظلم والعدوان واما عود قاهل كوا بالصحة فانوافي الحال فاذا كان عذاب هؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم فمن اتىك محارم الله واستغف باوامره ونواهيه وعقر عياده وسفك دماهم كان اشد عذابا ومن اعتبر احوال العالم قديما وحديثا وما يعاقب به من سعى في الارض الفساد وسفك الدماء بغير حقي واقام الفتن واستهان بحرمات الله علم أن العصابة في الدنيا والآخرة لذنب آمنوا وكانوا يتقون قلت وقد يظهر في تخصيص عودهمنا بالذكور دون غيرهم معنى آخر وهو انه ردوا الهدى بعدما يقنوه وكانوا مستبصرين به قد ثبتت له صدورهم واستيقظت له انفسهم فاخساروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في وصفهم واما عود فهديناهم فاصفوا العمى على الهدى وقال وآتينا عودا لسافة مبصرة أى موجبة لهم التبصرة واليقين وان كان جميع الامم المملكة هذا شأنهم فان الله لم يهلك امة الا بعد قيام البلية عليها لكن خصت عود من ذلك الهدى والبصيرة بجزء ولما اقرنهم بقوم عاد قال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة ثم قال فاما عود فهديناهم فاصفوا العمى على الهدى ولهذا امكن عاد المكابرة وان يقولوا لنبيهم ما جئتنا به من قولهم يمكن ذلك عود وقد راوا البينة عيانا وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر فردوا الهدى بعد يقينهم والبصيرة التامة فكان في تخصيصهم بالذكور تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه وهذا داء أكثر الهالكين وهوام الادواء واغلبها على أهل الارض والله اعلم

فصل في ومن ذلك قوله تعالى والتكبر وليل عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي جر قبل جوابه ان ربك ليس بالمرصاد وهذا ضيف لوجهين أحدهما حلول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بحمل كثيرة والثاني قوله ان ربك ليس بالمرصاد ذكر تفرير عقوبة الله الامم المذكورة وهي عاد وعمود وفرعون فذكر عقوبتهم ثم قال فقررنا وعذرا ان ربك ليس بالمرصاد فلا ترى علقته بذلك دون القسم واحسن من هذا أن يقال ان التكبر في الليل العشر زمن يتضمن انفصالا عظيمة من المناكح وامكنة عظيمة وهي محلها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه فان الحج والنسك عبودية محضات وذلل وخضوع لمظنته وذلك ضد ما وصف به عاد وعود وفرعون من العنوت والتكبر والجبر فان النسك يتضمن غاية الخضوع وهؤلاء الامم تنوتوا وتكبروا عن أمر ربهم وفي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ما من ايام العمل الصالح فبين أحب الى الله من

هذه الايام العشر قيل يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل
خرج بنفسه وماله لم يرجع من ذلك بشئ فانما المتضمن لمثل هذه الاعمال اهل ان قسم
الرب عز وجل به والعجرب ان اريد به جنس العجرب كما هو ظاهرا لفظ فانه يتضمن وقت صلاة الصبح
التي هي اول الصلوات فتنسخ القسم بما يتضمن اول الصلوات وختمه بقوله والليل اذا يسر
المتضمن لآخر الصلوات وان اريد بالشجر فيبر مخصوص فهو فجر يوم النحر وليسته التي
هي ليلة عرفة فذلك الليلة من افضل ليالي العام وما روى الشيطان في ليلة ادر ولا احقر
ولا اغبط منه فيها وذلك العجرب فجر يوم النحر الذي هو افضل الايام عند الله كما ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الايام عند الله يوم النحر رواه ابو داود باسناد صحيح وهو
آخر ايام العشر وهو يوم الحج الاكبر كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وهو اليوم الذي اذن
فيه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ربي من المشركين ورسوله وان لا يحج بعد
الحمام مشرك ولا يطوف بالبيت حريان ولا خلاف ان المؤذن اذن بذلك في يوم النحر لا يوم
عرفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا وتأويلا لقرآن وعلى هذا فقد
تضمن القسم المناسك والصلوات وهما المختصان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لمخلقه
ولهذا قال الخليل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين وقيل لانهم الرسل يصلونك
والنحر بخلاف حال المشركين المتكبرين الذين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به ويستكبرون
عن عبادته كمال من ذكر في هذه السورة من قوم عاد وثمود وفرعون وذكر سبحانه من
جمله هذه الانقسام الشفع والوتر اذ هذه الشعائر المعظمة منها شفع ومنها وتر في الامكنة
والازمنة والاعمال فالصفا والمروة شفع والبيت وتر والجمرات وترومى ومن ذلك شفع
وعرفه وتر وأما الاعمال فالطواف وتر وكعباء شفع والطواف بين الصفا والمروة وتر
ورمي الجمار وتر كل ذلك سبع سبع وهو الاصل قال الله وتر يحب الوتر والصلاة منها شفع
ومنها وتر والوتر وتر الشفع فتكون كلها وتر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل
مثنى مثنى فاذا خشيت الصبح فاوتر بواحدة توترتك ما قد صليت وأما الزمان فان يوم
عرفة وتر ويوم النحر شفع وهذا قول اكثر المفسرين وروى مجاهد عن ابن عباس الوتر آدم
وشفع بزوجه حواء وقال في رواية أخرى الشفع آدم وحواء والوتر الله وحده وهذه رواية
ثالثة الشفع يوم النحر والوتر اليوم الثالث وقال جرير بن حصين وقتادة الشفع والوتر
هي الصلاة وروى فيه حديثا مرفوعا وقال عطية العوفي الشفع الخلق قال الله تعالى
وخلقناكم أزواجا والوتر هو الله وهذا قول الحكم قال كل شيء شفع والله وتر وقال ابو
صالح خلق الله من كل شيء زوجين اثنين والله وتر واحد وهذا قول مجاهد ومسروق
وقال الحسن الشفع والوتر العدد كله من شفع وتر وقال ابن زيد الشفع والوتر الخلق
كله من شفع وتر قال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم
القيامة وذكرت اقوال أخر هذه أصولها ومدارها كلها على قولين أحدهما أن الشفع
والوتر نوعان لمخلوقات والمأمورات والثاني أن الوتر الخلق والشفع المخلوق وعلى هذا
القول فيكون قد جمع في القسم بين الخسائي والمخلوق فهو نظير ما تقدم في قوله والنفس

وضحاها ونظير ما ذكر في قوله وشاهد وشهود وما ذكر في قوله والليل اذا بشتى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكور والانثى وقال ههنا والليل اذا يسر وفي سورة المدثر أقسم بالليل اذا أدبر وفي سورة التكاوير أقسم بالليل اذا سمس وقد فسر بأقبل وفسر بأدبر قال كان المراد اقباله فقد أقسم بأحوال الليل الثلاثة وهي حالة اقباله وحالة امتداده وسرانه وحالة ادباره وهي من آياته الدالة عليه سبحانه وعرف القبر بالام اذا كل أحد يعرفه ونكر اهياي العشر لاتها انما تعرف بالعلم وايضا فان التنكير تعظيم لها فان التنكير يكون للتعظيم وفي تعريف القبر ما يدل على شهرته وأنه القبر الذي يعرفه كل أحد ولا يجهله فلا تضمن هذا القسم ما جاء به ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ما دل على المقسم عليه ولهذا اعتبر القسم بقوله تعالى هل في ذلك قسم لذي جر فان عظيمة هذا المقسم به يعرف بالتوبة وذلك يحتاج الى جبر يجهز صاحبه من النفقة واتباع الهوى وبمحله على اتباع الرسل لثلاث يصيبه ما أصاب من كذب الرسل كعاد وفرعون وعمود ولا تضمن ذلك مدح الخاضعين والمتواضعين ذكر حال المستكبرين المنفيين الطاغين ثم أخبر انه صلب عليهم عذاب ونكره اما التعظيم واما لان يسير من عذابه استأصلهم وأهلكهم ولم يكن معه بقاء ولا ثبات ثم ذكر حال الموسع عليهم في الدنيا والمتر عليهم وأخبر ان توسعته على من وسع عليه وان كان اكرامه في الدنيا فليس ذلك اكراما على الحقيقة ولا يدل على أنه كريم عنده من أهل كرامته ومحبه وأن تقديره على من قرع عليه لا يدل على اهائه له وسقوط منزلته عنده بل يوسع ابتلاء وامتحانا ويقر امتلاء وامتحانا فيبني بالنم كما يبني بالمصائب وسبحانه هو يبني عبده بنعمة تجلب له نعمة وبنعمة تجلب له نعمة وبنعمة تجلب له نعمة أخرى وبنعمة تجلب له نعمة أخرى فهذا شأن نعمه ونعمه سبحانه وتضمنت هذه السورة ذم من اغتر بقوته وسلطان ماله وهم هؤلاء الامم الثلاثة قوم عاد اغتروا بقوتهم وعمود اغتروا بحسبهم وعبوتهم وزروعهم وبسائتهم وقوم اغتروا بالمال والرياسة فصارت طاقتهم الى ما فاض الله علينا وهذا شأنه دائما مع ~~مكمل~~ من اغتر بشئ من ذلك لا بد أن يفسده عليه ويسلبه اياه ثم ذكر سبحانه حال الانسان في معاملة من هو اضعف منه كاليتيم والمسكين فلا يكرم هذا ولا يحرص على اطعام هذا ثم ذكر حرصه على جمع المال واكله وحبسه وذلك هو الذي اوجب له عدم رجته لليتيم والمسكين ثم ختم السورة بمدح النفس المطمئنة وهي الخاشعة المتواضعة لربها وماتول اليه من كرامته ورجته كما ذكر قبلها حال النفس الامارة وماتول اليه من شدة عذابه ووثاقه

فصل في ما أسورة لأقسم بهذا البلد فذكر فيها جواب القسم وهو قوله لقد خلقنا الانسان في كبد وفسر الكبد بالاسنوى وانتصاب القامة قال ابن عباس في رواية مقسم منتصبا على قدميه وهذا قول ابي صالح والضحاك وابراهيم وعكرمة وعبد الله ابن شداد قال المنذر سمعت ابا طالب يقول الكبد الاسنوى والاستقامة وفسر بالنصب هذا قول مجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن ورواية من صلى عن ابن عباس قال الحسن لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وقال سعيد بن ابوالحسن يكابد مصائب الدنيا وشدادتها الآخرة وقال قتادة

يكابد امر الدنيا والآخرة فلا تلقاه الا في مشقة وروي ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال بنى جله وولادته ورضاعه وفصاله ونبت اسنانه وحيايته ومعاشه ومماته كل ذلك شدة قال بجاهد جلته امه كرها ووضعته كرها وميشته في شدة فهو يكابد ذلك وعلى هذا الكبد من مكابدة الامروهي معاناة شدة وشقته والرجل يكابد القيل اذا قاسى هولاه وصعوبته والكبد شدة الامرو منه تكبد البين اذا غلظ واشتد ومنه الكبد لانه ادم يغلظ ويشتد واتصاب القامة والاعتوى من ذلك لانه انما يكون عن قوة وشدة فان الانسان مخلوق في شدة بكونه في الرحم ثم في التباط والرباط ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف ومكابدة المشية والامرو انتهى ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ وموقف القيامة ثم مكابدة العذاب في النار ولا راحة الا في الجنة وفسر الكبد بشدة الخلق واحكامه وقوته ومنه قول لبيد
هين هلا بكيت اريد * اذ تقاوم الخصوم في كبد

اي في شدة وعناو هذا يشبه قوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس اي خلقهم وقال ابو عبيدة الاسر شدة الخلق يقال فرس شديد الاسر قال وكل شيء شدته من قنب او غيره فهو مأسور وقال المبرد الامر القوي كلها وقال الليث الامر قوة المفصل والواصل وشدة الله أسر فلان اي قوي خلقه وكل شيء جمع طرفاهما فشد احدهما بالاخر فقد اسروا وقال الحسن شدنا وواصلهم بعضهم الى بعض بالعروق والعصب وقال بجاهدهم الشرج يعني موضع البول والغائط اذا خرج الاذي تقبضا والمقصود انه سبحانه اقسم في سورة البلد على حال الانسان واقسم سبحانه بالبلد الامين وهو مكة ام القرى ثم اقسم بالوالد والمولد وهو آدم وذريته في قول جمهور المفسرين وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى آدم وقوله وانت حل بهذا البلد في قولان احدهما انه من الاحلال وهو ضد الاحرام والثاني انه من الحلول وهو ضد الظعن فان اريد به المعنى الاول فهو - وحال ساكن البلد بخلاف الحرم الذي يحج ويعتمر ويرجع ولان امنه اغاظ به النعمة عند الدخول من الاحرام والا في حال الاحرام هو في امان والحرمه هناك لفعل لا للمكان والمقصود هو ذكر حرمة المكان وهي اغاظ به حال الاحلال الذي لم يلبس بما يقضي امنه وان كان على هذا فانه فيه اذا اقسم به وفيه الحلال فاذا كان فيه الحرام فهو - وأولى بالتعظيم والامن وكذلك اذا اريد المعنى الثاني وهو الحلول فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمنه بامر آخر وهو اقسام بلده المشتمل على رسوله وعبيده فهو غير البقاع وقد اشتمل على خير العباد فجعل بيته هدى لقائس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه كما هو اعظم آياته ودلائل وحدانيته وبريئته فن اعتبر حال بيته وحال نبيه وجد ذلك من اظهر أدلة التوحيد والبريئة في الآية قول ثالث وهو ان المعنى وانت متصل بقلبك واخر اجلك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش والجناتي وقد استعمل قولك فيه حرمتك وهم لا يمشدون به شجرة ولا ينفرون به صيدا وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعلى كل حال فهي جلة اعتراض في اثناء القسم موقعها من احسن موقع والطفه بهذا القسم متضمن لتعظيم بيته ورسوله ثم انكر سبحانه على الانسان ظنه وحسابه ان لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة والقوة

التي يكادها الامور فان الذي خلقه كذلك أولى بالقدرة منه وأحق فكيف بقدرته
من لم يكن قادرا في نفسه فهذا بهان مستقل بنفسه مع انه متضمن لجزاء الذي مناهه القدرة
والعلم فنبه على ذلك بقوله أحسب أن لن يقدر عليه أحد وبطلوه أحسب أن لن يره أحد
فخصى عليه ما عمل من خير وشر ولا يقدر عليه فيصانه بما يستحقه ثم اذكر سبحانه
على الانسان قوله أهلك ما لا يلد وهو الكثير الذي يلد بعضه فوق بعض فأنظر هذا الانسان
بأهلاكه وانفاقه في غير وجهه اذ لو أنفقه في وجوهه التي أمر بانفاقه فيها ومنعه - واضحه
لم يكن ذلك أهلا كاله بل تقربا به الى الله وتوصلا به الى رضاء وثوابه وذلك ليس بأهلا كاله
فأنكر سبحانه اقتضاه وتبعده بانفاق المال في شوائه واغراضه التي انفاقه فيها اهلا كاله
ثم ونبه سبحانه بقوله أحسب أن لم يره أحد وأنى ههنا يعلم الدالة على المضي في مقابلة قوله
أهلك ما لا يلد فان ذلك في الماضي أحسب أن لم يره أحد فيما أنفقه وفي أهلا كاله ثم ذكر بهاما
مقدرا انه سبحانه أحق بالزوجة وأولى من هذا العبد الذي له عيان يصير بها فكيف يعطيه
البصر من لم يره وكيف يعطيه آلة البيان من الشفتين واللسان فينطق وبين عما في نفسه
ويأمر وينهى من لا يتكلم ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى وهل كمال المخلوق مستفاد
الامن كالخالقه ومن جعل غيره عالما بنجدي الخير والشر وهما طريقا هما أولى وأحق بالعلم منه
ومن هداه الى هذين الطريقين وكيف يليق به ان يتركه مدى لا يعرف ما يصرفه وما ينفعه
في معاشه ومعاده وهل النبوة والرسالة الا تكميل هداية العبد فدل هذا كله على اثبات
الخالق وصفاته كاله وصدق رسله ووعدته وعهده وهذه اصول الايمان التي اتفقت عليها
جميع الرسل من اولهم الى آخرهم اذا تأمل الانسان حاله وخلقه وجده من اعظم الادلة
على صحتها وثبوتها فتذكر في الانسان فكره في نفسه وخلقه والرسالة بعنواذ كبري بما في الفطر
والقول مكملين له لتقوم على العبد حجة الله بظفره ورسالته ومع هذا فقامت عليه حجة
ولم يقم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل اليها حتى يقصمها بالاحسان الى خلقه
بذلك الرقة وهو تخليصها من الرق ليخلصه الله من رقبته ورقى عدوه والمعامم القيم
والمسكين في يوم المصاة وبالاخلاص له سبحانه بالايمان الذي هو خالص حقه عليه
وهو تصديق خبره وطاعة امره وانغام وجهه بنصبه غيره ان يوصيه بالبر والرحمة وقبل وصية
من اوصاه بهافيكون صابرا رحيما في نفسه ممينا لغيره على الصبر والرحمة فلم يقم هذه
العقبة هلك دونها هلك منقطعاً عن ربه غير واصل اليه بل تحجبوا عنه والناس قسمان فاج
وهم من قطع العقبة وصار وراءها وهالك وهو من دون العقبة وهم اكثر الخلق ولا يقتصر
هذه العقبة الا الضمرون فانها عقبة كؤود شاقة لا يقطعها الا خفيف الظهر وهم اصحاب الجنة
والهالك دون العقبة الذين لم يصدقوا الخبر ولم يطيعوا الامر فهم اصحاب المشأمة عليهم نار
مؤصلة قد احبطت عليهم فلا يستطيعون الخروج منها كما طبقت عليهم اعمال التي والاعتقادات
الباطلة المنافية لما اخبرت به رسله فلم تخرج قلوبهم منها كذلك طبقت عليهم هذه النار
فلا تستطع اجسامهم الخروج فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب
المعاني والايان وبالله التوفيق وايضا فان طريقة القرآن بذكر العلم والقدرة تهديدا وتحويضا

لترتب الجزاء عليهما كما قال تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم هدابا و قوله تعالى أرايت
الذي ينهى عبدا إذا صلى إلى قوله ألم يعلم بأن الله يرى و قوله تعالى و قل اعلموا ضميرى الله
عليكم ورسوله و المؤمنون و قال ام يحسبون أنا لا نسمع سرهم و نجواهم بلى و رسلنا لديهم
يكتبون و هذا كثير جد في القرآن و ليس المراد به مجرد الاخبار بالقدرة و العلم لكن الاخبار
مع ذلك بما يقترب عليهما من الجزاء بالعدل فانه اذا كان قادرا امكن مجازاته و اذا كان طالما امكن
ذلك بالقسط و العدل و من لم يكن قادرا لم يمكن مجازاته و اذا كان قادرا لكنه غير عالم بتفاصيل
الاعمال و مقادير جزاء عالم يحراز بالصدق و الرب تعالى موصوف بكمال القدرة و كمال
المعلم فالجزاء منه موقوف على مجرد مشيئته و ارادته فحينئذ يجب على العاقل ان يطلب النجاة
منه بالاخلاص و الاحسان فهو اقضاهم العقبة المتضمنة للثوبة الى الله تعالى و الاحسان الى خلفه
و قال فلا اقضهم العقبة و هو فعل ماضى و لم يكرر معه لا اما استمالا لاداة لا كما يستمال ما و اما
اجرا لهذا الفعل مجرى الداء نحو فلا - لم و لاش و نحو ذلك و اما لان العقبة قد فسرت
بجميع امور واقضاهما فعل كل واحد منها فأغنى ذلك عن تكريرها فكأنه قال هلاك رقية
و لا اطم و لا كان من الذين آمنوا و قرأة من قرأ هك رقية بالفعل كأنها أرجح من قرأة من
قرأها بالمصدر لان قوله و ما أدراك ما العقبة على حد قوله و ما أدراك ما الحاقة و ما أدراك
ما يوم الدين و ما أدراك ما هي نار حامية و نظائره تعطيا لشأن العقبة و تمضيها لآخرها و هي
جولة اعتراض بين المفسر و المفسر فان قوله هك رقية أو اطعام الى قوله ثم كان من الذين آمنوا
تفسير لا قضاة العقبة و ليس هو تفسير النفس العقبة فان العقبة مكان شاق كود يقضمه الناس
حتى يصلوا الى الجنة و اقضاهم بفعل هذه الامور فمن فعلها فقد اقضى العقبة و يدل على ذلك قوله
تعالى ثم كان من الذين آمنوا و هذا عطف على قوله هك رقية و الاحسن تناسب هذه الجمل المعطوفة
التي هي تفسير لما ذكر أولا و ايضا فان من قرأها بالمصدر المضاف لله باله من تقديره و هو ما أدراك
ما اقضاهم العقبة و اقضاهما هك رقية و ايضا فان قرأها بالفعل فمدطابق بين المفسر و ما فسره
و من قرأها بالمصدر فمدطابق بين المفسر و بعض ما فسره فان التفسير ان كان لقوله اقضهم
طابقه بقوله ثم كان من الذين آمنوا و ما بعده دون هك رقية و ما يليه وان كان لقوله العقبة طابقه
هك رقية و اطعام دون قوله ثم كان من الذين آمنوا و ما بعده وان كانت المطابقة حاصلة معنى
فصولها لفظا و معنى انهم و احسن و اختلف في هذه العقبة هل هي في الدنيا أو في الآخرة
فقال طائفة العقبة ههنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس و الشيطان في أعمال البر و حكوا
ذلك من الحسن و مقاتل قال الحسن عقبة و الله شديدة لمجاهدة الانسان نفسه و هو و عدوه
و الشيطان و قال مقاتل ههنا مثل ضربه الله يريد ان المعنى رقية و المطم البتم و المسكين يقاض
نفسه و شيطانه مثل أن يشكف صمود العقبة فشي المعنى رقية في شدته عليه بالكاف صمود
العقبة و هذا قول أبي عبيدة و قالت طائفة بل هي عقبة حقيقة يصعد بها الناس قال عطية هي
عقبة جهنم و قال الكلبي هي عقبة بين الجنة و النار و هذا قول مقاتل انها عقبة جهنم و قال مجاهد
و الضحاك هي الصراط يضرب على جهنم و هذا مله قول الكلبي و قول هؤلاء اصح نظرا
و اروافا قال قتادة فانه عقبة شديدة فاقضوها بطاعة الله و في ارم معروف ان بين ايديكم

عقبة كؤود لا يتقضمها الا الحفون أو نحو هذا وان الله سمى الايمان بدو فعل ما أمر وترك ما نهى
عقبة فكثيرا ما يقع في كلام السلف الوصية بالتضمن لاقتحام العقبة وقال بعض الصحابة
وقد حضره الموت فبصل يميني ويقول مالي لأبي وبين يدي عقبة كؤود أعبط منها مالي
جنة وأما الى نار فهذا القول أقرب الى الحقيقة والا نأثر السلفية والمألوف من مادة القرآن
في استعماله وما أدراك في الامور الغائبة العظيمة كما تقدم والله أعلم

فصل ومن ذلك اقسامه بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين فاقسم
سببانه بهذه الامكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر انبيائه ورسله أصحاب الشرائع
العظام والامم الكثيرة فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما
وهو ارض بيت المقدس فانها أكثر البقاع زيتونا وتينا وقد قال جماعة من المفسرين انه
سببانه اقسم بهذين النوعين من الثمار لكان المرة فيهما فان التين فاكهة مخصصة من شوائب
التنقيص لا يجمل له وهو على مقدار القنطرة وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل في الادوية
ومن اجده من اعدل الا من جت وطبعه طبع الحياة الحرارة والرطوبة وشكله من احسن الاشكال
ويدخل اكله والنظر اليه في باب المفرحات وله لذة يتساز بها من سائر الفواكه ويزيد في القوة
ويوافق الباء وينفع من البواسير والقرس ويؤكل رطبيا وباسا وأما الزيتون ففيه
من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر فان عوده يخرج ثمرا يصير منه هذا الدهن الذي هو مادة النور
وصبغ الاكليم وطيب ودواء وفيه من مصالح الخلق ما لا ينفي وشجره باقى على عمر السنين
المتطاولة وورقه لا يسقط وهذا الذي قالوه حق ولا نافي أن يكون منبته مراداً فان منبت
هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة فيكون الاقسام قد
تناول الشجرتين ومنبتهما وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلنه وروحه عيسى ابن مريم كان
طور سينين مظهر عبده ورسوله وكلية موسى فان الجبل الذي كلمه عليه وتاجاه وأرسله الى
فرعون وقومه ثم اقسم بالبلد الامين وهو مكة مظهر خاتم انبيائه ورسله سيد ولد آدم وترقى
في هذا القسم من الفاضل الى الافضل فبدأ بوضع مظهر المسيح ثم ترقى بوضع مظهر الحكيم
ثم ختمه بوضع مظهر عبده ورسوله واكرم الخلق عليه وفظير هذا بمبته في التوراة التي انزلها
الله على كلمه موسى جاء الله من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من فاران فجيئته من
طور سيناء بمبته لموسى بن عمران وبدا به على حكم الترتيب الواقع ثم ترقى بنبوة المسيح ثم ختمه
بنبوة محمد وجعل نبوة موسى بمنزلة يحيى الصبح ونبوة المسيح بعمدة بمنزلة طلوع الشمس
واشراقها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم بعدهما بمنزلة استعلاء ظهورهما للعالم ولما
كان الغالب على بني اسرائيل حكم الحسن ذكر ذلك مطاباً للواقع ولما كان على الامة الكاملة
حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي واقسم بها على بداية الانسان ونهايته فقال لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم أى في احسن صورة وشكل واعتدال معتدل القائمة مستوى الخلة
كامل الصورة احسن من كل حيوان سواه والتقويم بصير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التأليف
والتهديل وذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضته من تراب وضعه بالمشاهدة في نقطة من ماء وذلك
من اعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلمه وصفات كماله ولهذا يكررها كثير افي

القرآن لما كان العبرة بها والاحتلال بالقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد وتضمن
اقسام تلك الامكنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته وحنانيته بتخلقه بأن أرسل منها
رسلا أنزل عليهم كتيبه يعرفون العباد برهيم وحقوقه عليهم وينذرونهم بالله وتضمنه
ويدعونهم الى كرامته ونوايه مما لا كان الناس في اجابة هذه الدعوة فريقين منهم من اجاب
ومنهم من أبى ذكر حال الفريقين فذكر حال الاكثرين وهم المرد ودون الى اسفل سافلين
والصحيح انه النار قاله مجاهد والحسن وابو العالية قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه
هي النار بعضها اسفل من بعض وقالت طائفة منهم قتادة وعكرمة وعطاء والكشي
وابراهيم انه اردل العمر وهو مروى عن ابن عباس والصواب القول الاول لوجوه احدها
ان اردل العمر لا يسمى اسفلي سافلين لافي لغة ولا عرف وانما اسفل سافلين هو سجين الذي هو
مكان التعذيب كما ان عليين مكان الارباب الثاني أن المردودين الى اسفل العمر بالنسبة الى النوع
الا انسان قليل جدا كما كثرت بيوت ولا يرد الى اردل العمر الثالث ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يستنونهم وغيرهم في ردم طال عمره منهم الى اردل العمر فليس ذلك مختصا
بالكفار حتى يستثنى منهم المؤمنين الرابع ان الله سبحانه لما اراد ذلك لم يخصه بالكفر بل جعله
لجنس بني آدم فقال ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى اردل العمر لكيلا يعلم من بعد ع- لم
شيئا فيعلم قسم متوفى قبل الكبر وقبعا مردودا الى اردل العمر ولم يسمه اسفل
سافلين الخامس انه لا يحسن المقابلة بين اردل العمر وبين اجزاء المؤمنين وهو سبحانه قابل
بين جزاء هؤلاء وجزاء اهل الايمان فيعمل جزاء الكفار اسفل سافلين وجزاء المؤمنين
اجرا غير ممنون السادس ان قول من فسره بأردل العمر يتلزم خلوا الآية عن جزاء الكفار
وما قبله امرهم وتفسيرها بامر محسوس فيكون فترك الاخبار عن المقصود الاثم واخير
عن امر يصرف بالحس والشهادة وفي ذلك هضم لمعنى الآية وتقصير بها عن المعنى
اللائق بها السابع انه سبحانه ذكر حال الانسان في مبداء ومعاد فبداه خلقه في احسن
تكوين ومعاد رده الى اسفل سافلين او الى اجر غير ممنون وهذا موافق لطريقة القرآن
وحادثه في ذكر مبداء العبد ومعاده فلما اردل العمر وهذا المعنى المطلوب المقصود اثباته
والاستدلال عليه التباين ان ارباب القول الاول مضطرون الى مخالفة الحس واخراج
الكلام عن ظاهره والتكلف ليعيدله فانهم ان قالوا ان الذي يرد الى اردل العمر هم الكفار
دون المؤمنين كابروا الحس وان قالوا ان من النور عين من يرد الى اردل العمر احتسجوا
الى التكلف لصحة الاستثناء فنه من قدر ذلك بان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يبطل
اجالهم اذ اردوا الى اردل العمر بل تجري عليهم اعمالهم التي كانوا يعملونها في الصفة فهذا
وان كان حقا فان الاستثناء انما وقع من رد الامن الايجرو العمل ولما علم ارباب هذا القول
ما فيه من التكلف خص بعضهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقراءة القرآن خاصة فقالوا
من قرأ القرآن لا يرد الى اردل العمر وهذا ضعيف من وجهين احدهما ان الاستثناء عام
في المؤمنين كآدم واسمهم انه لا دليل على ما ادعوه وهذا لا يعلم بالحس ولا خبر يجب التسليم
له يقتضيه والله اعلم التاسع انه سبحانه ذكر نعمته على الانسان بتخلقه في احسن تكوين وهذه

النعمة توجب عليهم أن يشكروها بالإيمان وعبادته وحده لا شريك له فينتقله حينئذ من هذه الدار إلى أعلى عليين فإذا لم يؤمن به وأشرك به وعصى رسوله نقله منها إلى أسفل سافلين وبه بد هذه الصورة التي هي في أحسن تقويم صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين فذلك نعمته عليه وهذا عذله فيه وعقوبته على كفران نعمته العاشر أن نظير هذه الآية قوله تعالى فيشرهم بسبابهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فالعذاب الإلهم هو أسفل سافلين والمستنون هنام المستنون هناك والاجر غير ممنون هناك هو المذكور هنا والله أعلم وقوله غير ممنون أي غير مقطوع ولا منقوص ولا مكدر عليهم وهذا هو اصواب وقالت طائفة غير ممنون به عليهم بل هو جزاء أعمالهم وبذلك هذا عن حكمة ومقابل وهو قول كثير من القدرية قال هؤلاء إن المنة تكدر النعمة فقام النعمة أن يكون غير ممنون بها على النعم عليه وهذا القول خطأ قطعاً أي أربابه من تشبيه نعمة الله على عبده بإنعام المخلوق على المخلوق وهذا من أبطال الباطل فإن المنة التي تكدر النعمة هي منة المخلوق على المخلوق وأمانة الخالق على المخلوق فبإتمام النعمة ولذتها وليها فأنهامة حقيقة قال تعالى بمنون عليك أن أسلموا قل لا تنوعوا على أسلامكم بل الله ينع عليكم أن هذا كم للإيمان أن كنتم صادقين وقال تعالى ولقد مننا على موسى وهرون ونبييائهما وقومهما من الكرب العظيم فتكون منة عليهما بنعمة الدنيا دون نعمة الآخرة وقال موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم الآية وقالوا وتريد أن نغنى على الذين استضعفوا في الأرض الآية وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أنصار ألم أجدكم ضالاً فهداكم الله بي ألم أجدكم جاهلاً فأنعم الله علينا فجمعوا يقولون له الله ورسوله أم فهذا جواب العارفين بالله ورسوله وهل المنة كل المنة إلا الله المان بفضل الذي جمع الخلق في منته وانما قبحت منة المخلوق لانتمائة باليس منه وهي منة يتأذى بها الممنون عليه وأمانة المنان بفضل الله التي ما طاب العيش والاجته وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهي منة ين بها على من أنعم عليه فذلك لا يجوز تنقيها وكيف يجوز أن يقال انه لا منة لله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دخول الجنة وهل هذا الامن أبطال الباطل فان قيل هذا القدر لا يخفى على من قال هذا القول من العلماء وليس مرادهم ما ذكره وانما مرادهم أنه لا ين عليهم به وان كانت لله فيه المنة عليهم فانه لا ين عليهم به بل يقال هذا جزاء أعمالكم التي عملوها في الدنيا وهذا أجركم فأنتم تستوفون أجور أعمالكم لا غنى بها عليكم بما أعطيناكم قيل وهذا أيضاً هو الباطل بينه فان ذلك الاجر ليست الاعمال ثمنه ولا معاوضة عنه وقد قال أهل الخلق بالله لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمة منه وفضل فاشير أن دخول الجنة برحمة الله وفضله وذلك محض منته عليه وعلى سائر عباد الله وكأنه سبحانه المان بأرسال رسوله وبالتوفيق لطاعته وبإمانته عليها فهو المان بأعطائه الجزاء وذلك كله محض منته وفضله وجوده لاحقاً لتحديه بحيث اذا وقاه إياه لم يكن له عليه منة فان كان في الدنيا باطل فهذا منته فان قيل كيف تقولون هذا وقد أخبر رسوله عنه بأن حق العباد عليه اذا وحده أن لا يظنهم وقد أخبر عن نفسه أن حقاً عليه

فصر المؤمنين قبل عمر واقد هذا من أعظم منه على عباده أن جعله على نفسه حقا بحكم وعده الصادق أن ينهبهم ولا يعذبهم إذا عبدوه ووجدوه فبذا من تمام منه فانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولكن منته اقتضت أن أحق على نفسه ثواب ما دبه واجابة ما ناله

ما لم يباد عليه حق واجب ❀ كلا ولا يسعى لديه ضائع

ان صبروا فبعده له أو سموا ❀ فبفضله فهو الكريم الواسع

وقوله سبحانه فإيكنذك بعد الدين أصح القولين انه هذا خطاب للإنسان أي فإيكنذك بالجزاء والمعاد بعد هذا البيان وهذا البرهان يقول لك لا تبحث ولا تعاسب ولو تفكرت في ما بداخلك وصورتك لعلمت ان الذي خلقك أقدر على أن يعيدك بعده موتك ويفسبك خلقا جديدا وان ذلك لو أصعبه لا يجره وأعياء خلقك الاول وأيضا فان الذي كل خلقك في أحسن تقويم بعد أن كنت نقطة من ماء مهين كيف يليق به أن يتركك سدى لا يكمل ذلك بالامر والنبى وبيان ما ينفعك ويضرك ولا تنقل لدارهى أكل من هذه ويجعل هذه الدار طريقا إليها فحكمه أحكم الحاكمين تأبى ذلك وتقتضى خلاصه قال منصور قلت للمجاهد فإيكنذك بعد الدين حتى به محمدا فقال معاذ الله انما عني به الانسان وقال قتادة الضمير لنبى صلى الله عليه وسلم واختاره الفراء وهذا موضع يحتاج الى شرح وبيان يقال كذب الرجل اذا قال الكذب وكذبت انا اذا نسيت الى الكذب ولو احدثت صدقته وكذبت اذا صدقت كذبه وان كان صادقا قال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال فانهم لا يكذبونك فالاول بمعنى وان ينسبوك الى الكذب والثاني بمعنى لا يعتقدون انك كاذب ولكنهم يعاندون ويدعون الحق بعدم معرفته جسمودا وعندما هذا أصل هذه اللفظة ويتمدى الفعل الى الخبر بنفسه والى خبره بإياه أوبى فيقال كذبه بكذا وكذبه فيه والاول أكثر استعمالا ومنه قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقوله وكذبوا بأياتنا اذا صرف هذا قوله فإيكنذك اختلف في ما هل هو بمعنى أى شئ يكذبك أو بمعنى من الذى يكذبك فمن جعلها بمعنى أى شئ تعين على قوله أن يكون الخطاب للإنسان أى أى شئ يصحك بعد هذا البيان مكذبا بالدين وقد وضعت لك دلائل الصديق والتصديق ومن جعلها بمعنى من الذى يكذبك جعل الخطاب لنبى صلى الله عليه وسلم قال الفراء كانه يقول من يقرر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له من خلق الانسان ما وصفناه وقال قتادة فمن يكذبك أيما الرسول بعد هذا بالدين وعلى قول قتادة والفراء اشكال من وجهين أحدهما اقامة ما مقام من أوامره سهل والثانى ان الجار والمحرور يستدعى متعلقا وهو لكذبك أى فمن يكذبك بالدين فلا يتخلو اما أن يكون المعنى فمن يصحك كاذبا بالدين أو مكذبا به ولا يصح واحد منهما أما الثانى والثالث فظاهر فان كذبه ليس معناه جعلته مكذبا أو مكذبا وانما معناه نسبتته الى الكذب فالعنى على هذا فمن يصحك بعد كاذبا بالدين وهذا انما يتمدى اليه بإياه الفعل المضاعف لا التلاوى فلا يقال كذب بكذا وانما يقال كذب به وجواب هذا الاشكال ان قوله كذب بكذا معناه كذب الخبر به ثم حذف المفعول به لظهور العلة حتى كانه نسي منسى وعدوا الفعل الى الخبر به فاذا قيل من يكذب بكذا فهو بمعنى كذبوك بكذا سواء أى نسوك الى الكذب فى الاخبار به بل الاشكال

في قول مجاهد والجمهور فان الخطأ اذا كان لانسان وهو المكذب اى قائل التكذيب فكيف يقال ما يكذبك اى يصحك مكذبا والمعرف كذبه اذا جعله كاذبا لا مكذبا ومثل نفسه اذا جعله قاصدا لا مقصدا لغيره وجواب هذا الاشكال ان صدق وكذب بالتشديد يراد به معنيان أحدهما النسب وهو انما يكون للفعل كما ذكرتم والثاني الداعي والحامل على ذلك وهو يكون للفاعل قال الكسا في بحال ما صدقت بكذا او ما كذبت بكذا اى ما حلت على التصديق والتكذيب قلت وهو نظير ما أجازك على هذا اى ما حلت على الاجراء عليه وما قد مك وما اخرك اى مادماك وحلت على التقديم والتأخير وهذا استعمال ما نفع موافق للحرية وبالله التوفيق ثم ختم السورة بقوله اليس الله بأحكم الحاكمين وهذا تقرير لضعف السورة من اثبات النبوة والتوحيد والعاد وحكمه يتضمن نصرته لرسوله على من كذبه وجمده ما جاء به بالجنة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا وبشرعه وأمره وحكمه بينهم في الآخرة بخواه وعقابه وان احكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الاحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الانسان في احسن تقويم ونقله في الطوارق الخلق حالا بعد حال اكل الاحوال فكيف يليق بأحكم الحاكمين ان لا يجازى الحسن بالحسن والسيئ بالسيئ وهل ذلك الافدح في حكمه وحكمته الله ما اخصر لفظ هذه السورة واعظم شأنها واتم معناها والله أعلم

فصل ومن ذلك قسم سبحانه وتعالى بالليل اذا يفتشى والنهار اذا تجمل وما خلق الذكور والانثى وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعى الانسان في الدنيا جزاء في العقبى فهو سبحانه بقسم بالليل في جميع احواله اذهو من آياته الدالة عليه فأقسم به وقت غشائه واتى بصيغة المضارع لا يفتشى شيئا بعد شيء واما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يشأها واقسم به وقت سريانه كما تقدم واقسم به وقت ادباره واقسم به اذا عسعس فقبل معناه ادبر فيكون مطابقا لقوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر وقبل معناه اقبل فيكون كقوله والليل اذا يفتشى والنهار اذا تجمل فيكون قد اقسم بقبال الليل والنهار وعلى الاول يكون القسم واقفا على انصرام الليل وبعثي النهار عقيده وكلاهما من آيات ربوبته ثم اقسم بخلق الذكور والانثى وذلك يتضمن الانقسام بالحيوان كله على اختلاف اصنافه ذكره واشاء وقابل بين الذكر والانثى كما قابل بين الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبته فان اخراج الليل والنهار بواسطة الاجرام العلوية كاخراج الذكور والانثى بواسطة الاجرام السفلية فأخرج من الارض ذكور الحيوان وانما على اختلاف انواعه كما اخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها واقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار وبالسعي وهو الذكور والانثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكور والانثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائمه ونوابه سبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كالسعي بين الليل والنهار والذكور والانثى ثم اخبر عن تفرقه بين ما يقبضه سعي الحسن وما يقبضه سعي السيئ فقال ما امن اعطى واتقى وصدق بالحسن فسيبمسه لليسرى وأما من يتقى وكذب بالحسن فسيبمسه للعسرى فتضمنت الآيتان ذكر شريعته وقدره وذكر الاعمال وجزائها وحكمة القدر في تيسير هذا

اليسرى وهذا اليسرى وان العبد ميسر بأعماله لئلا ياتها ولا يظلم برك أحدًا وذكر للتيسير
 اليسرى ثلاثة أسباب أحدها إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل ارادة الاطلاق والتعظيم
 أى اعطى ما أمر به وصحبت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول إعطاءه من نفسه الايمان
 والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر وإعطاءه الاحسان والتفجع بالله ولسانه وبدنه
 ونيته وقصده فتكون نفسه نفسها مطيعة بآلة لاثيمة مائة فالتفجع المطيعة هي الثالثة
 المحسنة التي طيعها الاحسان وإعطاء الخير اللازم والمتعدي فتعطي خيرها لنفسها ولغيرها
 فهي بمنزلة العين التي ينتفع الناس بشريهم منها وفي دواهم وانما هم وزرهم فهم ينتفعون
 بها كيف شاؤوا فهي ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك ميسر لنفع حيث حل فجزاه هذا أن
 ييسره الله اليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء السبب الثاني التقوى وهي اجتناب ما نهى الله
 عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير وضده من أسباب النصير فالتي ميسر عليه أمور دينه
 وآخرته وتارك التقوى وان ييسر عليه بعض أمور دينه نصير عليه من أمور آخرته
 بحسب ما تركه من التقوى وأما تيسير ما ييسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان
 تيسيرها عليه تام ولو قدر أنها لم تيسر له فقد ييسر الله له من الدنيا ما هو أرفع له مما ناله بغير
 النقي فان طيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وإتباعها من أعظم نعيم الدنيا وهو
 أحل من نعيم أبواب الدنيا بالشهوات والذات وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا
 فأن خبر أنه يسر على المتقى ما لا ييسر على غيره وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه
 من حيث لا يحتسب وهذا ايضا ييسر عليه بقواه وقال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
 ويعظم له أجرا وهذا ييسر عليه بازالة ما يشاء وإعطاء ما يحب ويرضاه وقال يا أيها الذين
 آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا يتيسر بالفرقان
 المتضمن البصاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة
 الذنوب وذلك غاية التيسير وقال تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون والفلاح غاية اليسر كما أن
 الشقاء غاية العسر وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من
 رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم فضلهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور أعطاها
 نصيبين من رحمته نصيبا في الدنيا ونصيبا في الآخرة وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة
 فنصيب نصيبين الثاني أعطاها نورا يمشون به في الظلمات الثالث مغفرة ذنوبهم وهذا غاية
 التيسير فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر وترك التقوى سببا لكل عسر السبب
 الثالث التصديق بالحسنى وفسرت بلاله الا الله وفسرت بالجنته وفسرت بالخلف وهي
 أقوال السلف واليسرى صفة لموصوف محذوف أى الحسنة والخلعة اليسرى وهي ضل
 من اليسر والاقوال الثلاثة ترجع الى أفضل الاجمال وأفضل الجزاء فمن فسرها بلاله
 الا الله فقد فسرها بفرد يأتى بكل جماع فان التصديق الحقيقي بلاله الا الله يستلزم
 التصديق بشعبها وفروعها كلها وجمع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة
 فلا يكون العبد مصدقا باحقيقة التصديق حتى يؤمن بالله ولا نكته وكتبه ورسله ولفظه
 ولا يكون مؤمنا بالله الا بالمسلمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعمت كماله ولا يكون مؤمنا

بأن الله لا اله الا هو حتى يسلب خصائص الالهية عن كل موجود سواء وسلبها عن اعتقاده
وارادته كما هي منفية في الحقيقة والمخارج ولا يكون مصدقا بها من نفي الصفات الملبوا
من نفي كلامه وتكليمه ولا من نفي استواءه على عرشه وانه يرفع اليه الكلم الطيب والعمل الصالح
وانه رفع المسيح اليه وأمرى برسوله صلى الله عليه وسلم اليه وانه يدبر الامر من السماء الى
الارض ثم يخرج اليه الى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا
يكون مؤمنا بهذه الكلمة مصدقا بها على الحقيقة من نفي عموم خلقه لكل شيء وقدرته على
كل شيء وعلمه بكل شيء وبهذه الاجساد من القبور ليوم القيامة ولا يكون مصدقا بها من
زعم انه يترك خلقه سدى لم يأمرهم ولم ينههم على السنة رسوله وكذلك التصديق بها يقتضي
الاذمان والافتراء بحقوقها وهي شرائع الاسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق
بجميع أخباره وامثال أوامره واجتناب نواهيه هو تفصيل لاله الا الله فالصدق بها على
الحقيقة الذي يأتي بذلك كله وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الإطلاق الا بهما
وبالقيام بحقوقها وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الإطلاق الا بهما وصفها بالقوبة في الدنيا
والآخرة على تركها أو ترك حقها ومن فسر الحسن بالجنة فسرهابا على أنواع الجزاء وكاله
ومن فسرهابا بالخلف ذكر نواحيها من الجزاء فهذا جزاء دنوى والجنة الجزاء في الآخرة فراجع
التصديق بالحسن الى التصديق بالايان وجزائه والتعقبات أنها تسأل الامرين وتأمل ما
اشتملت عليه هذه الكلمات الثلاث وهي الاعطاء والتقوى والتصديق بالحسن من العلم
والعمل وتضمنته من الهدى ودين الحق فان النفس لها ثلاث قوى قوة البذل والاعطاء
وقوة الكف والامتناع وقوة الادراك والفهم ففيها قوة العلم والشعور وبهذه قوة الحب
والارادة وقوة البغض والنفرة فهذه القوى الثلاثة عليها مدار صلاحها وسعادتها وبفسادها
يكون فسادها وشقاؤها ففساد قوة العلم والشعور يوجب له التكذيب بالحسن وفساد
قوة الحب والارادة يوجب له ترك الاعطاء وفساد قوة البغض والنفرة يوجب له ترك الاقتناء
فاذا كانت قوة حبه وارادته باعطائه ما أمر به وقوة بغضه ونفرة بانقاؤه ما نهى عنه
وقوة علمه وشعوره بتصديقه بكلمة الاسلام وحقوقها وجزائها فقد زكى نفسه وأعداها
لكل حالة يسرى ففسادت النفس بذلك ميسرة ليسرى ولما كان الدين يدور على ثلاث
قواعد فعل المأمور وترك المحذور وتصديق الخبر وان شئت قلت الدين طلب وخبر
والطلب نومان طلب فعل وطلب ترك تضمنت هذه الكلمات الثلاث مراتب الدين أجمعها
فالاعطاء فعل المأمور والتقوى ترك المحذور والتصديق بالحسن تصديق الخبر فانتظم ذلك
الدين كله وأكل الناس من كلت له هذه القوى الثلاث ودخل النقص بحسب نقصانها
أو بعضها فمن الناس من يكون قوة اعطائه وبذلك أتم من قوة انكشافه وتركه قوة الترك
فيه أضعف من قوة الاعطاء ومن الناس من يكون قوة الترك والانكشاف فيه أتم
من قوة الاعطاء والمنع ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الاعطاء والمنع
قوته العلمية والشعورية أتم من قوته الارادية وبالعكس فيدخل النقص بحسب ما نقص من
قوة هذه القوى الثلاث ويقتوي من التيسير ليسرى بحسب ما فاته منها ومن كلت له هذه القوى

يسر لكل يسرى قال ابن عباس فسيسره ليسرى أن نهوؤه لعمل الخير يسر عليه أعمال الخير وقال مقاتل والكلبي والفراء يسره لعمود إلى العمل الصالح وحقيقة اليسرى أنها الخلقة والحالة السهلة النافذة الواقعة وهي ضد اليسرى وذلك يتضمن يسره لتيسر وأسيابه فيسرى الخير ويسرى على قلبه وبذنه ولسانه وجوارحه فتصير خصال الخير يسيرة عليه مذللة له متقادة لا تستعصى عليه ولا تستصعب لانه مهيا لها يسر لعملها يسلك سبلها ذللا وتيسر له ملاوعلا فاذا خافته قلت هو الذي قبل فيه

مبارك الطلعة ميمونها * يصلح لدنيا ولدين

وأما من يحل فعله قوة الإرادة والأعضاء عن فعل ما أمر به واستغنى بترك التقوى من ربه ففعل قوة الانكشاف والترك من فعل ما نهى عنه وكذب بالحسنى ففعل قوة العلم والشعور عن التصديق بالإيمان وجزائه فسيسره لعمري قال عطاء سوف أحول بين قلبه وبين الإيمان في ورسولي وقال مقاتل يسره عليه أن يعطى خيرا وقال عكرمة عن ابن عباس يسره للشر قال الواحدى وهذا القول لأن الشر يؤدي إلى العذاب فهو الخلقة اليسرى والخير يؤدي إلى اليسر والراحة في الجنة فهو الخلقة اليسرى يقول سفيان الثوري يسره على يديه قال الفراء العرب تقول قد يسرت غنم فلان اذا تبيأت للولادة وكذلك اذا ولدت وغزرت البساتين اى يسرت ذلك على أصحابها انتهى والتيسر لعمري يكون بأمرين أحدهما أن يحول بينه وبين أسباب الخير فيسرى الشر على قلبه وتنهى لسانه وجوارحه والثاني أن يحول بينه وبين الجزاء الايسر كحال بينه وبين أسبابه فان قبل كيف قابل اتقى ما استغنى وهل يمكن العبد أن يستغنى عن ربه طرفة عين قيل هذا من أحسن المقابلة فان المتقى لما استشعر قربه وفائقته وشدة حاجته إلى ربه انقاد ولم يعرض لخطئه وخطبه ومقته بارة كاب ملناه عنه فان كان شديد الحاجة والضرورة إلى شخص فانه يتقى غضبه وخطئه عليه غاية الاتقاء ويحاسب ما يكرهه غاية الجحابة ويعتمد فعل ما يحبه ويؤثره ضابط التقوى بالاستغناء بغيره بالحال تارك التقوى ومبالغة في ذمه بأن فعل فعل المستغنى من ربه لأفضل الفقير المضطر إليه الذي لا ملجأ له الا إليه ولا خفي له من فضله وجوده وبره طرفة عين فلهذا ما أحلاه هذه المقابلة وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها والشرور كلها وأسبابها فبعضان من تعرف إلى خصائص عبادته بكلامه وتعلم لهم فيه فهم لا يطلبون أثرا بعد عين ولا يستبدلون الحق بالباطل والصدق باليمين وقد تضمنت هاتين الآيتين فصل الخطاب في مسألة القدر وإزالة كل لبس واشكال فيها وذلك بين بحمد الله وفي فهمهم ولهذا أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم أن أورد عليه السؤال الذي لا يزال الناس يلجئون به في القدر فأجاب بفصل الخطاب وإزالة الاشكال ففي الصحاحين من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة والنار قيل يا رسول الله ألا تدع العمل وتشكل على الكتاب قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ما ما من أعطي واتى وصديق بالحسنى فسيسره ليسرى قد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية وثبات القدر والشرع وثبات الكتاب الاول المتضمن لعلم الله سبحانه الاشياء قبل كونها وثبات خلق الفعل الجزائي وهو يظل أصول القدرية الذين يمنعون خلق الفعل

مطلقاً ومن أفرغهم بخلق الفعل الجزاء دون الابتداء هدم أصله وتفنن قاعدته والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بمثل ما أخبر به الرب تعالى أن العبد ميسر لما خلق له لا يجوز أن يطلب لفظ بدعي والتيسير لفظ القرآن والسنة وفي الحديث دلالة على أن الصحابة كانوا أهل الناس بأصول الدين فانهم تلقوها عن أهل الملقى بالله على الإطلاق وكانوا إذا استشكلوا شيئاً سألوه عنه وكان يصحهم بإزالة الاشكال وبين الصواب فهم الصارفون بأصول الدين حقاً لاهل البدع والاهواء من المتشككين ومن ملك سيلهم وفي الحديث استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على مسائل أصول الدين بالقرآن وإرشاده الصحابة لا متبناها منه خلافاً لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشيء من أصول الدين ولا يجوز أن تسفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه وعبر عن ذلك بقوله الأدلة القطعية لا تفيد اليقين وفي الحديث بيان أن من الناس من خلق للسعادة ومنهم من خلق للشقاوة خلافاً لمن زعم أنهم كلهم خلقوا للسعادة ولكن اختاروا الشقاوة ولم يخلقوا لها وفيه اثبات الآسيب وأن العبد ميسر للآسيب الموصلة له إلى ما خلق له وفيه دليل على اشتقاق السنة من الكتاب ومطابقتها له فتأمل قوله أعلموا فكل ميسر لما خلق له ومطابقته لقوله تعالى فأما من أعطى واتقى إلى آخر الآيتين كيف انتظم التشرع والقدر والسبب والمسبب وهذا الذي أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي فطر الله عليه عباده بالحيوان البهيم بل مصالح الدنيا وصارت بها ذلك فلو قال كل أحد أن قدر لي كذا وكذا فلا بد أن آله وأن لم يقدر فلا يميل إلى نيله فلا يسعى ولا تحرك لعدم السفهاء الجهال ولم يمكنه طرد ذلك أبداً وإن اتى به في أمر معين فهل يمكنه أن يطرد ذلك في مصالحه جميعها من طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وهرجه وما يضاد بقائه وينافي بمصلحه أم يجد نفسه غير منفكة ألبتة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أعلموا فكل ميسر لما خلق له فإذا كان هذا في مصالح الدنيا وأسباب منافستها فما الموجب لتعطيله في مصالح الآخرة وأسباب السعادة والفلاح ورب الدنيا والآخرة واحد فكيف يمتثل ذلك في شرح الرب وأمره ونهييه ويستعمل في إرادة العبد وأمره وشهوته وهل هذا إلا بعض الظلم والجهل والإنسان ظلم جهول ظلم نفسه جهول بربه فهذا الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم وتلى عنده هاتين الآيتين موافقاً لما جعله الله في عقول العقلاء وركب عليه فطر الخلق حتى الحيوان البهيم وأرسل به جميع رسله وأنزله جميع كتبه ولو اتكلم العبد على القدر ولم يعمل لتعطلت الشرائع وتعطلت مصالح العالم وفسد أمر الدنيا والدين وأغاب سروح إلى ذلك مسطوا الترائع ومن خلغ ربة الأوامر والنواهي من عقده ذلك ميراث من أخوانهم المشركين الذين دفعوا أمر الله ونهييه وطأرضوا شرعه بقضائه وقدره كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم في غير موضع من كتابه كقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى اذقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تبصرون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرمصون قل فته ألهة الباطلة فلو شاء لهذا أم أجدهم وقال تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرجل الإيلاج المبين وقال تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم

حالم بذلك من علم انهم الاشرعون وقال تعالى واذا قيل لهم انفقوا عارضةكم الله قال الذين
كفروا الذين آمنوا انهم من لويشاه الله اطعمه ان انتم الا في ضلال بين فان قيل فالاطعام والنقوى
والتصدق بالحق هي من اليسرى بل هي اصل اليسرى من يسرها لمبدأ ولا وكذلك اضدادها
فيل الله سبحانه هو الذي يسر للعبد اسباب الخير والنسوخ خلق خلقه قسمين اهل سعادة فيسرهم
لليسرى واهل شقاوة فيسرهم لليسرى واستعمل هؤلاء في الاسباب التي خلقها لخلقها لئلا ياتوا
لا يصلحون لسواها هؤلاء في الاسباب التي خلقها لئلا ياتوا لسواها وحكمته الباهرة تأتي
أن يضع عقوبته في موضع لا تصلح له كما يأتي أن يضع كرامته وثوابه في محل لا يصلح له ولا يليق به بل
حكمته آحاد خلقه تأتي ذلك ومن جعل محل المسك والرجيع واحداً ومن أسفه السفهاء فان قيل
فلم جعل هذا اليلقي به الا الكرامة وهذا اليلقي به الا الاهانة قيل هذا سؤال جاهل لا يستحق الجواب
كأنه يقول لم خلق الله كذا وكذا فان قيل وعلى هذا فهل لهذا الجاهل من جواب لعله يشق من جهله
قيل نعم شأن الربوبية خلق الاشياء واضدادها وخلق الملزومات ولوازمها وذلك هو محض الكمال
فالمر لازم والمزوم السفل والليل لازم والمزوم النهار وكال هذا الوجود بالمر والبرد
والصحر والظم ومن لوازم الطبيعة الحيوانية الصحة والمرض واختلاف الارادات والمراتبات
ووجود اللازم بدون ملزومه مجتمع ولولا خلق التضادات لما صرف كمال القدرة والمشيئة
والحكمة ولما ظهرت احكام الاسماء والصفات وظهور احكامها وآثارها لا بد منه اذ مقتضى
الكمال المقدس والمقتضى انما اذا اعطيت اسم الملك حقته ولن تستطيع حمل ان الخلق والامر
والتواب والعقاب والعطاء والحرام امر لازم لصفة الملك وان صفة الملك تقتضي ذلك
ولا بد وان تطل هذه الصفة امر متبع فالملك الحق يقتضي افعال الرسل وانزال الكتب
وامر العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم واكرام من يستحق الاكرام واهانة من يستحق الاهانة
كما تستلزم حياة الملك وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ورجته ورضاه
وغضبه واستوائه على سريره ملكه يدبر امر عباد وهدى الاشارة تكفي القريب في مثل هذا الموضع
ويطلع منها على ارض موقفة وكنوز من المعرفة وبالله التوفيق

فصل في ثم قال تعالى ان علينا الهدى وان لنا للاخرة والاولى قيل معناه ان علينا
ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال قال قتادة على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته
ومعصيته اختاره ابو اسحق وهو قول مقاتل وبجاعة وهذا المعنى حق ولكن مراد الآية
شيء آخر وقيل المعنى ان علينا الهدى والاضلال قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية
عطاء بن رباح ان اول ما اتي الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي وبين ان يعملوا بطاعتي قال القراء
فترك ذكر الاضلال كما قال سرايل نعيمكم الحرام والبرد وهذا اخضع من القول الاول
وان كان معناه صحيحاً فليس هو معنى الآية قيل المعنى من سلك الهدى ضل الله سبيله كقول
وعلى الله قصد السبيل وهذا قول مجاهد وهو اصح الاقوال في الآية قال الواحدي عليه الهدى
اي ان الهدى يوصل صاحبه الى الله والى ثوابه وجنته وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع
هنا وفي النحل قوله وعلى الله قصد السبيل وفي الجبر في قوله هذا صراط على مستقيم
وهو معنى شريف جليل يدل على ان سالك طريق الهدى يوصله طريقه الى الله ولا بد والهدى

هو الصراط المستقيم فمن سلكه اوصله الى الله فذكر الطريق والغاية فالطريق الهدى والغاية الوصول الى الله فهذه اشرف الوسائل وغايتها اهل الغايات ولما كان مطلوب السالك الى الله تحصيل مصالح دنياء وآخرته لم يتم هذا المطلوب الا بتوحيد طلبه والمطلوب منه ما علم سبحانه ان سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئا وان الدنيا والآخرة جميعا له وحده فاذا يقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده فتضمنت الايتان اربعة امور هي المطالب الصالئ ذكر اهل الغايات وهو الوصول الى الله سبحانه واقرب الطرق والوسائل اليه وهي طريقة الهدى وتوحيد الطريق فلا يصل منها الى غيرها وتوحيد المطلوب وهو الحق فلا يصل عنه الى غيره فاقبض هذه الامور من مشكاة هذه الكلمات فان هذه غاية العلم والفهم وبالله التوفيق والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة والانتطاع وتخالف الوصول يقع من الشركة في هذه الامور او في بعضها فالشركة في المطلوب تنافي التوحيد والاخلاص والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيم والشركة في الطريق تنافي اتباع الامر بالا ول يوقع في الشرك والرياء والثاني يوقع في المعصية والباطلة والثالث يوقع في البدعة ومفارقة السنة فتأمله فتوحيد المطلوب بعصم من الشرك وتوحيد الطلب بعصم من المعصية وتوحيد الطريق بعصم من البدعة والشيطان انما نصب فتنه بهذه الطرق الثلاثة ولما أقام سبحانه الدليل واثار السبيل وأوضح الحجية وبين المحجة اذبح عباده مذابه الذي احده لمن كذب خبره وتولى عن مساعته وجعل هذا الصنف من الناس هم أشقاهم كما جعل الله لهم أهل التقوى والايمان والاخلاص فهذا الصنف هو الذي يحب مذابه كما قال وسبحن بها الاتقى الذي يؤتى ماله بترك هذا التقي الحسن لا يفضل ذلك الا ابتغاء وجده به فهو مختص في تقواه واحسانه وفي الآية الارشاد الى ان صاحب التقوى لا ينبغي له ان يفعل من الخلق ونعمهم وان حل منهم شيئا يادر الى جزائهم عليه فلا يتقى لاحد من الخلق عليه نعمة تجزى فيكون بعد ذلك عمله كله وحده ليس جزاء لمخلوق على نعمته ونبيه بقوله تجزى على ان نعمة الاسلام التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الاتقى لا تجزى فان كل ذي نعمة يمكن جزاء نعمة الانعمة الاسلام فانها لا يمكن النعم به اعليه ان تجزى بها وهذا يدل على ان الصديق اول وأول من ذكر في هذه الآية هو احق الامية بها فان عليا رضي الله عنه تربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده نعمة غير نعمة الاسلام يمكن ان تجزى ونبيه سبحانه بقوله الا ابتغاء وجده به الاعلى على ان من ليس لمخلوق عليه نعمة تجزى لا يفضل ما يفعله الا ابتغاء وجده به الاعلى بخلاف من لطرق ذم المخلوقين ومنتم فانه مضطر الى ان يفضل لاجلهم ويترك لاجلهم ولهذا كان من كان الاخلاص ان لا يصل العبد عليه منة لاحد من الناس لتسكون معاملته كلها ابتغاء وجهه وطلب مرضاه فكما ان هذه الغايات اهل وهذا المطلوب اشرف المطالب فهذه الطريق اقصد الطرق اليه واقر بها واقومها وبالله التوفيق

فصل ومن ذك اقسامه سبحانه بالضمي والليل اذا مضى على انما هو على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه واعطائه ما يرزىه وذلك متضمن لتعديقه له فهو قسم على محبة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم باليتين عظمتين من آياته

دالين على ربه يمتدح حكمتهم ورجعتهم هما الليل والنهار تأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضمى
 الذى يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى
 قال أعداؤه ودع محمدا به فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد
 ظلمة احتباسه واحتباسه وأيضاً فان طلق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذى فلق ظلمة الجهل
 والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان القسم وهذان العقل وايضاً فان الذى اقتضت رغبته
 ان لا يترك عبادة في ظلمة الليل سرمداً بل هداً بضوء النهار الى مصالحهم ومفائدهم لا يلقى
 به ان يتركهم في ظلمة الجهل والغبى بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دينهم
 وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والروفي الذى
 على هذه الالفاظ والجلالة التى على معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قتله
 فالتوديع الترك والى البعض فالترك من ذاهتى به واكرمه ولا يفضله من ذاهبه واطلق
 سبحانه ان الآخرة خير له من الاولى وهذا من كل احواله وان كل حالة رقيه اليها من خير له مما
 قبلها كما ان الدار الآخرة خير له مما قبلها ثم وعده بانقر به عينه ونفرح بنفسه وينشرح
 به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا من ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر وكثرة
 الاتباع ورفح ذكره واعلاء كثرته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موفاة القيامة وما يعطيه
 في الجنة وامامنا يمتدح به الجلال من انه لا يرضى وواحد من امته في النار او لا يرضى ان
 يدخل احد من امته النار فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه
 عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يشقها من
 الكفار والعصاة ثم يجدد له حداثته فيهم ورسوله احرف به ويحقره من ان يقول لا يرضى
 ان يدخل احداً من امته النار ان يدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذنه فيشفع فيمن شاء الله
 ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذنه ورضيه ثم ذكر سبحانه نعمه عليه من
 ابوائه بعد يده وهدايته بعد الضلالة واغناؤه بعد الفقر فكان محتاجاً الى من يؤويه
 ويهديه ويغنيه فأمره وهداه واغناه فأمره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يلقى بها
 من الشكر فنهان بهم البيت وان ينهر السائل وان يكتم التمتع بل يحدث بها فأوصاه
 سبحانه باليسار والفقراء والمعلمين قال بجاهد ومقاتل لا تفقر البيت فقد كنت يتيماً
 وقال الفراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضغطه وكذلك كانت العرب تفعل في أمر
 اليتيم تأخذ أموالهم وتظلمه فظلم الخياط في أمر اليتيم وكذلك من لا ناصر له يظلم في
 أمره وهو نهي لجميع المكلفين وأما السائل فلانهر قال أكثر المفسرين هو سائل المعروف
 والصدقة لانهره اذا سألت فقد كنت فقيراً فاما أن تطعمه واما أن ترده ردنا قال الحسن
 اما أنه ليس بالسائل الذى يأبى ولكن طالب العلم وهذا قول يحيى بن آدم قال اذا جاءك
 طالب العلم فلا تنهره والعقيق ان الآية تتناول التوعين وقوله واما بنعمة ربك فحدث
 قال بجاهد بالقرآن وقال الكلبي بسنى أظهرها والقرآن أحسن ما أنعم الله به عليه فأمره أن
 يقربه ويصله وروى أبو بشر عن مجاهد حدث بالنبوة التى أعطاك الله وقال الزجاج
 بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك وهى أجل النعم وقال مقاتل اشكر هذه

النعمة التي ذكرت في هذه السورة والقصص ان النعم تم هذا كله عامر أن لا ينهر سائل
المعروف والعلم وان يحدث بنم الله عليه في الدين والدنيا

فصل في ومن ذلك أقسامه سبحانه بالماديات ضيها والموريات قدسها فانه يرات
ضيها وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك فدل على ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهما هي ابل الحاج تعدو من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى معي وهذا اختيار
محمد بن كعب وابن صالح وجاعة من المفسرين وقال عبد الله بن عباس هي خيل
الغزاة وهذا قول أصحاب ابن عباس والحسن وجاعة واختاره القراء والزجاج قال أصحاب
الابل السورة مكبة ولم يكن ثم جهاد ولا خيل تجاهد وانما اقم بايمرفونه وبألفونه
وهي ابل الحاج اذا عدت من عرفة الى مزدلفة فهي عاديات والضبح والضبع مدانقة ضيها
في السير يقال ضيحت وضعت بمعنى واحد وانشد ابو عبيدة وقد اختار هذا القول

فكان لكم اجري جميعا واضيحت في البازل الوجناء في الال تضيع
قالوا هي تعدو ضيها فتورى باخفاها النار من حلك الاجار بعضها بعض فتثير النقع وهو القبار
بعدوها فتوسط جميعا وهو المزدلفة قال أصحاب الخيل المعروف في اللغة ان الضبح اصوات
انفاس الخيل اذا عدون والمعنى والماديات ضابحة فيكون ضيها مصدر اعلى الاول وحالا على
الساكن قالوا والخيل هي التي تضيع في عدوها ضيها وهو صوت يسمع من اجوافها ليس
بالصهيل والحكمة ولكن صوت انفاسها في اجوافها من شدة العدو وقال الجرجاني كلا
القولين قدسها في التفسير الا ان السياق يدل على انها الخيل وهو قوله تعالى قالوريات قدسها والاياء
لا يكون الا للساكن لصلابته واما الخلف ففيه لب واسترخاء انتهى قالوا والضبح في الخيل اظهر
منه في الابل والاياء لصلاب الخيل ايب منه لاخفاف الابل قالوا والنقع هو القبار واثارة الخيل
بعدوها لما اظهر من اثاره اخفاف الابل والضبح في به عائد على المكان الذي تعدو فيه قالوا
واعظم ما يثير القبار عند الاشارة اذا توسطت الخيل جمع العدو لكثرة حركتها واضطرابها
في ذلك المكان واما حل الآية في اثاره القبار في وادي محسر عند الاشارة فليس بالبين ولا
يشور هناك خبر في الغالب اصلاب المكان قالوا واما قولكم انه لم يكن بكفة حين نزول الآية
جهاد ولا خيل تجاهد فهذا لا يلزم لانه سبحانه اقم بايمرفونه من شأن الخيل اذا كانت في غزو
فاظارت فاثارت النقع وتوسطت جمع العدو وهذا معروف وذكر خيل المصاهدين احق
ما دخل في هذا الوصف فذكره على وجه التخييل للاختصاص فان هذا شأن خيل المقاتلة
واشرف انواع الخيل خيل المصاهدين والقسم اتاوقع بما تضمنه شأن هذه الماديات من
الآيات الدينات من خلق هذا الحيوان الذي هو من اكرم الميم واشرفه وهو الذي يحصل
به العزو الظفر والنصر على الاعداء فيعدو طالبا للعدو وهاربة منه فيسير عدوها القبار لشدة
وتورى حوافرها ونايكها النار من الاجار لشدة عدوها فتدرك الغارة التي طلبتها حتى يتوسط
جمع الاعداء فهذا من اعظم آيات الرب تعالى وادلة قدرته وحكمته فذكرهم بنعمه عليهم في خلق
هذا الحيوان الذي يتصورون به على اعدائهم ويدركون به اثارهم كما ذكرهم سبحانه بنعمه عليهم
في خلق الابل التي تحمل افعالهم من بلد الى بلد قال بل اخص يحمل الاثقال والخيل اخص

بنصرة الرجال فذكرهم بنعمه بهذا وهذا ونخصي الاشارة بالصريح لان العدولم ينتشروا اذذاك ولم يفارقوا محملهم واصحاب الاشارة حامون مستريحون يصرون مواقع الفارقة العدولم يأخذوا ابيتهم بل هم في فرقتهم وغفلتهم ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الفارة صبر حتى يطلع الغبير فان سمع مؤذنا مسك والافار ولما سلم اصحاب الابل ان اخفافا ابعدشي من وري النار تأولوا الآية على وجوه بعيدة فقال محمد بن كعبهم الحجاج اذا أودوا نير انهم ليلة المزدلفة وعلى هذا فيكون التقدير فالجملات الموريات وهذا خلاف الظاهر وانما الموريات هي العاديات وهي المغيرات وروي محمد بن جبير عن ابن عباس هم الذي يغيرون فيورون بالابل نير انهم لطعامهم وحاجتهم كأنهم اخذوه من قوله تعالى افرأيت النار التي تورون وهذا ان اريد به التثليل وان الآية تدل عليه فصح وان اريد به اختصاص الموريات فليس كذلك لان الموريات هي العاديات بعينها ولهذا عطفها عليه يالفا التي فتسبب فانها حدث فأورت وقال قتادة الموريات هي الخيل توري نار العداوة بين المقتتلين وهذا ليس بشئ وهو بعيد من معنى الآية وسياقها واضحف منه قول عكرمة هي الاسنة توري نار العداوة بضم ما تكلم به واضحف منه ما ذكره مجاهد في افكار الرجال توري نار المكر والخديعة في الحرب وهذه الأقوال ان اريد ان اللفظ دل عليها وانها هي المراد فخط وان اريد انما اخذت من طريق الاشارة والقياس فامر هاقريب وتفسير الناس يدور على ثلاثة اصول تفسير على اللفظ وهو الذي ينعو اليه المتأخرون وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الاشارة والقياس وهو الذي ينعو اليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط ان لا يناقض معنى الآية او ان يكون معنى صحيحا في نفسه وان يكون في اللفظ اشعار به وان يكون بينه وبين معنى الآية ارتباطا وتلازم فاذا اجتمعت هذه الامور الاربعة كان استنباط احسننا واضحف من ذلك كله قول ابن جريج قدحاي في فالتجسسات امر اريد البالغين بعضهم فيما طلبوه وعطف قوله فآثرن فوسطن وهما فضلان على العاديات والموريات لما فيه من معنى الفعل وكان ذكر الفعل في اثرن ووسطن احسن من ذكر الاسم لانه سبحانه قسم افعالنا الى قسمين وسيلة وغاية فالوسيلة هي العدو وما يتبعه من الابراء والاشارة والمعاينة هي توسط الجمع وما يتبعه من اثاره النقع فمن عاديات موريات مغيرات حتى يتوسطن الجمع ويترن النقع فالاول شأنه الذي احدث له والثاني فعله الذي اتبعه اليه والله اعلم في فصل في هذا شأن القسم وأما شأن القسم عليه فهو حال الانسان وهو كون الانسان كنودا بشهادته على نفسه أو شهادته به عليه وكونه بخيلا حله بالمال والكنود لخمعة وفله كند يكند كنودا مثل كفر يكفر كفورا وراوا الارض الكنود التي لا تثبت شيأ وامرأة كندى اى كفورا للمعاشرة واصل اللفظ منع الحق والخير ورجل كنود اذا كان مانعا لخاصه من الحق وعبارات المفسرين تدور على هذا المعنى قال ابن عباس رضي الله عنهما واصحابه رحمهم الله تعالى هو الكفور وقيل هو البخل الذي يمنع رفقده ويبيع عبده ولا يعطى في النأبة وقال الحسن هو هو اقوام لربه يعدل المصائب وينسى النعم واما قوله وانه على ذلك لشهيد فقال ابن عباس يريد ان ربه على ذلك شهيد وقيل ان الانسان لشهيد على ذلك ان أنكر بلسانه شهد ربه عليه حاله ويؤيد هذا القول سياق الضمائر فان قوله وانه لحب الخير لشديد للانسان

فاقتض الخبر عن الانسان يكونه كنودا ثم شاء يكونه شهيدا على ذلك ثم خففه بكونه نبيا لله
 لجه اياه وبؤيد قول ابن عباس رضى الله عنهما انه لى على فقال وانه على ذلك لشهيد على
 مطلع عالم به كقوله ثم الله شهيد على ما يفتلون ولو اريد شهادة الانسان لآتى بالباء فقبل
 وانه بذلك لشهيد كما قال تعالى ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
 بالكفر فلو اراد شهادة الانسان لقال وانه على نفسه لشهيد فان كنوده المشو به ونفسه
 هي المشهود عليها ثم قال تعالى وانه لحب الخير لشديد والخير ههنا المال باتفاق المفسرين والشديد
 البضيل من اجل حب المال فحب المال هو الذى حله على البضيل هذا قول الاكثرين وقال ابن قتيبة بل
 الحق انه لشديد الحب الضير فتكون اللام في قوله لحب الخير متعلقة بقوله لشديد على حد ما لى
 فقلت انه زيد لاضارب ومنعت طائفة من النعاة ان يعمل ما يبعد اللام فيما قبلها هذه الآيات مجدة على
 الجواز فان قوله ليه ممول لكونه وقوله على ذلك ممول لشهيد ولا وجه لتكلف البارد
 في تقدير حامل مقدم محذوف بفسره هذا المذكور فالحق جواز ان زيد لاضارب فوصف
 سبحانه الانسان بكفر ان ثم ربه وبخلفه بما آتاه من الخير فلا هو شكور لانهم ولا يحسن الى خلفه
 بل يتقبل بشكره بخيل به الله وهذا ضد المؤمن الكريم فانه محض ليه بحسن الى خلقه
 فالمؤمن له الاخلاص والاحسان والتفاجر له الكفر والبطل وقد ذم الله سبحانه هذين الخليقين
 المهلكين في غير موضع من كتابه كقوله فويل للمصلين الذين هم من صلاتهم ساهون
 الذين هم يراؤن ويعتون المأهون فالاخلاص والاحسان وكذلك قوله تعالى والله لا يحب
 كل مختال فخور الذين يفتلون ويأمرسون الناس بالبطل ويتكفون ما آتاهم الله من فضله
 فاختياله وفخره من كفره وكنوده وهذا ضد قوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
 وعما رزقاهم يتفقون وقوله وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية وكذلك
 ذكر الخليقين الذميين في قوله الذين يفتنون اموالهم رآه الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر ونظيره وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا عما رزقهم الله ونظيره ما تقدم
 في سورة البقرة من دم المستغنى البضيل ومدح المعطى المصدق بالحسنى ويل لكل همزة لزة
 الذى جمع مالا وعدده فان الهزة والهمزة من القصور والكبر وجمع المال وتمديده من البطل
 وذلك مناف لسر الصلاة والزكاة ومقصودهما ثم خوف سبحانه الانسان الذى هذا وصفه
 حين يكثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور اى ميز وجمع وبين واظهر ونحو ذلك وجمع
 سبحانه بين القبور والصدور كما جمع بينهما التى صلى الله عليه وسلم في قوله ملائكة الله اجوافهم
 وقبورهم ناراقان الانسان يوارى صدره ما فيه من الخير والشر ويوارى قبره جسمه فيخرج
 الرب جسمه من قبره وسره من صدره فيصير جثته بارزا على الارض وسره باذاعلى وجهه
 كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقال سبحانه على المخرطوم
 فصل ﴿ ومفعول العلم ان حملت فيه وكسرت لمكان اللام وقد سبحانه كونه خبير ائتم
 ذلك اليوم وهو خبير بهم في كل وقت المدا بالجزاء وانه يجازيهم في ذلك اليوم بما عملوه منهم
 فذكر العلم والمراد لازم الله سبحانه وتعالى اهل
 فصل ﴿ ومن ذلك انما بالصدر على حال الانسان في الآخرة وهذه السورة على غاية

وكانه وتكليه موقوف على أمرين علم بالحق وصبر عليه فضمت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني من العلم النافع والعمل الصالح والاحسان الى نفسه بذلك والى أخيه به واتقياده وقبوله لمن يأمره بذلك وقوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ارشاد الى منصب الامامة في قوة الدين كقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فيها الصبر واليقين مثال الامامة في الدين والصبر نوح بالقدور كالمصاب وتوعد بالمشروع وهذا النوع أيضا نوحا صبر على الاوامر وصبر عن التواهي فذلك صبر على الارادة والفعل وهذا صبر عن الارادة والفعل فاما النوع الاول من الصبر فشارك بين المؤمن والكافر والبر والعاجر لا ياب عليه لجرده ان لم يقترن به ايمان واختيار قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق ابنته مرها قالت صبر ولتصبر وقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير وقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وان تصبروا وتتقوا فالصبر بدون الايمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الايمان والتقوى وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور وقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق ولا يستغفرك الذين لا يؤمنون بأمره أن يصبر ولا يشبه بالصبر لا يقين عندهم في عدم الصبر فانهم لعدم يقينهم عدم صبرهم وخفوا واستخفوا قومهم ولو حصل لهم اليقين والحق وخفوا واستخفوا من قل يقينه قل صبره ومن قل صبره خف واستخف فالحق الصابر رزين لانه ذولب وعقل ومن لا يقينه ولا صبر خفيف طائش تلعب به الالهواء والشهوات كأن لعب الرياح بالنسيء الخفيف والله المستعان

ونصل به ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماء ذات البروج التي نزلها الشمس والقمر وفمرت بالنبوءات ونوع منها وفمرت بالقصور العظام وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته فان السماء ككرة متشابهة الاجزاء والشكل الكروي لا يتغير منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع بل هو متساوي الجوانب ففعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها وأشكالها وقاديرها يستحيل ان يوجد بغير قاعل ويستحيل ان يكون قاعله غير تبار ولا عالم ولا مرید ولا حي ولا حكيم ولا باين للمفعول وهذا نحوه مما هدم قواعد الطباقية والملاحدة والفلاسفة الذين لا يثبتون للعالم ربا يأنسا قادرا قاعلا بالاختيار طالما تفاسيله حكما مديرا له فبروج السماء هي منازل اهل منازل السيارة التي فيها من اعظم آياته سبحانه فلهذا اقسام بها مع السماء ثم اقسام باليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو المقسم به وعليه كان القرآن يقسم به وعليه ودال على وقوع اليوم الموعود باتفاق جميع الرسل عليه وبما عرفه عباده من حكيمته ومنه التي تأتي ان يتركهم سدى ويخلطهم صبا وغير ذلك من الآيات والبراهين التي يستدل بها سبحانه على امكانه تارقه على وقوه تارقه على تزيده عما يقول احد ائمة من انه لا يأتي به تارة فالاقسام به عند من آمن بالله كالاقسام بالسماء وغيرها من الموجودات المشاهدة بالعين ثم اقسام سبحانه بالشاهد والمشهود مطلعين غير معينين واعمال المعاني فيه أنه المدرك والمدرك والعالم والمعلوم والرائي والمرق وهذا الابق المعاني وما عداها من الاقوال ذكرت على وجه التمثيل لا على وجه التخصيص فان قيل فارجد الارتباط بين هذه الامور الثلاثة انقسم بها قبل هي بحمد الله في غاية الارتباط والاقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة وكل منها آية مستقلة دالة على ربوبيته وآلئيته

ما قسم بالصالح العلوي وهي السماء وما فيها من البروج التي هي أعظم الامكنة واوسعها ثم
 أقسم بأعظم الايام واجلها قدرا الذي هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه ومجمع
 اوليائه وأعدائه والحكم بينهم بجله وعدله ثم أقسم بما هو أهم من ذلك كله وهو الشاهد والمشهود
 وناسب هذا القسم ذكر اصحاب الاخذود الذين حذبوا اوليائه وهم شهود على ما يفعلون
 بهم والملائكة شهود عليهم بذلك والانبياء وجوارحهم تشهد به عليهم وأيضا فالشاهد هو المطلع
 والرقيب والخبر والمشهود وهو المطلع عليه الخبر والمشاهد فنوع الخلقية الى شاهد ومشهود
 وهو اقدر القادرين كما توهمها الى مرقى لنا وغير مرقى كما قال فلا أقسم بما تبصرون
 وما لا تبصرون كما توهمها الى ارض وسماء وليل ونهار وذكر وانتي وهذا التنوع والاختلاف
 من آياته سبحانه كذلك توهمها الى شاهد ومشهود وقبصر آخر وهو ان من الخلوقات
 ما هو مشهود عليه ولا يتم نظام الصالح الا بذلك فكيف يكون الخلق شاهدا رقيبا
 حفيظا على غيره ولا يصح ان الخلق تبارك وتعالى شاهدا على عباده مطلقا عليهم رقيبا
 وأيضا فان ذلك يتضمن القسم بملائكته وانبيائه ورسله فانهم شاهدون على العباد فيكون
 من باب انعقاد القسم به والقسم عليه كما أقسم باليوم الموعود وهو القسم به وعليه وأيضا
 فيوم القيامة مشهود كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يشهده
 الله وملائكته والانس والجن والوحش من آياته والشهود من آياته وأيضا فكلما
 مشهود كما قال تعالى وقرأ القرآن فجيران مشهود انهم شهداء مشهود انهم شهداء على
 النهار فالشهود من اعظم آياته وكذلك الشاهد فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود
 فهو داخل في هذا القسم فلا وجه لتخصيصه بعض انواع او الاعيان الاعلى سبيل
 التثليل وأيضا فكتاب الابرا في حليين يشهده القربون فالكتاب مشهود والقربون
 شاهدون والاحسن ان يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب لان القصد التنبيه على القسم
 به وانه من آيات الرب العظيمة ويعد ان يكون الجواب قتل اصحاب الاخذود الذين فتنوا
 اوليائه وعذبواهم بالار ذات القود ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم قصود على جانب
 الاخذود شاهدين ما يجرى على عباد الله تعالى واوليائه عيانا ولانما أخذهم بهم رافة
 ولا رجة ولا يسيبوا عليهم دنسا سوى ايمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
 والارض وهذا الوصف يقتضي اكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم فعاملهم بضد ما يقتضي ان يساملوا
 به وهذا شأن اعداء الله دائما يتهمون على اوليائه ما ينفي ان يحبوا ويكرموه لاجله كما قال
 تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنتمون منا لان آمناب الله وما نزل الينا وما نزل من قبل وان
 اكثركم فاقعون وكذلك القوطية فهو امن عباد الله تزيههم عن مثل فعلهم فقالوا اخرجوهم
 من قريبتكم انهم اتاس بظهورون وكذلك اهل الاشراك يتهمون من الموحدين فيريدون
 التوحيد واخلاص الدعوة والعبودية لله وحده وكذلك اهل البدع يتهمون من اهل السنة
 فيريدون متابعتها وترك مخالفتها وكذلك المعتلة يتهمون من اهل الاثبات اثباتهم لله صفات
 كاله ونسوت جلالة وكذلك الرافضة يتهمون على اهل السنة عيبهم فيعيبهم وترضيهم
 عنهم ولا ياتهم باهم وتقديم من قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وتزليهم منازلهم

التي أنزلهم الله ورسوله بها وكذلك أهل الأذى المحدث يتقون على أهل الحديث وحزب
الرسول أخذهم بحديثه وتركهم ما خلفه وكل هؤلاء لهم نصيب وفيهم شبه من أصحاب الأخدود
وبينهم نسب قريب أو بعيد ثم أخبر سبحانه إذا أعد لهم عذاب جهنم وعذاب الجحيم حيث
لم يتوبوا وأنهم لو تابوا بعد أن قتلوا أوليائهم وعذبوا بالثأر لغفر لهم ولم يعذبهم وهذا غاية
الكرم والجود قال الحسن انظروا إلى هذا الكرم والجود يقتلون أوليائهم ويقتلونهم وهو
يدعوهم إلى التوبة والمغفرة انظروا إلى كرم الرب تعالى يدعوهم إلى التوبة وقد قتلوا
أوليائهم فمقرهم بالنار فلا يأمن العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان فلا عداوة
أعظم من هذه العداوة ولا كفر من حرق بالنار من آمن بالله وخدمه وعبد وحده ومع هذا
فلو تابوا لم يعذبهم وأغفرهم بأوليائهم ثم ذكر سبحانه جزاء أوليائهم المؤمنين ثم ذكر شدته بطشه
وأنه لا يميزه شيء فانه هو المبدئ المعيد ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه وهو مع ذلك
الغفور الودود يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبّه فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع
ذلك الغفور الودود النود إلى عباده بنعمته الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه وهو الودود
أي المحبوب قال البضاري في صحيحه الودود الحبيب والعفة أي أن اللفظ يدل على
الأمرين على كونه وإذا لا أوليائهم مودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر بالزوم فهو
الحبيب المحب لا أوليائهم يحبهم ويحبونه وقال شعيب بن ربيعة مودودا لطف أكثر من اسم الودود
بالرحمة وبالعفوة فإن الرجل قد يفر من أماء ولا يحبه وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى
يغفر لعبده إذا تاب إليه ورحمه ويحبّه مع ذلك فانه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه
ولو كان منه ما كان ثم قال ذو العرش فأضاف العرش إلى نفسه كما يضاف إلى الأشياء العظيمة
الشريفة وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه واختصاصه به بل يدل على غاية
القرب والاختصاص كما يضيف إلى نفسه بدوصفاته القائمة به كقوله ذو القوة ذو الجلال
والإكرام ويقال ذو العزة وذو الملك وذو الرحمة ونظائر ذلك فلو كان حظ العرش منه حظ
الأرض السابعة لكان لا فرق أن يقال ذو العرش وذو الأرض ثم وصف نفسه بالمجيد وهو
المتضمن لكثرة صفات كماله ومنها وعدم احصاء الخلق لها وسعة أفضاله وكثرة خيرته
ودوامه وأمانه ليس له صفات كمال ولا أفضال جيدة فليس له من المحدثين والمخلوقين انما يصير
مجيدا بأوصافه وأفضاله فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيدا وهو معطل عن الأوصاف
والأفضال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا بل هو المجيد الفعل لما يريد والمجد في نفسه
المرب كثره أوصاف الكمال وكثرة أفضال الخير واحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحمد كما قال
الملائكة ليت الخليل رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جدي مجيد وكما شرع لنا في آخر
الصلاة أن نقول على الرب تعالى بأنه جدي مجيد وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول
ربنا ولك الحمد أهل الشاء والمجد والمجد على الأخلاق لله الحمد الجيد فالجيد الحبيب
المستحق لجميع صفات الكمال والمجيد العظيم الواسع القادر القوي ذو الجلال والإكرام
ومن قرأ المجيد بالكسر فهو صفة لعرشه سبحانه وإذا كان عرشه مجيدا فهو سبحانه
أحق بالمجد وقد امتنع كل هذه القراءة بعض الناس وقال لا يصح في صفات الخلق مجيد ثم

خرجها على أحد الوجهين إما على الجواز وإما أن يكون صفة لربك وهذا من قلة بضاعة
هذا القائل فإن الله سبحانه وصف حرشه بالكرم وهو نظير الجود وصفه بالعظمة فوصفه
سبحانه مطابق لوصفه بالعظمة والكرم بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته
وحسنه وبهاء منظره فإنه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجله واجده لصفات الحسن وبهاء
النظر وعلو القدر والرتبة والذات ولا يقدر قدر عظمتة وحسنه وبهاء منظره إلا الله وبجده
مستفاد من مجده خالقه ومبدعه والسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين
يديه كلفة ملقاة في أرض فلاة والكرسي فيه كتلت الحلقة في الفلاة قال ابن عباس السموات
السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس فكيف لا يكون مجيدا وهذا شأنه فهو عظيم
كريم مجيد وأما تكلف هذا التكلف جره إلى الجواز أو أنه صفة لربك فتكلف شديد وخروج
عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك وقوله ضال لما يريد دليل على أمور أحدها
أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته الثاني أنه لم يزل كذلك لأنه سابق ذلك في معرض المدح والثناء
على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه فلا يجوز أن يكون مادما لهذا الكمال في وقت من الأوقات
وقد قال تعالى أفمن ينطق كن لا ينطق أفلا تذكرون وما كان من أوصاف كماله ونعمت جلاله لم
يكن حادثا بعد أن لم يكن الثالث أنه إذا أراد شيئا فعله فإن ما هو موصولة عامة أي يفعل كلما يريد
أن يفعله وهذا في إرادته المطلقة بفعله وإما إرادته المطلقة بفعل العبد فنكت لها شأن آخر
فإن أراد فعل العبد ولم يريد من نفسه أن يعينه ويحمله فاعلام يوجد الفعل وإن أرادته حتى يريد
من نفسه أن يحمله فاعلام هذه هي النكتة التي خفيت على القدرية والجبرية وخطبوا في مسألة
القدر لغفلتهم عنها فإنها إرادتين إرادة أن يفعل العبد وإرادة أن يحمله الرب فاعلام وليسا
متلازمين وإن زعم من الثانية الأولى من غير عكس فمضى أراد من نفسه أن يعين عبده وإن ينطق له
أسباب الفعل فقد أراد فعله وقد يريد فعله ولا يريد من نفسه أن ينطق له أسباب الفعل فلا
يوجد الفعل فإن اعتصم عليك فهم هذا الموضع وأشكل عليك فانظر إلى قول النبي صلى
الله عليه وسلم حاكيا عن ربه قوله للعبد يوم القيامة قد أردت منك أهون من هذا وأنت
في صلب أهلك أن لا تشترك بي شيئا ولم يقع هذا المراد لأنه لم يريد من نفسه إمامته عليه وتوفيقه
له الرابع أن فعله سبحانه وإرادته متلازمان فمن أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراد
بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفضل وقد يفعل ما لا يريد فأمضض لما يريد إلا الله وحده الخامس
أشياء إرادة متعددة بحسب الاتصال وإن كل فعل له إرادة مخصوصة وهذا هو المقول في
الصلوات وهو الذي يفعله الناس من الإرادة فشأنه تعالى أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد
السادس أن كلما صح أن يتعلق به إرادته جاز فعله فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا
وأن يحيي يوم القيامة لفصل القضاء وإن يرى نفسه لعباده وأن يجلي لهم كيف شاء وأن
يحاط بهم ويضحك اليهم وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يتجتن عليه فعله فإنه ضال لما يريد وإنما
يتوقف صحة ذلك على أخبار الصادق به فإذا أخبر به وجب التصديق به وكان رده ردا
لكماله الذي أخبر به من نفسه وهذا عين الباطل وكذلك إذا أمكن إرادته سبحانه محو
ما شاء وإثبات ما شاء أمكن فعله وكانت الإرادة والفعل من مقتضيات كماله المقدس وقد

اشتملت هذه السورة على اختصارها من التوحيد على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة لقدرة والقوة وعدم الظهور والجد المتضمن لصفات الكمال والتعزیه عن اضعادها مع محبته والهيته وملكه السموات والارض المتضمن لكمال غناه وسعة ملكه وشهادته على كل شيء المتضمن لعموم اطلاعه على شواهد الامور وبواطنها واحاطة بصره برئائتها وسعته بمسوماتها وعلمه بمعلوماتها ووصفه شدة البطش المتضمن لكمال القوة والعزة والقدرة وتفرده بالابداء والاعادة المتضمن لـوحيد ربوبيته وتصرفه في المخلوقات بالابداء والاعادة واتقياؤه لقدرة فلا يستعصى عليه منها شيء ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده واحسانه وغناه ورحمته ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيباً الى عبادهم ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواء وأن عرشه المختص به الذي لا يليق بغيره أن يستوى عليه ووصفه بالجد المتضمن لسعة العز والقدرة والمثلث والفني والجلود والاحسان والكرم وكونه ضالاً لما يريد المتضمن لحبائه وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته وغير ذلك من اوصاف كماله فهذه السورة كتاب مستقل في اصول الدين تكفي من فهمها فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ثم ختمها بذكر فضله وعقوبته بن اشرك به وكذب رسله فخذيراً لعباده من سلوك سبيلهم وان من ضل فعلمهم فعمل به كما عمل بهم ثم أخبر عن اعدائه بأنهم مكذبون بتوحيده ورسالاته مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم ولا أسوء حالاً من حادى من هو في قبضته ومن هو قادر عليه من كل وجه وبكل اعتبار فقال بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط فهذا أعجب من كفر من هو محيط به وأخذ بناصبته قادر عليه ثم وصف كلامه بأنه مجيد وهو أحق بالجد من كل كلام كان المتكلم به له الحمد كله فهو المجيد وكلامه مجيد وعرشه مجيد قال ابن عباس رضي الله عنهما قرآن مجيد كريم لأن كلام الرب ليس هو كما يقول الكافرون شعرو كهانة وسحر وقد تقدم أن الحمد السعة وكثرة الخير وكثرة خير القرآن لا يعطيا الا من تكلم به وقوله في لوح محفوظ أكثر القراءة على الجبر صفة قارح وفيه إشارة الى أن السالطين لا يمكنهم التسلل به لأن محله محفوظ أن يصلوا اليه وهو في نفسه محفوظ أن يقدر الشيطان على الزيادة فيه والتقصان فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله انهم نزلنا الذكر وانه لحافظون ووصف محله بالحفظ في هذه السورة لأنه سبحانه حفظ محله وحفظه من الزيادة والتقصان والتبديل وحفظ معانيه من التعريف كما حفظ الفاظه من التبديل وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والتقصان ومعانيه من التعريف والتغيير

فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماء والطارق وقد فسره بأنه النجم الثاقب الذي يتعب ضوؤه والراداه الجنس لانجم معين ومن عينه بأنه الثريا أو زحل فان أراد التمثيل فيصح وان أراد التخصيص فلا دليل عليه والمقصود انه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضئية وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته وسمى النجم طارقاً لانه يظهر بالليل بعد اختفائه بنور الشمس فشبّه بالطارق الذي يطرق الناس أو أمه لئلا قال القراء ما أنك لئلا فهو طارق وقال الزجاج والمبرد لا يكون الطارق نهارة ولهذا تستعمل العرب الطروق

في صفة الخيال كثير كما قال ذو الرمة
الاطرقتني هيوما بذكرها * وأبدي الثريا بجنح للغارب

وقال جرير

طرقك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيادة فارجني بسلام
ولهذا قيل أول من رد الطيف جرير فلم يزل الناس على قبوله واكرامه كالصيف فالطيف
والصيف كلاهما لا يرد وقال الآخر

الاطرقت من آخر الليل زينب * عليك سلام هل لماقات مطلب

فصل في القسم عليه ههنا حال النفس الانسانية والاعتناء بها واقامة الحفظة عليها
وانه المترك سدني بل قد ارصد عليها من يحفظ عليها اعمالها ويحفظها فأقسم سبحانه انه ما من نفس
الا عليها حائط من الملائكة يحفظ عملها وقولها ويحصى ما تكسب من خير أو شر واختلف
القراء في ما فتددها بعضهم وخففها بعضهم فمن قرأها بالتشديد جعلها بمعنى الا وهي تكون
بمعنى الا في موضعين احدهما بصدان الخففة مثل هذا الموضع أو الثقلة مثل قوله وان كلالا
ليوفينهم ربك اعمالهم والثاني في باب القسم نحو سألتك بالله لما صلت قال أبو علي الفارسي من خفف
كانت عنده هي المخففة من الثقلية واللام في خبرها هي الفارقة بين ان النسائية والخفيفة
وما زاد وتوان هي التي يتلقى بها القسم كما يتلقى بالثقلية ومن قرأها مشددة كانت ان عنده نافية
بمعنى ما وما في معنى الا قال سيوبه عن الخليل في قوله فشدتك بالله لما صلت قال المعنى
الافضل ثم نبه سبحانه الانسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن
في الاستدلال على المعاد بالبداء فقال فليظنر الانسان ثم خلق اى فليظنر لظنر الفكر والاستدلال
ليعبرن الذي ابتداء أول خلقه من نقطة قادر على اعادة ثم اخبر سبحانه أنه خلقه من ماء دافق
والدافق صيب الماء يقال دفقت الماء فهو مدفوق ودافق ومدفوق الذي وقع عليه
فذلك كالمكسور والمضروب والمدفوق المطاوع لفعل الفاعل يقول دفقته فادفعه كما تقول كسره
فانكسر والدافق قيل انه فاعل بمعنى مفعول كقولهم سرعانهم وعيشة راضية وقيل هو على
النسب لاهل الفضل اى ذى دفق وذات ولم يرد الجريان على الفعل وقيل وهو الصواب انه
اسم فاعل على يابه ولا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعل الدفق فان اسم الفاعل هو من قام
به الفعل سواء فعله هو أو غيره كما يقال ما جاز ورجل ميت وان لم يفعل الموت بل لما قام به
من الموت نسب اليه على جهة الفعل وهذا غير منكر في لغة أمة من الامم فضلا عن أوسع
القبائل وأقصاها وأما العيشة الراضية فالوصف بها أحسن من الوصف بالراضية قاله
اللائحة بهم فتشبه ذلك برضاها بهم كما رضوا بما كانوا رضيت بهم ورضوا بما وهذا ابلغ
من مجرد كونها مرضية فقط تأمله واذا كانوا يقولون الوقت الحاضر والساعة الراضة
وان لم يفعل ذلك فكيف يتنع ان يقولوا ماء دافق وعيشة راضية ونبه سبحانه بكونه دافقا
على انه ضعيف غير متمسك ثم ذكر محله الذي يخرج منه وهو بين الصلب والرائب قال
ابن عباس صلب الرجل ورائب المرأة وهو موضع القلادة من صدرها والولسد بطني من
الساين جعبا وقيل صلب الرجل ورائبه وهي صدره فيخرج من صلبه وصدره وهذه

الآية الدالة على قدرة الخالق سبحانه فظهر إخراجهم من البطن الخالص من بين القرب والدم ثم ذكر الأمر المستدل عليه والمعاد بقوله أنه على رجسه لقادر أي على رجسه اليوم القيامة كما هو قادر على خلقه من ماء هذا شأنه هذا هو الصحيح في معنى الآية وفيها قولان ضعيفان أحدهما قول بجاهد على رد الماء في الاحليل لقادر والثاني قول عكرمة والضحاك على رد الماء في الصلب وفيها قول ثالث قال مقاتل إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا إلى النطفة والقول الصواب هو الأول وجوه أحدها أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالبداء على المعاد الثاني أن ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الاحليل الثالث أنه لم يأت لهذا المعنى في القرآن فظهر في موضع واحد ولا تنكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه الرابع أنه قيد الفعل بالطرف وهو قوله يوم تلبى السرار وهو يوم القيامة أي إن الله قادر على رجسه إليه حين في ذلك اليوم الخامس أن الضمير في رجسه هو الضمير في قوله فسا له من قوة ولا ناصر وهذا للإنسان قطعاً لا للماء السادس أنه لا ذكر للاحليل حتى يبين كون المرجع إليه فلو قال قائل على رجسه إلى الفرج الذي صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ولم يكن أولى منه السابع أن رد الماء إلى الاحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر متبادر جرت به القدرة وإن كان مقدوراً لرب تعالى ولكن هو لم يجره ولم يجره العادة ولا هو مما تكلم الناس فيه نقياً وأتينا ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه ويبينه على منكره وهو سبحانه أقسامه على أموره وأفعاله ولا بد ما فاعده وقبحه ووجد أوسع قال قيل قد قال تعالى أنصب الإنسان أن إن تجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه أن يجعله كخف البعير قيل هذه أيضاً فيها قولان أحدهما هذا والثاني وهو الأرجح أن نسوية بنانه أمادتها كما كانت بعد ما فرقتها إلى في القرب الثامن أنه سبحانه دعى الإنسان إلى النظر فيما خلق منه ليرده نظره من تحس كذبه بما أخبر به وهو لم يخبره بشدة خلقه على رد الماء في احليله بعد مفارقتها له حتى يدهوه إلى النظر فيما خلقه منه ليستخرج منه حصة أمكان رد الماء التاسع أنه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الاحليل بعد خروجه ولا تلازم بينهما حتى يحصل أحدهما دليلاً على إمكان الآخر بخلاف الارتباط الذي بين البدأ والمعاد والخلق الأول ونخلق الثاني والنشأة الأولى والنشأة الثانية فإنه ارتباط من وجوه عديدة ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر ومن وقوعه حصة وقوع الآخر فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر العاشر أنه سبحانه نبه بقوله أن كل نفس لها عليها حافظ على أنه قد وكل عليه من يحفظ عليه عمله ويحسبه فلا يضيع منه شيء ثم نبه بقوله أنه على رجسه لقادر على بعض جزائه على العمل الذي حفظ واجصى عليه مذكر شأن مبدأه ونهايته فبدؤهُ محفوظ عليه ونهايته الجزاء عليه ونبه على هذا بقوله يوم تلبى السرار أي تغتبره وقال مقاتل تظهر وتبدو وبلوت الشيء إذا خبرته ليطهر لك باطنه وما خفي منه السرار جمع سريرة وهي سرار الله التي بينه وبين عبده في ظاهره وباطنه فلا يبان من السرار وشراعه من السرار فتغتبر ذلك اليوم حتى يظهر خبائها من شرها وموداها من مضيقها وما كان لله عالم يكن له قال عباده ابن عمر رضي الله عنهما يبدى الله يوم

القباسة كل سر فيكون زينا في الوجوه وشينا فيها والمعنى تختبر السررات باظهارها واظهار
مقتضياتها من الثواب والعقاب والحد والذم وفي التصير من الاعمال بالسر لطيفة وهوان الاعمال
تاتبع السررات الباطنة فمن كانت سريره صالحة كان عمله صالحا فتبدو سريره على وجهه
نورا واشراقا وحياء ومن كانت سريره فاسدة كان عمله تابعا لسريره لا اعتبار بصورته
تبدو سريره على وجهه سواد وظلمة وشينا وان كان الذي يبدو عليه في الدنيا انما هو عمله
لا سريره في يوم القيامة تبدو عليه سريره ويكون الحكم والظهور لها قال الشاعر
فان لها في مضر القلب والحشا * سريرة حب يوم تلى السرائر

ثم اخبر سبحانه عن حال الانسان في يوم القيامة انه غير مختص من عذاب الله لا بقوة منه ولا بقوة
من خارج وهو الناساصر فان العبد اذا وقع في شدة فاما ان يدفعها بقوة او قوة من ينصره
وكلاهما معدوم في حقه ونظيره قوله سبحانه لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم متناصرون
ثم اقسم سبحانه بالسماء ذات الارجع والارض ذات الصدع قائم بالسماء ورجعها بالمطر
والارض وصدقها بالنبات قال الفراء تبتدى بالمطر ثم ترجع به في كل ما هو قال أبو اسحق ارجع
المطر لانه يبعث ويرجع ويكرر وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما تبتدى بالمطر ثم ترجع به
في كل عام والحقبة أن هذا على وجه التمثيل ورجع السماء هو اعطاء الخير الذي يكون من جهتها
حالا بعد حال على مرور الأزمان ترجع رجما أي تسطيه مرة بعد مرة والخير كله من قبل السماء
يبعث ولما كان اظهر الخير المشهود بالان المطر فسر ارجع به بحسن تفسيره به مقابلته بصدع
الارض عن النبات وفسر الصدع بالنبات لانه يصدع الارض أي يشقها قائم سبحانه بالسماء
ذات المطر والارض ذات النبات وكل من ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته
واقسم على كون القرآن حقا وصدقا قال انه لقول فصل وما هو بالهزل كما أقسم في اول السورة
على حال الانسان في مبدئه ومعاده والقول الفصل هو الذي يفصل بين الحق والباطل
فغير هذا من هذا وفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ومصعب الفصل الذي يفصل عنده المراد
وتغير من غير كما يقال اصاب الفصل واصاب المراد اذا اصاب بكلامه نفس المعنى المراد منه فصل
الخطاب وأيضا قال قول الفصل بيان المعنى ضد الاجال فكون القرآن مصلا يتضمن هذه
المعاني كلها ويتضمن كونه حقا ليس بالباطل وجدا ليس بالهزل ولما كان الهزل هو الذي
لا حقيقة له وهو الباطل والعب قابل بين الفصل والهزل وانما يكيد المكذوب ويحلسون
ويتخادعون زدهم لا يردونه بحجة والله يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده وسككيد
سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون والاملاء لهم حتى يأخذهم على غرة كما قال تعالى
وأملئ لهم ان كبدى متين فالانسان اذا أراد أن يكيد غيره يظهر له اكرامه واحسانه اليه
حتى يطعمه اليه فيأخذه كما يفصل الملوكة فاذا فعل ذلك اعداء الله بأوليائه ودينه فكان
كبد الله لهم حسنا لا قبح فيه فيعطيه ويعاقبه وهو يستدرجهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذهم
بغتة قال قول الكافرين أمهلهم رويدا أي أنظرهم قليلا ولا تستعجل لهم والرب تعالى هو الذي
يعلمهم وانما خرج الخطاب لرسول على جهة التهديد والوعيد لهم وأولى معنى انظر بهم قليلا
ورويدا في كلامهم يكون اسم فعل فينصب بها الاسم فهو رويدا أي خله وأمهله وارفق به

الثاني ان يكون مصدرا مضافا الى المفعول نحو رويد زيد أى ايهال زيد نحو ضرب الزقاب الثالث ان يكون نفسا منصوبا نحو قولك ماروا رويدا تقول العرب ضعه رويدا أى وضعا رويدا وفى حديث عائشة فى خروج النبي صلى الله عليه وسلم بالليل من عندها الى القيع فخرج رويدا واجاف الباب رويدا ويجوز فى هذا الوجه وجهان احدهما ان يكون حالا والثاني ان يكون نفسا لمصدر محذوف فان اظهرت المنعوت تعين الوجه الثاني ورويدى هذه الآية هو من هذا النوع الثالث والله أعلم

فصل في وصف ذلك اقسامه بالشفق والليل وماوسى والهمز اذا انشق فاقسم بثلاثة أشياء متعلقة بالليل أحدها الشفق وهو قولنا الحجرة بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة وكذلك هو فى النمرق قال الفراء والليث والزجاج وغيرهم الشفق الحجرة فى السماء وأصل موضوع الحرف لرفع اللين ومنه شئ شفق لا تقاسم له لرقته ومنه الشفقة وهو الرقة واشفق عليه اذا رقه وأهل اللغة يقولون الشفق بقية ضوء الشمس وجرت لها ولهذا كان الصبح أن الشفق الذى يدخل وقت العشاء الآخرة فيضوبته هو الحجرة فان الحجرة لما كانت بقية ضوء الشمس جعل بقاؤها حدة الوقت المغرب فاذا ذهبت الحجرة بعدت الشمس عن الانشق فدخل وقت العشاء وأما البياض فانه يتجدد وقته بطول ليله ويكون حاصلا مع بعد الشمس عن الانفى ولهذا صح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال الشفق الحجرة والمغرب تقول ثوب مصبوغ كأنه الشفق اذا كان احمر حكام الفراء وكذلك قال الكلبي الشفق الحجرة التى تكون فى المغرب وكذلك قال مقاتل هو الذى يكون بعد غروب الشمس فى الانفى قبل الظلة وقال عكرمة هو بقية النهار وهذا يحتمل ان يريد به ان تلك الحجرة بقية ضوء الشمس التى هى آية النهار وقال مجاهد هو النهار كله وهذا ضيف جدا وكأنه لما رآه بالليل وماوسى عن انه النهار وهذا ليس بلازم

الثاني قسمه بالليل وماوسى أى وماضم وحوى وجع والليل وما ضمته وحى واما آية أخرى والشم آية واتساق آية أخرى والشفق يتضمن اديار النهار وهو آية واقبال الليل وهو آية أخرى فان هذا اذا دخله الآخر يتما قبان لمصالح الخلق فاديار النهار آية واقبال الليل آية وتعتب أحدهما الآخر آية والشفق الذى هو متضمن الامرين آية والليل آية وماحوه آية والهلال آية وتزايد كل ليلة آية واتساقه وهو امتلاؤه نورا آية ثم اخذه فى النقص آية وهذه وامثالها آيات دالة على ربوبيته مستلزمة لعم بصفت كماله وهذا شرع عند اقبال الليل واديار النهار ذكر الرب تعالى بصلاة المغرب وفى الحديث اللهم هذا اقبال ليلك واديار نهارك وأصوات دمايك وحضور صلواتك كما شرع ذكر الله بصلاة العقب عند اديار الليل واقبال النهار ولهذا يقسم سبحانه بهذين الوتين كقوله والليل اذا دبر والصبح اذا أقفر وهو يقابل اقسامه بالشفق وتفسير اقسامه بالليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ولما كان الرب تبارك وتعالى يحدث عند كل واحد من طرفي اقبال الليل والنهار واديارهما ما يصدر منه ويبت من خلقه ماشاء فينشر الارواح الشيطانية عند اقبال الليل وينشر الارواح الإنسانية عند اقبال النهار فحدث هذا الانتشار فى العالم اثره شرع سبحانه فى هذين الوتين

هاتين الصلاتين العظيمتين مع ما في ذلك من ذكره عند هاتين الآيتين المتعاقبتين وعند اصرام احدهما واتصال الاخرى بها مع ما بينهما من التضاد والاختلاف وانتقال الحيوان عند ذلك من حال الى حال ومن حكم الى حكم وذلك مبدا ومعاد يومى مشهود للخلق على كل يوم ليلة فالحيوان والتبات في مبدأ ومعاد وزمان العالم في مبدأ ومعاد وألم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يبيده ان ذلك على الله يسير

❖ فصل ❖ وقوله لتركن طبقا عن طبق الظاهر انه جواب القسم ويموزان يكون من القسم المحذوف جوابه وتركن وما بعده مستأنف وقرئ لتركن بضم الباء الجمع وبفتحها غن فصحها فالخطاب عند الانسان اى لتركن أيها الانسان وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل ليست الياء للخطاب ولكنها لفظة اى لتركن السماء طبقا من طبق ومن ضمنها فالخطاب للعبادة ليس الا ان جعل الكناية للسماء قال المعنى لتركن السماء حالا بعد حال من حالاتها التى وصفها الله تعالى من الانشاق والانفطار والطى وكونها كالمدل مرة وكالدهان مرة ومورائها ونقصها وغير ذلك من حالاتها وهذا قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ودل على السماء ذكر الشفق والتميم وعلى هذا فيكون قسما على المعاد وتفسير العالم ومن قال الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فله ثلاث معان لتركن سماء بضم السين حتى تنهى الى حيث يصعدك الله هذا قول ابن عباس في رواية مجاهد وقول مسروق والشعبي قالوا والسماء طبقى ولهذا يقال للسموات السبع الطباق والمعنى الثانى لتصعدن درجة بعد درجة ومترلة بعد مترلة ورتبة بعد رتبة حتى تنهى الى محل القرب والرفق من الله والمعنى الثالث لتركن حالا بعد حال من الاحوال المختلفة التى نقل الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم من الهجرة والجهاد ونصره على عدوه وادلة العدو عليه نارة وغناه وقهره وغير ذلك من حالاتها التى تنقل فيها الى أن بلغ ما بلغه اياه ومن قال الخطاب للانسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد وهو تنقل الانسان حالا بعد حال من حين كونه طفلة الى مستقره من الجنة او النار فكم بين هذين من الاطباق والاحوال للانسان واقوال المفسرين كلها تدور على هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما تصيرن الامور حالا بعد حال وقيل لتركن أيها الانسان حالا بعد حال من الطفلة الى العلة الى المصنعة الى كونه حيا الى خروجه الى هذه الدار ثم ركوبه طبق التميز بين ما ينضم ويضرم ثم ركوبه بعد ذلك طبق آخر وهو طبق البلوغ ثم ركوبه طبق الاشد ثم طبق الشيوخة ثم طبق الهرم ثم ركوبه طبق ما بعد في البرزخ وركوبه في انشاء هذه الاحوال اطباقا عديدة لا يزال ينتقل فيها حالا بعد حال الى دار القرار فذلك آخر اطباقه التى يعلمها العباد ثم يفعل الله سبحانه بعد ذلك ما يشاء واختار ابو عبيدة قراءة الضم وقال المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه ذكر قبل الآية من يؤتى كتابه بيمينه وشماله ثم ذكر بعدهما قوله فالهم لا يؤمنون فذكر كونهم طبقا بعد طبق قال الواحدي وهذا قول اكثر المفسرين قالوا لتركن حالا بعد حال ومترلا بعد مترل وامر ابيداهم قال سعيد بن جبير وابن زيد فتكون في الآخرة بعد الاولى ولتصيرن اغنياء بعد الفقير وفقراء بعد الغناء وقال عطية شدة بعد شدة وقال ابو عبيدة لتركن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل وانت اذا تأملت هذا القسم به

والقسم عليه وجدته من اعظم الآيات الدالة على الربوبية وتغيير الله سبحانه العالم وتصرفه
 له كيف اراد وتقله اياه من حال الى حال وهذا محال ان يصحكون بنفسه من غير فاعل مدبر له
 ومحال ان يكون فاعله غير قادر ولاحي ولامريد ولا حكيم ولا علم ولا كلاما في الامتاع
 سواء فالقسم به عليه من اعظم الادلة على ربوبيته وتوحيده وصفاته كماله وصدق
 رسله وعلى المعاد ولهذا عتب ذلك بقوله قالهم لا يؤمنون انكارا على من لم يؤمن بعد ظهور
 هذه الآيات المستلزمة لدلولها اتم استلزام وانكر عليهم عدم خصوهم وسجودهم لقرآن المشقل
 على ذلك بافصح عبارة وأبينها واجز لها وأوجزها فالله اعلم بالحقى اشرف معنى والعبارة اشرف عبارة
 غاية الحق بقاية البيان والفصاحة بل الذين كفرا يكذبون ولا يصدقون بالحق جسودا وعنادا
 والله اعلم بما يضربون في صدورهم ويكتمونه وما يسرونه من أعمالهم وما يجمعونه فيما بينهم
 عليه بعلمه وهذه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون

فصل ومن ذلك قوله سبحانه فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا جسس
 والصبح اذا تنفس اقسم سبحانه بالبحر في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها
 هذا قول على وابن عباس وعامة المفسرين وهو الصواب والخنس جمع خانس الانقباض
 والاختفاء ومنه سمى الشيطان خناسا لانتفاضه وانكماشه حين يذكر العبد به ومنه قول ابن
 هريرة فانحنست والكنس جمع كنس وهو الداخل في كناهه اى في بيته ومنه تكنست المرأة اذا
 دخلت في هودجها ومنه كنست الطباء اذا أوت الى كناسها والجوارى جمع جارية كفاشية
 وغواش قال على ابن ابي طالب رضى الله عنه النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وهذا قول مقاتل
 وعطاء وقتادة وغيرهم قالوا الكواكب تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها
 ومعنى تخنس على هذا القول تأخر عن البصر وتتوارى عنه باخفاء النهار لها وفيه قول آخر
 وهو ان خنوسها رجوعها وهى حركتها الشرقية فان لها حركتين حركة بعلمها وحركة بنفسها
 فتخنوسها حركتها بنفسها راجعة وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب وهى السيارة وهذا
 قول القرأ وفيه قول ثالث وهو ان خنوسها كونها اختفاؤها وقت غروبها فتغيب في مواضعها
 التى تغيب فيها وهذا قول الزجاج ولما كان النجوم حال ظهـ وروحان اختفاء وحال جريان
 وحال غروب اقسام سبحانه بها في احوالها كلها ونبه تخنوسها حال ظهورها لان الخنوس هو الاختفاء
 بعد الظهور ولا يقال لم لا يزال اختفيا انه قد خسر فذكر سبحانه جريانها وغروبها وصريحها وخنوسها
 وظهورها واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذى مبدؤه الطلوع فاطلوع اول جريانها
 فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته
 وليس قول من فسرها بالطباء وقرا الوحش بالظاهر لوجوه احدها ان هذه الاحوال
 في الكواكب السيارة اعظم آية وعبرة للتانى اشتراك أهل الارض في معرفته بالمشاهدة
 والعيان الثالث ان البقر والطباء ليست لها حالة تختفي فيها من العيان مطلقا بل لازال ظاهرة
 في القلوات الرابع انه الذين فسروا الآية بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفاء قال الواحدى
 هو من الخنس فى الانف وهو تأخر الارنية وقصر القصبة والبقر والطباء انوفهم فخنس
 والبرة خنساء والظي اخنس ومنه سميت الخنفساء لخنس انفها ومعلوم ان هذا امر خفى

يحتاج الى تأمل وأكثرت الناس لا يعرفونه وآيات الرب التي يقسم بها لا تكون الاظاهرة جليلة
يشترك في معرفتها الاخلاق وليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال
في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر الخناس ان كنوسها في اكنتها ليس بأعظم من دخول الطير
وسائر الحيوانات في بيته الذي يأوى فيه ولا ظهر منه حتى نعين لقسم السادس انه لو كان
جمعا لطفي لقال الخنس بالنسكين لانه جمع أخنس فهو وكأجر وجر ولوار يديه جمع بقرة
خفساء لكان على وزن فعلاء ايضا كحمراء وجر فلان جاء جمعه على فعل بالتشديد اتصال أن يكون
جمعا لواحد من الظباء والبقر وتعين ان يكون جمعا لخافس كشاهد وشهد وصائم وصوم
وقائم وقوم ونظائرهما السابع انه ليس بالبين اقسام الرب تعالى بالبقر والقرآن وليس هذا
حرف القرآن ولا عاده وانما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم
بأعلاها وهي النفس الانسانية ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم
بالعلوم أقسم بأشرفها وهي السماء وشمسها وقرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه
وهو الهالي العشر واذا أراد سبحانه ان يقسم بشيء ادرجه في اليوم كقوله فلا أقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون وقوله والذكر والانثى في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك الثامن ان اقتران القسم بالليل والصبح يدل على انها اليوم والاليل باللائق
اقتران البقر والقرآن والليل والصبح في قسم واحد وبهذا اخرج ابواسحق عن علي انها اليوم
فقال هذا البقي بذكر اليوم منه بذكر الوحي التاسع انه لو اراد ذلك سبحانه لبيته وذكروا
ما يدل عليه كما انه لما اراد بالجواري السفن قال ومن آياته الجوار في البحر كالعالم وهذا
ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على انها البقر والظباء وفيه ما يدل على انها اليوم من الوجوه
التي ذكرناها وغيرها العاشر ان الارتباط الذي بين اليوم التي هي هداية للسالكين ورجوم
الشياطين وبين القسم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة لقلوب وداحض لشبهات
الشیطان اعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن والله اعلم

❖ فصل ❖ واختلف في حكمة الليل هل هي اقباله ام ادباره فلا يكترون على ان حسم
بمعنى ولى وذهب وادبر هذا قول علي وابن عباس واصحابه وقال الحسن اقبل بظلامه وهو
احدى الروايتين من مجاهد فزرحم الاقبال قال أقسم الله سبحانه وتعالى باقبال الليل واقبال النهار
فقوله والصبح اذا تنفس مقابل ليل اذا حسم قالوا ولهذا أقسم الله بالليل اذا بغشى والنهار
اذ انجلي وبالصبحي قالوا فاشيان الليل نظير حسمته ونجلي النهار نظير تنفس الصبح اذ هو مبدؤه
وأوله ومن زرحم انه ادباره اخرج بقوله تعالى كلا والتمروا الليل اذ أدبروا الصبح اذا أسفر فأقسم
بادبار الليل واسفر الصبح وذلك نظير حسمته الليل وتنفس الصبح قالوا والاحسن أن يكون
القسم بالقصرام الليل واقبال النهار فانه عقيقه من غير فصل فهذا اعظم في الدلالة والعبارة بخلاف
اقبال الليل واقبال النهار فانه لم يعرف القسم في القرآن بهما ولان بينهما زمنا طويلا فالآية
في انصرام هذا وبجنى الآخر عقيقه بشير فصل ابلغ فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره
وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله بطرد ظلمة الليل بنفسه فكلمنا تنفس هرب الليل وادبر
بين يديه وهذا هو القول والله اعلم

فصل في ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القرآن وأخبر انه قول رسول كريم وهو ههنا جبريل قطعاً لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يشهد به وما الرسول الكريم في الحاقه فهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه في بيده أن يكون قول من زعم من أعدائه أنه قوله فقال وماهو بقول شاعر قليلاً يؤمنون ولاقول كاهن قليلاً مائة كرون فاضافه الى الرسول المسمى تارة الى البشرى تارة و اضافته الى كل واحد من الرسولين اضافته بتبليغ الاضافة انشاء من عنده والا تناقضت التبيينان ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله وهذا صريح في انه كلام من أرسل جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم وان كلامهما ينفذ عن الله فهو قوله مبلفاً وقول الله الذي تكلم به حقاً فلا راحة لمن انكر ان يكون الله متكلماً بالقرآن وهو كلامه حقائق هاتين الآيتين بل هما من أظهر الأدلة على كونه كلام الرب تعالى وأنه ليس له رسولان الكريمين منه الا التبليغ فجبريل محمد من الله ومحمد صلى الله عليه وسلم محمد من جبريل ووصف رسوله المسمى في هذه السورة بأنه كريم قوى مكين عند الرب تعالى مطاع في السموات أمين فهذه خمس صفات تضمن تركيز سنة القرآن وأنه سماع محمد من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فانه يك بهذا السند علواً وجلالة قول الله سبحانه بنفسه تركيزه الصفة الاولى كون الرسول الذي جاء به الى محمد صلى الله عليه وسلم كبرياء ليس كما يقول أعداؤه ان الذي جاء به شيطان فان الشيطان خبيث خبيث لئيم قبيح المنظر هديم الخمر باطنه اقبح من ظاهره وظاهره اشنع من باطنه وليس فيه ولا عنده خير فهو ابد شيء من الكرم والرسول الذي اتى القرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم كريم جميل المنظر بهي الصورة كثير الخير طيب مطيب معلم الطيبين وكل خير في الارض من هدى وعلم ومعرفة وإيمان وبر فهو ما اجراه ربه على يده وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي الوصف الثاني انه ذو قوة كما قال في موضع آخر علمه شديد القوى وفي ذلك تبيينه على امور احدها انه يقوته يجمع الشياطين ان تدومته وان ينالوا منه شيئاً وان يزيدوا فيه وينقصوا منه بل اذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه الثاني انه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه ومعارض له ومواده وناصر كما قال تعالى وان نظارها عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ومن كان هذا القوى وليه ومن انصاره واعوانه ومعلمه فهو المهدى المنصور والله هاديه وناصره الثالث ان من مآدى هذا الرسول فقد مآدى صاحبه وولي جبريل ومن مآدى ذا القوة والشدة فهو حُرصة لاهلاك الرابع انه قادر على تنفيذ ما امر به لقوته فلا يعجز عن ذلك موده كما امر به لاماته فهو القوى الامين واحد كما اذا انتدب غيره في امر من الامور لرسالة او ولاية او وكالة او غير ها فاما ينتدب لها القوى عليه الامين على فعله وان كان ذلك الامر من اهم الامور عنده انتدب له قويا اميناً معظماً ذا مكانة عنده مطاعاً في الناس كما وصف عبده جبريل بهذه الصفات وهذا يدل على عظيمة شأن المرسل والرسول والرسالة والمرسل اليه حيث انتدب له الكريم القوى المسكين عنده المطاع في السلا الاعلى الامين حق الامين فان الملوك لا ترسل في مهماتها الا الاشرف ذوي الاقدار والرتب العالية وقوله عند ذي العرش مكين اي له مكانة ووجاهة عنده وهو اقرب الملائكة اليه وفي قوله عند ذي العرش إشارة الى علو منزلة جبريل اذا كان قريباً من ذي العرش سبحانه وفي قوله مطاع ثم إشارة

الى أن جنوده واهوائه يطعمونه اذ انديهم تنصر صاحبه وخليفه محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة ايضا الى أن هذا الذي تكذبونه وتصادونه سيصير مطاعا في الارض كما أن جبريل مطاع في السماء وان كلام الرسلين مطاع في عمله وقومه وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم فلم يقتدب لهذا الامر العظيم الا مثل هذا الملك المطاع وقوصفه بالامانة اشارة الى حفظه ماحله وأدائه له على وجه تميزه رسوله البشرى وزكاه عما يقول فيه أعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالاستنهم خلافة فهم يعلمون انهم كانوا كاذبين ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر لا كما يقوله المتفلسفة ومن قلداهم انه العمل الفعال وانه ليس بما يدرك بالبصر وحقيقته عندهم انه خيال موجود في الازدهان لافي الاحيان وهذا مما خلفوا به جميع الرسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى فان رؤيته لجبريل هي أصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعاً وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحداً بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره وحكي عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك فمن الى تقرير رؤيته لجبريل اخرج من ان تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب أعظم من رؤية جبريل ومن دونه فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم تزمه رسوله كليهما أحدهما بطريق النطق والثاني بطريق الزعم مما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الصنعة والبخل والتبديل والتضيق الذي يوجب التهمة فقال وما هو على التيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بأمرين ادانها من غير كتمان وادانها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقرآنان كالأيتين تضمنت أحدهما وهي قرأة الصاد تزجها عن البخل فان الضنين البخل يقال ضننت به اضمن بوزن بخلت به البخل ومعناه ومنه قول جيل بن معمر

أجود بضنون التلادواني * بترك حسن سألني لضنين

قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس بمخل بما أنزل الله وقال مجاهد لا يضمن عليهم بما يمل وأجمع المنسرون على ان الغيب ههنا القرآن والوحى وقال القرأ يقول تعالى بأنه غيب السما وهو منفوس فيه فلا يضمن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان مادة النفوس النسخ المعنى النفس ولا سيما عن لا يعرف قدره ويذمه ويذم من هو عنده ومع هذا فهذا الرسول لا يخل عليكم بالوحى الذي هو أنفس شي وأجله وقال ابو علي الفارسي المعنى بأنه الغيب فينبه ويخبر به ويظهره ولا يكتفه كما يكتف الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا وفيه معنى آخر وهو أنه على قدم من الغيب الذي يخبر به فلا يتصاف ان ينتقض ويظهر الامر بخلاف ما أخبر به كما يقع للكهان وغيرهم ممن يخبر بالغيب فان كذبهم اضاعف صدقهم واذا أخبر احدهم بخبر لم يكن على ثقة منه بل هو خائف من ظهور كذبه فاقدام هذا الرسول على الاخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو اعظم الغيب واتقاه مقيما عليه مبدياه في كل مجمع ومعيدا منادياه على صدقه مستجلبا به لاعدائه من اعظم الأدلة على صدقه وامافراة من قرأ بظنين بالظلم لغناه التهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس من الظن

الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتمدى الى مفعولين ومنهما انشد ابو عبيدة

اماو كتاب الله لاهن شاة • حبرت ولكن الحب ظنين

والمعنى وما هذا الرسول على القرآن يتهم بل هو أمين لا يزيد فيه ولا ينقص من وهذا يدل على ان الضمير يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول المسمى بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اى وما صاحبكم يتهم ولا يتخيل واختار ابو عبيدة قراءة الطاء لمعينين احدهما ان الكفار لم يخجلوه وانما اتهموه فتنى التهمة الاولى من فنى الضمير الثانى انه قال على الغيب ولو كان المراد الضمير لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا او قل ما يقال على كذا قلت ويرجمه انه وصفه بما وصف به رسوله المسمى من الامانة فتنى عنه التهمة كما وصف جبريل بأنه أمين ويرجمه ايضا انه سبحانه فنى اقسام الكذب من كلها عاجابه من الغيب فان ذلك لو كان كذبا فاما ان يكون منه او من علمه وان كان منه فاما ان يكون تهمه او لم يتهمه فان كان من علمه فليس هو بشيطان رجيم وان كان منه مع التعمد فهو المتهم ضد الامين وان كان من غير تعمد فهو المجنون فتنى سبحانه عن رسوله ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تزكية فلهذا قال سبحانه وما هو بقول شيطان رجيم اى ليس تعلم الشيطان ولا يقدر عليه ولا يحسن منه كما قال تعالى وما نزلت به الشياطين وما يذبحي لهم وما يستطعون فتنى فضله وانفساه منهم وقدرتهم عليه وكل من له ادنى خيرة بأحوال الشياطين والمجانين والتمهين واحوال الرسل يعلم علما لا يرى فيه ولا يشك بل علما ضروريا كسائر الضروريات متافاة احدهما الآخر ومضادته كمتافاة احد الضدين لصاحبه بل ظهور المتافاة بين الامرين لقتل الامين من ظهور المتافاة بين النور والظلمة لبعث رسوله اوضح سبحانه من كفر بعد ظهور هذا الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة الشياطين فقال ابن تذهبون قال ابو اسحق ماى طريق تسلكون امين من هذه الطريقة التى بينت لكم قلت هذا من احسن اللازم وايته ان تبين السامع الحق ثم نقول له ابش نقول خلاف هذا وابن تذهب خلاف هذا قال تعالى فباى حديث بعده يؤمنون وقال فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون فالامر مختصر فى الحق والباطل والهدى والضلال فاذا حددتم عن الهدى والحق ما بين العدول وابن المذهب ونظير هذا قوله فهل حسبن ان لو ليم ان نفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم اى ان اضرمت من الايمان بالقرآن والرسول وطاعته فليس الا الفساد فى الارض والشرك والمعاصى وقطيعة الرحم ونظيره قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى امر مرجح لتركوا الحق وعدلوا عنه مرجح عليهم امرهم والتبس فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون بل لا يقولون شيئا الا كان باطلا ولا يفعلون شيئا الا كان ضائعا غير نافع لهم وهذا شأن كل من خرج عن الطريق الموصل الى المقصود ونظيره قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواهم وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله عز وجل فذلكم الله ربكم الحق فاذا بعد الحق الاضلال فاقى تصرفون

فصل • ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر لعل المؤمنين وفى موضع آخر ذكر لعل المؤمنين وفى موضع آخر ذكر لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومه وفى موضع آخر ذكر مطلق

وفي موضع آخر ذكر مبارك وفي موضع آخر وصفه بأنه ذوالذكر ويجمع هذه المواضع
 تبين المراد من كونه ذكرا عاما وخصوصا وكونه ذاذكر فانه يذكر العباد بمصالحهم في معاشهم
 ومعادهم ويذكرهم بالمبدأ والمعاد ويذكرهم بالرب تعالى واسماؤه وصفاته وافعاله وحقوقه
 على عباده ويذكرهم بالخير ليقصدوه وبالشر ليبتئوه ويذكرهم بنفوسهم واحوالها وافاتهم
 وما تكميل به ويذكرهم بعبودهم وما يريد منهم وماذا يصح تزويجهم من كبره ومن اى الابواب
 والمطرق يأتى اليهم ويذكرهم بضاقتهم وحاجتهم اليه وانهم مضطرون اليه لا يستغنون عنه
 نفسا واحدا ويذكرهم بنعمه عليهم ويذكرهم بما الى نعم اخرى اكبر منها ويذكرهم بأمره
 وشدة بطشه وانتقامه بمن عصى أمره وكذب رسله ويذكرهم بشوابه وعقابه ولهذا بأمر
 سبحانه عباده أن يذكروا ما في كتابه كقائل خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
 واذا كان كذلك فأحق او اولى واول من كان ذكر الله من انزل عليه ثم تقوم ثم يجمع العالين
 وحيث خص به المتقين فلانهم الذين اتفقوا بذكره وامامنا وصفه بأنه ذوالذكر فانه
 مشتمل على الذكرفهو صاحب الذكرومنه الذكرفهو ذكروفيه الذكركما أنه هدى وفيه الهدى
 وشفاء وفيه الشفاء ورحمة وفيه الرحمة وقوله سبحانه لن شاه منكم ان يستقيم بدل من العالين
 وهو بدل بعض من كل وهذا من احسن ما يستدل به على ان البدل في قوة ذكر حاملين
 مقصودين فان جهة كونه ذكرا لعمالين كلهم غير جهة كونه ذكرا لاهل الاستقامة فانه ذكرا لعموم
 بالصلاح والقوة وذكر لاهل الاستقامة بالحصول والتفكير ان البدل اخص من البدل
 منه فالعامل المقدر فيه اخص من العامل الملقط في البدل منه ولا بد من هذا تماثله
 وقوله لمن شاه منكم رد على الجبرية القائلين بأن العبد لامشيئته أو ان مشيئته مجرد علامة
 على حصول الفعل لا لارتباط بينهما وبينه الا مجرد اقتران عادي من غير ان يكون سببا فيه وقوله
 وما تشاؤون الا ان يشاء الله رد عن القدرة القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بايجاد الفعل من غير توقف
 على مشيئة الله بل متى شاء العبد الفعل وجد ويستحيل عندهم تعلق مشيئة الله بفعل العبد
 بل هو بفعله بدون مشيئة الله فالأيتان مبطلتان لقول الطائفتين فان قال الجبري هو سبحانه
 لم يقل ان الفعل واقع بمشيئة العبد بل اخبر ان الاستقامة تحصل عند المشيئة ونحن قائلون بذلك وقال
 القدرى قوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله مختلفة فمشيئة العبد هي الموجبة للفعل التي بها يقع ومشيئة
 الله لفعله هو أمره بذلك ونهيه عن ذلك فاجاب ان هذا من تحريف الطائفتين اما
 الجبري فيقال له اقتران الفعل عندك بمشيئة العبد بمنزلة اقترانه بكونه وشكله وسائر
 اغراضه التي لا تأثير لها في الفعل فان نسبة جميع اغراضه الى الفعل في عدم التأثير نسبة ارادية
 عندك والاقتران حاصل بجميع اغراضه فما الذي أوجب تفصيل المشيئة وهل سوى الله
 سبحانه في فطر الناس أو عقولهم أو شرائعهم بين نسبة المشيئة والارادة الى الفعل ونسبة
 سائر اغراض الحى اذا كان عندك ليس الاجر بالاقتران مادة والاقتران العادي حاصل مع
 الجميع واما القدرى فقربه أشد لانه جعل المشيئة على الامر وقال المعنى وما تشاؤون الا بامر الله
 وهذا باطل قطعاً فان المشيئة في القرآن لم تستعمل في ذلك وانما استعملت في مشيئة التكوين
 كقوله ولو شاء ربك ماضوا وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولو شئنا لا تديننا كل نفس

هداها وقوله ألم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدي الناس جميعا ونظائر ذلك مما لا يصح فيه
 حمل المشيئة على الأمر البتة والذي دللت عليه الآية مع سائر أدلة التوحيد وأدلة السبل
 الصريح أن مشيئة العباد من جملة الكائنات التي لا توجد إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فلم يشأ لم
 يكن البتة كما كان ما شاء كان ولا بد ولكن هنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن مشيئة الله سبحانه
 تارة تتملق بفعله وتارة تتملق بفعل العبد فتعلقها بفعله وهو أن يشاء من نفسه إرادته عبده
 وتوقيفه ونهيته لفعل هذه المشيئة تستلزم فعل العبد ومشيئته ولا يكتفي في وقوع الفعل بمشيئة
 الله لمشيئة عبده دون أن يشاء فعله فانه سبحانه قد يشاء من عبده المشيئة وحدها فيشأ العبد
 الفعل ويريد ولا يفعله لانه لم يشأ من نفسه إرادته عليه وتوقيفه له وقد دل على هذا
 قوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين وقوله وما يدكرهون إلا أن يشاء الله
 وهاتان الآيتان متضمتان إثبات التصرع والقدر والاسباب والمسببات وفعل العبد وإرادته
 إلى فعل الرب ولكل منهما عبودية مختص بها فعبودية الآيتة الأولى الاجتهاد واستغراق
 الوسع والاختيار والسعي وعبودية الثانية الاستعانة بالله والتوكل عليه والبالأ إليه واستئزال
 التوفيق والعون منه والعلم بأن العبد لا يملكه أن يشاء ولا يفعل حتى يجعله الله كذلك وقوله
 رب العالمين ينظم ذلك كله ويتضمنه لمن عطل أحد الأمرين فقد جحد كمال الربوبية وعطى
 وبالله التوفيق

فصل في ومن ذلك قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساعات سبحا
 والساقيات سبحا فالمدبرات أمرا + فهذه خمسة أمور وهي صفات الملائكة فأقسم سبحانه
 بالملائكة الفاعلة لهذه الأفعال اذ ذلك من اعظم آياته وحذف مقول الزرع والنشأ لانه لو
 ذكر ما نزع ونشأ لاهم التقيد به وان القسم على نفس الأفعال الصادرة من هؤلاء الفاعلين لم
 يتعلق الفرض بذلك المفعول كقوله فأما من أعطى واتقى ونظائر فكل نفس الزرع هو المقصود
 لا عين المزرع واكثر المفسرين على أنها الملائكة التي نزع ارواح بني آدم من اجسامهم وهم
 جماعة كقوله وتوهم رسلا وقوله ان الذين نوحاهم الملائكة فاما قوله قل نوحا كم ملك الموت الذي
 وكل بكم فاما ان يكون واحدا له او ان يكون المراد الجنس لا اوحدة كقوله وصدقت
 بكلمات ربها وكتبه وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والزرع هو اجتذاب الشيء بقوة والافراق
 في الزرع هو ان يجذب الى آخره ومنه افراق الزرع في جذب القوة بأن يبلغ بها غاية المدفيع قال آخرق
 في الزرع ثم صار مثلا لكل من بالغ في فعل حتى وصل الى آخره والفرق اسم مصدر ارفق مقامه كالعطاء
 والكلام أرفق مقامه الاعطاء والتكلم واختلف الناس على النازعات متعدد لازم فعل القول
 الذي حكياه يكون متعديا وهذا قول علي ومسروق ومقاتل وابي صالح وعطية عن ابن
 عباس وقال ابن مسعود هي أنفس الكفار وهو قول قتادة والسدى وعطاء عن ابن عباس
 وعلي هذا فهو فعل لازم وغرقا على هذا معناه نزعا شديدا أبلغ ما يكون وأشد وفي هذا
 القول ضعف من وجوه أحدها أن عطف ما بعده عليه يدل على أنها الملائكة فهي السابقات
 والمدبرات والنازعات الثاني ان الأقسام بنفوس الكفار خاصة ليس بالبين ولا في الغنظ
 ما يدل عليه الثالث ان الزرع مشترك بين نفوس بني آدم والافراق لا يخص بالكافر وقال

الحسن النازعات هي النجوم تنزع من المشرق الى المغرب وغرقا هو غروبها قال تنزع من
ههنا وتفرق ههنا واختاره الاخفش وأبو عبيدة وقال بجهاه هي شدائد الموت وأهواله
التي تنزع الارواح زما شديدا وقال عطاء وسكرمة هي القسي والنازعات هي هذا القول
يعني النسب أي ذوات النزع التي ينزع بها الرامي فهو النازع قلت النازعات اسم فاعل من
نزع ويقال نزع كذا اذا اجتذبه بقوة ونزع عنه اذا خلاه وتركه بعدملاسته له ونزع اليد اذا
ذهب اليه مال اليه وهذا المختار وصف به النفوس التي لها حركة ارادية لميل الى الشيء أو الميل
عنه واحق ما صدق عليه هذا الوصف الملائكة لان هذه القوة فيها أكل وموضع الآية فيها
أعظم فهي التي تفرق في النزع اذا طلبت ما تنزعه أو تنزع اليه النفس الانسانية أيضا لها هذه القوة
والنجوم أيضا تنزع من أفق الى أفق فالنزع حركة شديدة سواء كانت من ملك أو نفس انسانية
أو نجم والنفوس تنزع الى أوطانها والى ما ألفها وعند الموت تنزع الى ربها والمنايا تنزع النفوس
والقسي تنزع بالسهم والملائكة تنزع من مكان الى مكان وتنزع ما وكلت بنزعها والخيل
تنزع في اعتنائها زما تفرق فيه الائمة لطول اعتناقها فالصفة واقعة على كل من له هذه الحركة
التي هي آية من آيات الرب تعالى فانه هو الذي خلقها وخلق محلها وخلق القوة والنفس
التي بها تفرك ومن ذكر صورة من هذه الصور قلنا أراد التمثيل وان كانت الملائكة أحق
من تناولها هذا الوصف فأقم بطوائف الملائكة وأصنافهم فهم النازعات التي تنزع الارواح
من الاجساد والناشطات التي تنشطها أي تخرجها بسرعة وخفة من قواهم نشط الدلو من
البئر اذا أخرجهما وأنا أنشط بكذا أي أخف له وأصرع والسابحات التي تسبح في الهواء في
طريق بحرهما الى ما أمرت به كالتسبح الطير في الهواء فالسباحات التي تسبح وتسرع الى ما أمرت به
لا يبطئ عنه ولا تأخر قائدرات أمور العباد التي أمرها بها بتدبيرها وهذا أولى الاقوال وقد
روى عن ابن عباس أن النازعات الملائكة تنزع نفوس الكفار بشدة وعنف والناشطات
الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين يسر وسهولة واختار الفراء هذا القول فقال هي الملائكة
تنشط نفس المؤمن تنقبضها وتنزع نفس الكافر قال الواحدى انما اختار ذلك لما بين النشاط والنزع
من الفرق في الشدة واللين فالنزع الجذب بشدة والنشط الجذب برقة ولين والناشطات هي
النفوس التي تنشط لما أمرت به والملائكة أحق بالخلق بذلك ونفوس المؤمنين ناشطة
لما أمرت به وقيل السابحات هي النجوم تسبح في الفلك كما قال تعالى كل في فلك يسبحون وقيل هي
السفن تسبح في الماء وقيل هي نفوس المؤمنين تسبح بعد المفارقة صاعدة الى ربها قلت
والصحيح انها الملائكة والسباق يدل عليه وأما السفن والنجوم قلنا تسبح جارية وجـ وارى
كما قال تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام وقال جلنا كفى الجارية وقال الجوارى الكنس
ولم يسمها سابحات وان أطلق عليها فعل السباحة كقوله كل في فلك يسبحون ويدل عليه
ذكره السابحات بعدها والمدرات بالفاء وذكره الثلاثة الاول بالواو ولان السبق والتدبير
سبب من المذكور قبله فانها تزعت ونشطت وسبحت فسبقت الى ما أمرت به فدرته ولو كان
السابحات هي السفن أو النجوم أو النفوس الأدمية لما عطف عليها فعل السبق والتدبير
بالفاء فقام له قال مسروق ومقاتل والكلبي فالسباحات سبقتها الملائكة قال مجاهد وأبورو

سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح والايان والتصديق قال مقاتل تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة وقال الفراء والزجاج هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحى الى الانبياء اذ كانت الشياطين تسبق السمع وهذا القول خطأ لا يفيق فساد اذ يقتضى الاشتراك بين الملائكة والشياطين في اقافتهم الوحى وان الملائكة تسبقهم به الى الانبياء وهذا ليس بصحيح فان الوحى الذى تأتى به الملائكة الى الانبياء لا تسترقه الشياطين وهم معزولون عن سماعه وان استرقوا بعض ما يسمعون من ملائكة السماء الدنيا من أمور الحوادث فافقه سبحانه صدان وحيد الى الانبياء أن تسترقى الشياطين شيئا منه وهزلهم عن مصده ولو ان قائل هذا القول نذر السابقات بالملائكة التى تسبق الشياطين بالرجم بالشهب قبل القتل الكلمة التى استرقها لكان له وجه فان الشيطان يدبر مسرعا بالقائه الى وليه فتسبقه الملائكة في تزول به بالشهب التوافق فتملكه وربما أتى الكلمة قبل ادراك الشهابه وفمرت السابقات سبعا بالانفس السابقات الى طاعة الله ومرضاه واما المديرات أمرا أجعوا على انه الملائكة قال مقاتل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت يدبرون أمر الله تعالى في الارض وهم المقسمات أمرا قال عبد الرحمن بن سابط جبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وملاك الموت موكل بقبض الانفس واسرافيل ينزل بأمر الله عليهم وقال ابن عباس هم الملائكة وكلمهم الله بأمر عرفهم العمل بها والوقوف عليها بعضهم لبنى آدم يحفظون ويكتبون وبعضهم وكلوا بالامطار والنبات والخسف والمسخ والرياح والسهاب انتهى وقد أخبر ان الله وكل بالرجم ملكا ولرؤيا ملك موكل بها وللمينة ملائكة موكلون بممارتها وجعل آلهها وأولادها وغرامها وفرشها وغارها وأرائكها ولقار ملائكة موكله بعمل ما فيها وإيجادها وغير ذلك فالدنيا وما فيها والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ قد وكل الله بذلك ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك ولهذا كان الايمان بالملائكة أحد أركان الايمان الذى لايم الايمان الاله وأما من قال انها النجوم فليس هذا من قول أهل الاسلام ولم يجعل الله النجوم تدبر شيئا من الخلق بل هي مدبرة مضره كما قال تعالى والشمس والنجوم مضره بأمر الله سبحانه هو المديرة ملائكة لأمير العالم العلوى والسفلى قال الجرجاني وذكر السابقات والمديرات بالغام ما قبله بالاولان ما قبلها أقسام مستأنفة وهذا القسم منشأ من الذى قبلها كما قال قال لا تسمى تسبقن كما تقول قام فذهب أو جب القادان القيام كان سببا للذهاب ووقلت قام وذهب لم يجعل القيام سببا للذهاب واعترض عليه الواحدى فقال هذا غير مطرد في هذه الآية لانه يبعد أن يجعل السبق سببا للتدبير مع أن السابقات ليست الملائكة في قول المفسرين قلت الملائكة داخلون في السابقات قطعا وأما اختصاص السابقات بالملائكة فهذا محتمل وأما قوله يبعد أن يكون السبق سببا للتدبير فليس كازعم بل السبق المبادرة الى تنفيذ ما يؤمر به الملك فهو واجب ففعل الذى أمر به وهو التدبير مع أن القاء الدالة على التعقيب وأن التدبير يتعقب السبق بلا تراخ بخلاف الاقسام الثلاثة والله أعلم وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق وهو البحث المستلزم لصديق الرسول وثبوت القرآن وأوامره من القسم الذى اراده بالالتنبه على الدلالة والعبارة بالمقسمه دون أن يراده مقصدا عليه بعينه وهذا القسم يتضمن الجواب

المقسم عليه وان لم يذ كر لفظا ولعل هذا مراد من قال انه محذوف لعدم به لكن هذا الوجه
الطيف مسلكا فان المقسم به اذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما استغنى عن ذكره بذكره
وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه فتأمله ولعل هذا قول من قال انه انما اقسام
رب هذه الاشياء وحذف المضاف فان معناه صحيح لكن على غير الوجه الذي قدروه
فان اقسامه سبحانه بهذه الاشياء لظهور دلالتها على ربوبيته ووحدايته وعلمه وقدرته وحكمته
فلا اقسام بها في الحقيقة اقسام ربوبيته وصفاته كماه فتأمله ثم قرر سبحانه بعده هذا القسم امر المعاد
ونبوة موسى المستلزما لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ من الحاصل أن يكون موسى نبيا
ومحمد ليس نبيا مع أن ما ثبت نبوة موسى فلمحمد نظيره أو اعظم منه وقرر سبحانه تكليمه
لموسى بتدائه له بنفسه فقال اذ ناداه ربه فأثبت المستلزم للكلام والتكليم وفي موضع
آخر اثبت النجا والنداء والجماع نوع من التكليم ومحال ثبوت النوع بدون الجنس ثم امره ان
يخطبه بأربعين خطاب فيقول له هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فخشى نفي هذا
من لطف الخطاب ولينه وجوه أحدها اخراج الكلم مخرج العرض ولم يخرج مخرج الامر
والايجاب وهو اللطف ونظيره قول ابراهيم لعنيفة الكرمين ألا تأكلون ولم يقل كوا الثاني
قوله الى أن تزكى والتزكى النماء والطهارة والبركة والزيادة فعرض عليه أمرا يقبله كل
ما قل ولا يردده الاكل الحق جاهل الثالث قوله تزكى ولم يقل أزيك فأضاف التزكية الى نفسه
وعلى هذا مخاطب الملوك الرابع قوله وأهديك أى كون دليلك وهدايا بين يديك فنسب
الهداية اليه والتزكى الى المخاطب أى كون دليلك وهدايا فتزكى انت كما تقول لرجل
هل لك ان اذ لك على كسرت فأخذته ماشئت وهذا احسن من قوله اعطيك الخامس قوله
الى ربك فان في هذا ما يوجب قبول ما دل عليه وهو انه يقدمه ويوصله الى ربه فالمره وخالفه
الذى اوجده ورياء بنعمه جينا وصغير او كبير أو آناه الملك وهو نوع من خطاب الاستعطاف
والايجاب كما تقول لمن خرج عن طاعة سيده ألا تطع سيدك ومولاك ومالكك وتقول قولك
الأطيع أباك الذى ربك السادس قوله فخشى أى اذا اعتديت اليه وعرفته خشيته لان من
عرف الله خافه ومن لم يعرفه لم يخفه فخشيت فقالى مفروقة بمعرفته وعلى قدر المعرفة
تكون الخشية السابع ان في قوله هل لك قائدة لطيفة وهى ان المعنى هل لك فى ذلك حاجة
أوارب ومعلوم ان كل ما قل يبادر الى القول ذلك لان الداعي اغايد هو الى حاجته ومصطلحه
لا الى حاجة الداعي فكأنه يقول الحساجدة وانت المستزكى وانا الدليل لك والمرشد لك
الى اعظم مصالحك فقابل هذا بزيادة الكفر والعناد وادعى أنه رب العباد هذا وهو يعلم
انه ليس بالذى خلق فسوى ولا قدر فهدى فكذب الخبر وعصى الامر ثم ادر يسي بالخديعة
والمكر فمشرجنوده فأجابوه ثم نادى فيهم بأنه ربهم الا على واستخفهم فأطاعوه فبطش به
جبار السموات والارض بطشة عزيز مقتدر وأخذ نكال الآخرة والاولى ليعتبر بذلك
من يعتبر فاعتبر بذلك من خشي ربه من المؤمنين وحق القول على الكافرين ثم أقام سبحانه
مجته على الصالحين بخلق ما هو أشد منهم وأكبر وأعظم وأعلى وأرفع وهو خلق السماء وبنائها
ورفع سمكها وتسويتها واعلام ليها واخراج ضحاياها وخلق الارض ومدها وبسطها

وتهيئها لمسيراد منها وأخرج منها شراب الحيوان وأقوا قهم وأرسي الجبال فجعلوها
رواسي للأرض لثلاقيد بأهلها وأودعها من المنافع ماينهم به مصالح الحيوان الناطق
والبهيم فن قدر على ذلك كله كيف يعجز عن أمادتكم خلقا جديدا فتأمل دلالة المقسم به
المذكور في أول السورة على العباد والتوحيد وصدق الرسل كدلالة هذا الدليل المذكور
وإذا كان هذا هو المقصود لم يكن محتاجا إلى جواب والله أعلم

فصل ومن ذلك قوله تعالى والمرسلات حرفا فالمرسلات مصفا والناشرات نشرها
فالفرقات فرقا فاللقيات ذكر اعذار أو تنذرا لما توعدون لواقع فسر المرسلات بالملائكة وهو
قول أبي هريرة وابن عباس في رواية مقاتل وجاعقو فسر بالرياح وهو قول ابن مسعود
وأحدى الروايتين من ابن عباس وقول قتادة وفسر بالمصباح وهو قول الحسن وفسر
بالأنبياء وهو رواية عطاء من ابن عباس قلت الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء
ويرسل الرياح ويرسل المصباح فيسوقه حيث يشاء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فأرساله
واقع على ذلك كله وهو توهم أن الرسل الذين يبعدهم يرسلهم كإرسال رسله وأنبياءه وإرسال كونه هو
نوطان نوع يبعدهم ويرسلهم كإرسال ملائكته في تدبير أمر خلقه وتويع لأبيه بل بسخطه ويفضه
كإرسال الشيطان على الكفار فالإرسال المقسم به ههنا مقيد بالعرف فاما أن يكون ضد
المنكر فهو إرسال رسله من الملائكة ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح ولا الصواعق ولا
الشياطين وأما إرسال الأنبياء فلو أريد لقال والمرسلين وليس بالقصص نسبة الأنبياء لمرسلات
وتكلف الجملات المرسلات خلاف اليهود من استحمال اللفظ فربطوا في القرآن جمع ذلك
الاجمع تذكيرا لجمع تأييد وأيضا فافتران اللفظ بما يبعدها من الأقسام لا يناسب تفسيرها
بالأنبياء وأيضا فإن الرسل مقسم عليهم في القرآن لا مقسم بهم كقوله الله لقد أرسلنا إلى أم
من قبلك وقوله وانك إن المرسلين وقوله يس والقرآن الحكيم انك لن المرسلين وإن كان العرف
من التابع كعرف الفرس وعرف الديك والناس إلى فلان عرفوا واحد أي سابقون في قصده
والتوجه إليه جاز أن تكون المرسلات الرياح ويؤيده عطف العاصفات عليه والناشرات وجاز
أن تكون الملائكة وجاز أن يعم التوحيص لوقع الإرسال عرفا عليها ويؤيده أن الرياح موكل بها
لملائكة تسوقها وتصرفها ويؤيد كونه الرياح عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبب
فكما أنها أرسلت فصصفت ومن جعل المرسلات الملائكة قال هي نصف في مضيتها مصرعة كما
نصف الرياح ولا كثرون على أنها الرياح وفيها قول ثالث أنها نصف بروح الكافر يقال عصف
بالشيء إذا باداه وأهلكه قال الاعشى نصف بالدارع والحامر حكا أبو اسحق وهو قول
متكلف فإن المقسم به لا بد أن يكون آية ظاهرة تدل على الربوبية وأما الأمور النسبية التي يؤمن
بها فلا يقسم عليه وإنما يقسم سبحانه بملائكته وسكنته لظهور شأنهما وقيام الأدلة
والاعلام الظاهرة الدالة على نبوتها وأما الناشرات فنشرها هو استنشاف قسم آخر ولهذا أتى
به بالواو وما قبله مسطوف على القسم الأول بإلقاء قال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة هي
الرياح تأتي بالمطر ويدل على صحة قولهم قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراب من بدى
رجحه يعني أنها تنشر المصباح فنشرا وهو ضد الطي وقال مقاتل هي الملائكة تنشر كتب

بني آدم وصحائف أعمالهم وقاله مسروق وعطاء عن ابن عباس وقالت طائفة هي الملائكة تنشر
اجنحتها في الجو عند صعودها ونزولها وقبل تنشر أو أمر الله في الأرض والسماء وقبل تنشر
النفوس فخصيها بالآيمان وقال أبو صالح هي الأمطار تنشر الأرض أي تحييها قلت ويجوز
أن تكون الناشرات لازما لامفعول له ولا يكون المراد أنهن نشرن كذا فإنه يقال نشر الميت حي
وأشهر الله إذا أحياء فيكون المراد بها الأنفس التي حيت بالعرف الذي أرسلت به الرسائل
أو الأشباح والأرواح والبصاع التي حيت بالرياح الرسائل قال الرياح سبب لنشور الأبدان
والنبات والوحى سبب لنشور الأرواح وحياتها لكن هنا أمر يغيب في التفتن له وهو أنه
سببها جعل الأقسام في هذه السورة نوعين وفصل أحدهما من الآخر وجعل العاصفات
مطوفا على الرسائل بفساد التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد جعل الناشرات كأنهم قسم
مبتدأ ما في فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والمقليات بالفاء وأومر هذا أن الفارقات والمقليات
مرتبط بالناشرات وأن العاصفات مرتبط بالرسائل وقد اختلف في الفارقات والأكثرون
على أنها الملائكة ويدل عليه عطف المقليات ذكر أعليها بالفاء وهي الملائكة بالاتفاق وعلى هذا
فيكون القسم بالملائكة التي تنشر اجنحتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل فألقت
الذكر على الرسل اعذارا وانذرا ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها وقال هي
تفرق السحاب ههنا وههنا ولكن بأي ذلك عطف المقليات بالفاء عليها من قال الفارقات
أي القرآن يفرق بين الحق والباطل فقله يلزم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من
اثنتائه إذا قيل أنها الرياح ومن قال هي جارات الرسل فإن أراد الرسل من الملائكة فظاهر وإن
أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول ويظهر والله أعلم بالآراء من كلامه
أن القسم في هذه الآية وقع على النوعين الرياح والملائكة ووجه المناسبة أن حياة الأرض
والنبات والأبدان الحيوان بالرياح فأنهم من روح الله وقد جعلها الله تعالى نشورا وحياة القلوب
والأرواح بالملائكة فهذه النوعين يحصل نوما للحياة ولهذا والله أعلم فصل أحد
النوعين من الآخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء وتأمل كيف وقع القسم
في هذه السورة على المساد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والأشقياء فيها وقررها
بالحياة الأولى في قوله ألم تخلقكم من ماء معين فذكر فيها البدأ والمعاد وأخلص السورة
لذلك فحسن الأقسام بما يحصل به نوما للحياة المشاهدة وهو الرياح والملائكة فكان في القسم
بذلك إين دليل وأظهر آية على صحة ما قسم عليه وتضمنته السورة ولهذا كان المكذب بعد ذلك
في غاية الجسود والنادوا بالكفر فاستحق الويل بعد الويل تضاعف عليه الويل كما تضاعف
منه الكفر والتكذيب فلا حسن من هذا التكرار في هذا الموضع ولا أعظم موصافه تكرر
عشر مرات ولم يذكر إلا في آية دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق وما يوجب
التصديق به فتأمل

فصل في ومن ذلك قوله تعالى لا أقسم يوم القيمة ولا أقسم بالنفس الغوامة وقد تقدم
ذكر هذين القسمين ومناسبة الجمع بينهما في الذكر وكون الجواب غير مذكور وأنه يجوز
أن يكون محاذف لدلالة السياق عليه والعلم به ويجوز أن يكون من القسم المقصود به التنبيه

على دلالة المقسم به وكونه آية ولم يقصده مقسم عليه معينا فكأنه يقول اذ كر يوم القيمة
والنفس القوامية مقسم بها لكونها من آياتنا وادلة ربوبيتنا ثم انكر على الانسان بهذه الآية
حسبانه وظنه ان الله لا يجمع عظامه بعد مفارقتها البلى ثم اخبر سبحانه عن قدرته على جمع
غيرها من عظامه وعلى هذا فيكون سبحانه قد اخرج على ضله لما انكره اعداؤه بقدرته عليه
واخبر من ضله بأنه لا يلزمهم من القدرة وقوع المقدور والمعنى بل نجمعها قارين على تسوية
بنائه ودل على هذا المعنى المحذوف قوله بلى فانها حرف استحباب للتقدم من التثنية فلماذا يستغنى
عن ذكر الفعل بذكر الحرف الدال عليه فدللت الآية على الفعل وذكر كرت القدرة لا بطل قول
المكذبين وفي ذكر البنان لطيفة أخرى وهي أنها اطرافه وآخر ما يتبعه خلقه فمن قدر على جمع
أطرافه وآخر ما يتبعه خلقه مع دقتها وصغرها ولطافتها فهو على ما دون ذلك اقدر فالقوم
لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والارام قبل ان يجمع ونسوى أكثر منها مفارقة وادقها اجزاء
وأخر اطراف البدن وهي عظام الانامل ومفاصلها وقالت طائفة المعنى نحن قادرون
على أن نسوى اصابع يديه ورجليه ونجعلها مستوية شيئا واحدا كنف البعير وحافر الحمار
لا نفرق بينهما ولا يمكنه أن يعمل بهما شيئا مما يعمل بأصابعه المفارقة ذات المفاصل والانامل
من قوتون الاعمال والبسط والقبض والثاني لما يريد من الحوائج وهذا قول ابن عباس وكثير
من المفسرين والمعنى على هذا القول انما الدنيا قادرون على أن يجعل عظام بنائه يجمعوه دون
تفرق فكيف لا تقدر على جمعها بعد تفرقها فهذا وجه من الاستدلال غير الاول وهو الاستدلال
بقدرته سبحانه على جمع العظام التي فرقها ولم يجمعها والاول استدلال بقدرته سبحانه على
جمع عظامه بعد تفرقها وهما وجهان حسنان وكل منهما له الترجيع من وجه فبرجع الاول
أنه هو المقصود وهو الذي انكره الكفار وهو اجراء على نسق الكلام والطراد لان الكلام
لم يسبق لجمع العظام وتفرقها في الدنيا وانما سبق لجمعها في الآخرة بعد تفرقها بالموت ويرجع
القول الثاني ولعله قول جمهور المفسرين حتى أن فهم من لم يذكروا أنه استدلال بآية
ظاهرة مشهورة وهي تفريق البنان مع انتظامها في كف واحد وارتباط بعضها ببعض فهي متفرقة
في عضو واحد يقبض منها واحدة ويبسط أخرى ويحرك واحدة والاخرى ساكنة ويحمل
بواحدة والاخرى معلقة وكلها في كف واحد قد جمعها ساعد واحد فلو شاء سبحانه لسواها فجعلها
صفة واحدة كبطان الكف ففاته هذه المنافع والمصالح التي حصلت بتفرقها ففي هذا
أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت ثم اخبر سبحانه عن سوء حال
الانسان واصرارها على العصية والنجور وأنه لا يرهوى ولا يتأف يوما يجمع الله فيه عظامه
ويبعثه حيا بل هو مرید للنجور ما عاش فيعجز في الحال ويريد النجور في غد وما بعده وهذا
عند الذي يخاف الله والدار الآخرة فهذا لا يتقدم على ما مضى منه ولا يتقطع في الحال ولا يعزم
في المستقبل على الترك بل هو حازم على الاستمرار وهذا عند التائب النيب ثم نيه سبحانه على
الحامل له على ذلك وهو استبعاده ليوم القيامة وليس هذا استبعادا لزمته مع اقراره بوقوعه
بل هو استبعاد لوقوعه كما حتى عنه في موضع آخر قوله ذلك رجع بعيد أي بعيد وقوعه
ليس المراد انه واقع بعيد زمنه هذا قول جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وأصحابه قال

ابن عباس يقدم الذنب ويؤخر التوبة وقال قتادة وحكسمة قدما قدما في معاصي الله لا ينزع عن فيجوره وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى بل يريد الإنسان ليكذب بما أمامه من البعث ويوم القيامة وهذا قول ابن زيد واختار ابن قتيبة وأبي إسحق قال هؤلاء ودليل ذلك قوله بسئل أيان يوم القيامة ويرجع هذا القول لفظة بل فانه تعالى ان الانسان لم يؤمن بيوم القيامة مع هذا البيان والجملة بل هو مرید لتكذيبه ويرجمه أيضا ان السياق كله في ذم المكذب بيوم القيامة لا في ذم العاصي والفاجر وأيضا فان ما قبل الآية وما بعدها يدل على المراد فانه قال يحسب الانسان ان لن يجمع عظامه بل قادرين على أن نسوي بنانه فانكر سبحانه عليه حسابانه ان الله لا يجمع عظامه ثم قرر عليه قدرته على ذلك ثم انكر عليه ارادة التكذيب بيوم القيامة فالاول حسابان منه أن لا يحيد بعد موته والثاني تكذيب منه بيوم البعث وانه يريد أن يكذب بما وضع وبان دليل وقوعه وثبوته فهو مرید لتكذيبه ثم أخبر عن نصريحه بالتكذيب فقال بسئل أيان يوم القيامة فالاول ارادة التكذيب والثاني نطق بالتكذيب وتكلم به وهذا قول قوي كما ترى لكن ينبغي افرار هذه الالفاظ في قول الب هذا المعنى فان لفظة يفجر اغتدل على عمل الفجور لاهل التكذيب وحذف الموصول مع ما جره وإبقاء الصلة خلاف الاصل فان اصحاب هذا القول قالوا تقديره ليكفر بما أمامه وهذا المعنى صحيح لكن دلالة هذا اللفظ عليه ليست بالبينة فالجواب ان الامر كذلك لكن الفعل اذا ضمن معنى فعل آخر لم يلزم اعطاء حكمه من جميع الوجوه بل من جلالة هذه اللفظة العظيمة الشأن وجزالتها ان يذكر المتكلم فضلا وما يضنه معنى فعل آخر ويجرى على المضمن احكامه لفظا واحكام الفعل الآخر معنى فيكون في قوة ذكر الفعلية مع غاية الاختصار ومن تدبر هذا وجده كثيرا في كلام الله تعالى فلنظ يفجر اقتضت امامه بلا واعطه حرف ولا اسم موصول فأعطيت ما اقتضته لفظا واقتضى ما تضمنته من الفعل ذكر الحرف والموصول فأعطيته معنى فهذا وجه هذا القول لفظا ومعنى والله اعلم ثم اخبر سبحانه عن حال هذا الانسان اذا شاهد اليوم الذي كذب به فقال فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المقر فيسرق بصره أي يشخص لما يشاهده من الجحائم التي كان يكذب بها وخسف القمر ذهب ضوؤه وانحسر وجمع الشمس والقمر ولم يجمعها قبل ذلك بل يجمعها الذي يجمع عظام الانسان بعد ما رفقها اليلى ومن رفقها ويجمع للانسان يومئذ جميع عمله الذي قدمه وأخره من خير وأشر ويجمع ذلك من جميع القرآن في صدر رسوله ويجمع المؤمنين في دار الكرامة فيكرم وجوههم بالنظر اليه ويجمع المكذبين في دار الهوان وهو قادر على ذلك كله كما جمع خلق الانسان من نقطة من معنى ثم جملة علقته بحجته الاجزاء بعدما كانت نقطة متفرقة في جميع بدن الانسان وكما يجمع بين الانسان ومات الموت ويجمع بين السابق والساق اما سابق الميت أو سابق من يجهز بدنه من البشر ومن يجهز روحه من الملائكة أو يجمع عليه شدة الدنيا والآخرة فكيف هذا الانسان أن يجمع بينه وبين عمله وجزائه وأن يجمع مع بني جنسه ليوم الجمع وأن يجمع عليه بين أمر الله ونهيه وعبوديته فلا يترك حدى مما لا مطلقا لا يؤمر ولا ينهى ولا يتأب ولا يعاقب فلا يجمع عليه

ذلك فاجمع هذه السورة لما ان الجلع والضم وقد اقتضت بالقسم يوم القيمة الذي يجمع الله فيه بين الاولين والآخرين وبالنفس الواحدة التي اجتمع فيها همومها وغموها وارادتها واعتقاداتها وتضمنت ذكر المبدأ والمعاد والقيامة الصغرى والكبرى واحوال الناس في المعاد وانقسام وجوههم الى ناطرة منعمة وباسرة معذبة وتضمنت وصف الروح بأنها جسم ينتقل من مكان الى مكان فتجسم من تضاريف البدن حتى تبلغ التراق ويقول الحاضرون من راق اى من يرقى من هذه الحالة التي اصبحت على الحاضرين اى التسوا له من رقبته والرقية آخر الطب وقبل من يرقى بها ويصعد ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب فلى الاول تكون من رقى يرقى كرمى يرمى وعلى الثانى من رقى يرقى كشيقي يشقى ومصدره الرقاء ومصدر الاول الرقية والقول الاول أظهر لوجوه احدها انه ليس كل ميت يقول حاضروه من يرقى بروحه وهذا انما يقوله من يؤمن برقى الملائكة بروح الميت وانهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب بخلاف التماس الرقية وهى الدماء فانه قل ما يحملونه المتضرر الشا فى ان الروح اغاير رقى بها الملك بعد مفارقتها ما حينئذ يقال من يرقى بها واما قبل المفارقة فطلب الرقية للمريض من الحاضرين انسب من طلب علم من يرقى بها الى الله الثالث ان فاعل الرقية يمكن العلم به فيحسن السؤال عنه وبفهد السامع واما راقى الى الله فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يسئل عنه ومن انما يسئل بها عن تعيين ما يمكن السائل أن يصل الى العلم بتعيينه الرابع ان مثل هذا السؤال اغاير ابدية تخصص وانارة هو م الى فعل ما يقع بعد من قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا او يرد اية انكار فعل ما يذ كر بعدها كقوله من ذا الذى يشفع عنده الا بذنه وفعل الراقى الى الله لا يحسن فيه واحد من الامرين هنا بخلاف فاعل الرقية فانه يحسن فيه الاول الخامس ان هذا خرج على مادة العرب وغيرهم فى طلب الرقية لمن وصل الى مثل تلك الحال فحصى الله سبحانه ما جرت مادتهم بقوله وحذف فاعل القول لانه ليس الفرض متعلقا بالقائل بالقول ولم تجر مادة المضاطين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان حل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله اولى اذهونذ كبر لهم عايشا هوننه ويسمعونه السادس انه لو اريد هذا المعنى لكان وجه الكلام ان يقال من هو الراقى ومن الراقى لا وجه للكلام غير ذلك كما يقال من هو القائل منكما كذا وكذا فى الحديث من القائل كذا السابغ ان كذا من انما يسئل بها عن تعيين كذا يقول من الذى فعل كذا ومن ذا الذى قاله فليعلم ان فاعلا ولا فاعلا وقال ولا يعلم تعيينه فليسا عن تعيينه من تارة وبأى تارة توهم لم يسألوا عن تعيين الملك الراقى بالروح الى الله فان قيل بل علموا ان ملك الرحمة والعذاب صاهد بروحه ولم يعلموا تعيينه فليسا او ان تعيين احدهما قيل لم يعلموا ان تعيينه غير ممكن فكيف يسألون عن تعيينه لا لا يسل السامع الى تعيينه ولا الى الكلمة بالعلم به الشامن ان الآية انما سبقت لبيان يأسده من نفسه وبأس الحاضرين منه وعحق اسباب الموت وانما قد حضر ولم يبق شئ تجع فيه ولا تخلف منه بل هو قد ظن انه مفارق لعمالة فالحاضرون قد علموا أنهم لم يبق لاسباب الحياة المتعادة تأخير في ساءه فطلبوا اسبابا خارجة عن المقدور تسبب الراقى والدعوات فقيلوا من راقى اى من يرقى هذا الطبل من اسباب الهلاك والرقية عندهم كانت مستعملة حيث لا يحمى الدواء

التاسع ان مثل هذا انما يراد به التقى والاستبعاد وهو أحد التقديرين في الآية أي لا أحد يرقى من هذا العلة بعدما وصل صاحبها الى هذه الحال فهو استبعاد لتقى الرقية لا طالب لوجود الرقى كقوله قال من يحيى العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وقد صارت الى هذه الحال فان أريد بها هذا المعنى استحال ان يكون من الرقى وان أريد بها الطلب استحال أيضا ان يكون منه وقدينا أنها مثل هذا انما تستعمل لطلب أولاد نسكار وحيتنة فنقول في الوجه العاشر انها اما ان يراد بها الطلب والاستبعاد والطلب اما ان يراد به طلب الفصل أو طلب التصيين ولا يميل الى حل واحد من هذه المعاني على الرقى لما بيناه والله أعلم

فصل ومن أسرار هذه السورة أنه سبحانه جمع فيها لا وليا له بين جلال الظاهر والباطن فزين وجوههم بالضرورة وبواطنهم بالنظر اليه فلا أجل لبواطنهم ولا أنم ولا أحلى من النظر اليه ولا أجل لظواهرهم من نظرة الوجه وهي اشراقه وتخصينه وبهجته وهذا كما قال في موضع آخر ولقاهم نظرة وسرورا ونظيره قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشافهذا جلال الظاهر وزينه ثم قال وإباس القوى ذلك غير فهذا جلال الباطن وقظيره قوله انا أنزلنا السماء الدنيا زينة الكواكب فهذا جلال ظاهرها ثم قال وحفظا من كل شيطان مارد فهذا جلال باطنها ونظيره قوله من امرأة العزيز بعد ان قالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأيتهن أكبرته وقطعن أيديهن وقتلن حاش الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلك الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فذكرها له فزكواها وصنعها لهما سنة وأنه في غاية الحسن طاهرا وباطنا وينظر الى هذا المعنى ويناسبه قوله انك ان لا تحبوع فيها ولا تخرى وانك لا تنظما فيها ولا تضضي فاقابل بين الجوع والعري لان الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر وقابل بين النظما وهو حر الباطن والضضي وهو حر الظاهر بالبروز للشمس وقريب من هذا قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى في ذكر الزاد الظاهر الحسى والزاد الباطن المعنوى فهذا زاد سفر الدنيا وهذا زاد سفر الآخرة ويلى به قول هود يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم فالاول القوة الظاهرة المتصلة عنهم والثاني الباطنة المتصلة بهم ويشبهه قوله غاله من قوة ولاناصر قنبي عنهم الدافعين الدافع من أنفسهم والدافع من خارج وهو الناصر

فصل ومن أسرارها أنها تضمنت اثبات قدرة الرب على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله وهذا على أحد القولين في قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه فخير أن نقادر عليه ولم يفعله ولم يرد وأصرح من هذا قوله تعالى وأنا نزلنا من السماء ماء بقدر فاستكناه في الأرض وأنا على بابه لتقادرون وهذا أيضا على أحد القولين أي تنور العيون في الأرض فلا يقدر على الماء قال ابن عباس يريد ان سيغشى فيذهب فلا يسكون من هذا الباب بل يكون من باب القدرة على ما يفعله وأصرح من هذين الموضعين قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم منابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم وقد ثبت من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزول هذه الآية اعدوا وجوهكم ولكن قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم

انه لا بد ان يقع في امته خسف ولكن لا يكون كما وهذا عذاب من تحت الارجل وروى
انه كان في الامة قذف ايضا وهذا عذاب من فوق فيكون هذا من باب الاخبار بقدرته على
ما يشقعه وان اراد به القدرة على عذاب الامتناع فهو من القدرة على ما لا يريده
وقد صرح سبحانه بانه لو شاء لفعل ما لم يفعله في غير موضع من كتابه كقوله ولو شاء ربك
لا من في الارض كلهم جعيا وقوله ولو شئنا لا تتركنا كل نفس ههنا ونظما اثره
وهذا مما اخفاه فيه بين اهل السنة وبه تبين فساد قول من قال ان القدرة لا تكون الا مع
القفل لاقبله وان الصواب التفصيل بين القدرة الموجبة والمحضة فنفي القدرة عن
الفصل قبل الملازمة مطلقا خطأ والله اعلم

فصل في من أسرارها انها تضمنت التأييد والتثبيت في تلقى العلم وان لا يحمل السامع شدة
عبثه وحرصه وطلبه على مبادرة العلم بالاخذ قبل فراغه من كلامه بل من آداب الرب التي
أدب بها نبيه صلى الله عليه وسلم امره بترك الاستعجال على تلقى الوحي بل يصبر الى ان يفرغ
جبريل من قراءته ثم يقرأ بعد فراغه عليه فكذلك ينبغي لطالب العلم واسامعه ان يصبر
على صلاه حتى يقضى كلامه ثم يعيده عليه او يسأل عما اشكل عليه منه ولا يسأله
قبل فراغه وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه هذا احدها
والثاني قوله وكذلك ازلناه حكما عربيا وصرفنا فيه من الوحي دلعلمهم يتقون
او يحدث لهم ذكرنا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى الله
وحيه وقل رب زدني علما والثالث قوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فضمن لرسوله
ان لا ينسى ما قرأه اياه وهذا باقيا لاول القراءة وما بعد ما وقد تم الله سبحانه في هذه السورة من
يؤثر العاجلة على الآجلة وهذا الاستعجال بالتمتع بما ينفي وايشاره ما ينبغي ورتب كل ذلك وهو عود
في هذه السورة على هذا الاستعجال ومحبة العاجلة فارادته ان يغير امامه هو من استعجاله
وحب العاجلة وتكذيبه يوم القيامة من فرط حب العاجلة وايشاره لها واستعجاله بنصيبه
وقته به قبل اوانه واولا حب العاجلة وطلب الاستعجال لتمتع به في الآجلة اكل
ما يكون وكذلك تكذيبه وتوليه وترك الصلاة هو من استعجاله ومحبة العاجلة والرب
سبحانه وصف نفسه بضد ذلك فلم يجعل على عبده بل امره الى ان بلغت الروح التراقي
وأيقن بالموت وهو الى هذه الحال مستمر على التكذيب والتولي والرب تعالى لا يعاجله
بل يمهله ويحدثه الذكر شيئا بعد شيئا ويصرف له الآيات ويضرب له الامثال ويذم عليه
مبدئه من كونه نطفة من مني يعني ثم خلقه ثم خلقا سويا فلم يجعل عليه بالخلق ومدة
واحدة ولا بالمعقوبة اذ كذب خبره وعصى امره بل كان خلقه وامره وجزاؤه بعد عقيل
وتدريج وانه ولهم ذم الانسان بالعجلة بشؤله وكان الانسان عجولا وقال خلق
الانسان من عجول ساركم آياتي فلا تستعجلون

فصل في من أسرارها ان آيات النبوة والمعاد يعلم بالعقل وهذا احد القولين لاجابنا
وغيرهم وهو الصواب فان الله سبحانه انكر على من حسب انه يتركه في لا يؤمر ولا ينهى
ولا يثاب ولا يعاقب ولم ينفع سبحانه ذلك بطريق الخبر الجرد بل فناء في ما لا يليق نسبته اليه

ونفى منكر على من حكم به وعنه ثم استدل سبحانه على فساد ذلك وبين ان خلقه الانسان في هذا الاطار ونقله فيها لورا بعد طور حتى بلغ نهايته بأي ان يتركه سدى فانه يتركه من ذلك كما يتركه من الميت والعيب والنقص وهذه طريقة القرآن في غير موضع كما قال تعالى اخسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم فجعل كمال ملكه وكونه سبحانه الحق وكونه لا اله الا هو وكونه رب العرش المستازم لربوبيته لكل مادونه مبطلا لذلك الظن الباطل والحكم الكاذب وانكار هذا الحسبان عليهم مثل انكاره عليهم حسبانهم انه لا يسمع سرهم ونجواهم وحسبان انه لا يراهم ولا يقدر عليهم وحسبان انه يسوى بين اوليائه وبين اعدائه في محابهم ومعاتهم وغير ذلك مما هو مؤثر عنه تزيينه من سائر الصوب والتفاصيل وان نسبة ذلك كنسبة ما يتعالى عنه محالا يليق من اقتضاد الوارد والشريك ونحو ذلك مما يتكره سبحانه على من حسب به أشد الانكار فدل على ان ذلك قبيح فمتنع فسيته اليه كما يتنع أن ينسب اليه سائر ما ينافي كماله القدوس ولو كان نفي تركه سدى انما يعلم بالسمع الجرد لم يقل بعد ذلك ألم يك نقطة الى آخره وما يدل ان تعطيل اسمائه وصفاته ممنوع وكذلك تعطيل موجهها ومقتضاها فان ملكه الحق يستلزم امره ونهيه وثوابه وعقابه وكذلك يستلزم ارسال رسله واتزال كتبه وبعث المرسلين يوم يحصى فيه المحسن باحسانه والسيئ بساؤه فمن انكر ذلك فقد انكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق ولذلك كان منكر ذلك كافرا بربه وانزعم انه يقربصانع العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال والسفلى لتعوت الكمال كما ان الممثل للكلامه وعلوه على خلقه لم يؤمن به سبحانه فانه آمن برب لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يصعد اليه قول ولا عمل ولا ينزل من عنده ملك ولا أمر ولا ينهى ولا ترفع اليه الايدي ومعلوم ان هذا الذي آمن به رب مقدر في ذهنه ليس هو رب العالمين والله المرسلين وكذلك اذا اعتبر اسم الحق وجدته مقتضيا لصفات كماله من علوه وحده وبصره وقدرته وارادته ورحمته وفضله ما يشاء واسمه القبول مقتضى لتدبير امر العالم العلوي والسفلى وقيامه بمصالحه وحفظه له فمن انكر صفات كماله لم يؤمن بأنه الحق القبول وان اقر بذلك الحد في اسمائه وعطل حقائقها حيث لم يمكنه تعطيل الفاظها وبالله التوفيق

فصل ومن ذلك قوله تعالى كلا والتمر والليل اذ أدبر الوصبح اذا أسفر انفا لا حدى الكبير نذير البشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر اقسام سبحانه بالقر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبأريه وحكمته وعلمه وعنايته بخلقها ما هو معلوم بالشاهدة وهو سبحانه اقسم بالسماء وما فيها مما لا تراء من الملائكة وما فيها مما تراء من الشمس والتمر والنبوم وما يحدث بسبب حركات الشمس والتمر من الليل والنهار وكل ذلك آية من آياته ودلالة من دلائل ربوبيته ومن تدبر امر هذين النيرين العظيمين وجدتهما من اعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفران دائبين ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة والرجوع والاستقامة والانخفاض والارتفاع ولا يمرى احدهما في ذلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه ولا تدرك الشمس القمر ولا يجنى الليل قبل انقضاء النهار بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشرك فيه الاخر كما انه تعالى اقر

ومنفعة لا يشرك فيها الآخرو ذلك ما يدل من أنه ادعى عقل على أنه بتسخير مضرو وأمر أسر وتدبير
مدبر بهرت حكمته العقول واحاط علمه بكل دقيق وجليل وفرق ما علمه الناس من الحكم الذي في
خلقهم ما لا اتصل اليه عقولهم ولا تنتهي الى مبادئها وأوامهم ففأيقنا الاعتراف بحلال خافهما كمال
حكمته ولطف تدبيره وان نقول ما قاله اولو الالباب قبلنا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه تلك
فما عذاب النار ولوان العبد وصفه جرم او دمس تدبر عظيم اخلق ييد وفيه النور كضبط
متنهم ثم يترايد لكل ليلة حتى يتكامل لوره فيصير اضواء شئ وأحسنه وأجمله ثم يأخذ
في النقصان حتى يعود الى حاله الاول فحصل بسبب ذلك معرفة الا شهر والسنين وحساب
آجال العالم من مواقيت جهنم وصلاتهم ومواقيت اجازتهم ومدائنها ثم ومعاملتهم التي
لا تقوم مصالحهم الا بها فصالح الدنيا والدين متعلقة بالالهة وقد ذكر سبحانه ذلك في ثلاث
آيات من كتابه احدها قوله يسألوك من الالهة قل هي مواقيت للناس والحج والثانية قوله هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله
ذلك الا بالحق بفصل الآيات لقوم يعلمون والثالثة قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل
شئ فصلناه تفصيلا فلولا ما بعده الله سبحانه في آية الليل من زيادة ضوئها ونقصانها لم يعلم
مبقات الحرج والصوم والعدد ومدة الرضاع ومدة الحمل ومدة الاجارة ومدة آجال الحاملات
فان قيل كان يمكن هذا بمعرفة الشمس والايام التي تصطف بطول الشمس وغروبها كما يعرف
أهل الكتابين مواقيت صيامهم وأعيادهم بحساب الشمس قيل هذا وان كان يمكنه الا انه يصير
ضبطه ولا يقف عليه الا الآحاد من الناس ولا ريب ان معرفة اوائل الشهور وواسطها
وأواخرها بالشمس امر يشترك فيه الناس وهو أسهل من معرفة ذلك بحساب الشمس وأقل
اضرابا واختلافا ولا يحتاج الى تكلف حساب وتقليد من لا يعرفه من الناس لمن يعرفه فالحكمة
البالغة التي في تقدير السنين والشهور يسير الظواهر وأنفع وأصلح وأقل اختلافا من تقديرها
بسير الشمس فارب جل جلاله ببر الالهة بهذا التدبير العجيب لذائع خلقه في مصالح دينهم
ودنياهم مع ما يتصل به من الاستدلال به على وحدانية الرب وكال حكمته وعلمه وتدبيره فشهادة
الحق بنعم الاجرام الفلكية وقيام أدلة الحدوث والخلق عليها هي آيات ناطقة بإسناد الحال على
تكذيب الدهرية وزنادقة الفلاسفة والملاحدة القائلين بأنها ازلية أبدية لا يتطرق اليها
التغيير ولا يمكن عدمها فاذن أمل البصير الثمر مثالا واقتداء الى محل يومه وسير مدائنها لا يفتر مسير
مسخر مدبر وهبوطه تارة وارتقاه تارة وأفوله تارة وظهوره تارة وذهاب تارة شيئا فشيئا ثم
عوده اليه كذلك وذهاب ضوئها فجلة واحدة حتى يعود قطعة مظلمة كالسكوف على قطعها انهم مخلوق
مرحوب مضطرب من خلقه فاهم مضطرب كما يشاء وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلا
وان هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهي الى الانقطاع والسكون وان هذا الضوء والنور لا بد أن
ينتهي الى شدة وأن هذا السلطان لا بد أن ينتهي الى العزل وسيجمع بينهما جامع المتفرقات بعد
أن لم يكونا مجتمعين ويذهب بهما حيث شاء ويرى المشركين من عيدينهما حال آلهم التي
هيدو هيا من دونه كما يرى عباد الكواكب انتشارها وعباد السماء انقطاع هيا

وعباد الشمس تكويرها وعباد الاصنام اهانتها والقاءها في النار احرقشي واذله واصفره كإررى
عباد الجبل في الدنيا حاله ومبادر عباده تحفه وتحفه والريح قزفة وتذروه وتسفه في الهم وكما
أرى الاصنام في الدنيا صورها مكسرة مخردة ملقاة بالامكنة القذرة ومعاول الموحدين قد هتمت
منها تلك الوجوه وكسرت تلك الرؤس وقطعت تلك الايدي والارجل التي كانت لا يوصل
اليها بغير الثقيل والامتلا م وهذه سنة الله التي لا تبدل ومادته التي لا تحول انه يرى ما يدغمه حال
معبوده في الدنيا والاخرة وان كان المعبود غير راض بعبادة غيره ارادة تبريه منه ومادته له احوج
ما يكون اليه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
تأمل - سطور الكائنات قائمها * من الملك الاعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها * ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ولو شاء تعالى لابقى القمر على حالة واحدة لا يتغير وجعل التغيير في الشمس ولو شاء لغيرهما
وما لو شاء لابقاهما على حالة واحدة ولكن يرى عباده آياته في انواع تصاريها في يدهم على
انه الله الذي لا اله الا هو الملك الحق المبين الفاعل لما يريد الاله الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين واما تأثير القمر في ترتيب ابدان الحيوان والنبات وفي المياه وجزر البحر ومده
وبحركات الامراض ونقلها من حال الى حال وغير ذلك من المنافع فأمرها

فصل * واما اقسامه سبحانه بالليل اذ ادبر فلما في ادبارها واقبال النهار من اربعين
الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد فانه مبدأ ومعاد يومى مشهود بالعيان بيننا والحيوان في
سكون الليل قد هدأت حركاتهم وسكنت اصواتهم ونامت حيوتهم وصاروا اخوان الاموات
اذ قبل من النهار داعيه واسمع اخلاقي مناديه فانشرت منهم الحركات وارتفعت منهم
الاصوات حتى كأنهم قاموا احياء من القبور يقول قائلهم الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتوا اليه
النشور فهو معاد جديد ابداء واحاد الذي يبدى ويصير فن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى
الواحد القهار فن تأمل حال الليل اذا غمس وادبر والصبح اذا تنفس وأسفر فهزم جيوش
الظلام بنفسه واضاء ارق العالم بقبسه وقل كتاب المواقب بعباسكم واضحك نواحي الارض
بشاشته وبشارته فبالها آيات شاهدتان بوحداية منشيها وكال ربوبيته وعظم قدرته
وحكمته فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقبلا لسلطان الليل والنهار فلو لاطلوعها
لبطل امر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا
مظلمة عليهم وكيف كانت تهينهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه وأي غار ونبات وحيوان
كان يوجد وكيف كانت تم مصالح ابدان الحيوان والنبات ولولا غروبها لم يكن للناس هدو
ولا قرار مع علم حاجتهم الى الهدو راحة ابدانهم وجوهم حوائجهم فلو لا جنوم هذا الليل
عليهم بظلمة ما هداؤ ولا قروا ولا سكنوا بل جعله احكم الحاكمين سكنوا لولا ما كما جعل النهار
ضياء ومعايشا ولولا الليل وبرده لاحترقت ابدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس
عليها وكان يهرق ما عليها من نبات وحيوان فانقضت حكمه الحاكمين ان جعلها
سرراجا يطلع على العالم في وقت حاجتهم اليه ويشيب في وقت استغنائهم عنه
فطلوعه لمصطنعهم وخبثته لمصطنعهم وصار النور والظلمة على تضادهما متساويين

متماوتين متظاهرين على مصلحة هذا العالم وقوامه فلو جعل الله سبحانه النهار سرمداً الى يوم القيامة والليل سرمداً الى يوم القيامة لفانت مصالح العالم واشتدت الضرورة الى تغيير ذلك وزلاته بضده وتأمل حكمته سبحانه في ارتفاع الشمس وانخفاضها لاقامة هذه الازمنة الاربعه من السنة وما في ذلك من مصالح الخلق في الشتاء تقور الحرارة في الشجر والنبات فيتو لدنهما مواد النار ويكف الهواء فيشأ منه الصحاب وينمقد فيحدث المطر الذي به حياة الارض وغذاء ابدان الحيوان والنبات وحصول الافعال والقوى وحرركات الطبائع وفي الصيف يتخمد الهواء فينضج الثمار وتشتد الحبوب ويحفظ وجه الارض فينهيا العمل وفي الخريف يصفو الهواء وتبرد الحرارة ويمتد اهل وتسريح الارض والتبر للحمل والنبات مرة ثانية بمنزلة واحدة الحامل بين الجنين في هذه الازمنة يبدأ معاد مشهود وشاهد بالبدن والمعاد الفسي والمقصود ان بحركة هذين الثنين يتم مصالح العالم وبذلك يظهر الزمان فان الزمان مقدور الحركة فالسنة الشمسية مقدار سير الشمس من نقطة الحمل الى مثلها والسنة القمرية مقدرة بسير القمر وهو اقرب الى الضبط واشترك الناس في العلم به وقدر احكم الحاكمين تغلقها في منازلها لما في ذلك من تمام الحكمة ولطف التدبير فان الشمس لو كانت تطلع وتغرب في موضع واحد لاتعمدها لما وصل ضرورها وشعاعها الى كثير من الجهات فكان نفعها يفقد هناك فجعل الله سبحانه طلوعها ودولابين الارض لينال نفعها وتأثيرها البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن ان تطلع عليها الا اخذ بقسطه من نفعها واقتضى هذا التدبير الحكم ان وقع مقدار اقل والنهار على اربعة وعشرين ساعة يأخذ كل منهما من صاحبه وينتهي كل منهما اذا امتد خمسة عشر ساعة فلو زاد مقدار النهار على ذلك الى خمسين ساعة مثلاً او اكثر لاختل نظام العالم وفسد اكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام ايضا وتعطلت المصالح ولو امتدوا دائماً لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير الحكم من الايات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيقه الى حزنه وعلمه كما قال تعالى وآية لهم اهل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى قل انكم تكفرون بالذي خلق الارض في يومين ويجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء لسانين ثم احوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واحسب في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظنا ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى فاقب الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها ان تقدير حرركات الشمس والقمر والاجرام العلوية وما فيها منها كان من مقتضى عزته وعلمه وأنه قدوره بما تين الصنفين وفي هذا تكذيب لاعداء الله الا حدة الذين ينفون قدرته واختياره وعلمه بالفيضات

فصل في اقسام سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة وهي القمر والليل اذ ادبر والصبح اذ اشرق على المساء لما في القيم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه فانه يحضن حال قدرته

وحكمته وهنائه بخلقه وإبداء الخلق وإعادته كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما وفي إبداء النور وإعادته في القمر وفي إبداء الزمان وإعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر وإبداء الحيوان والنبات وإعادتهما وإبداء فصول السنة وإعادتها وإبداء ما يحدث في تلك الفصول وإعادته فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبر به الرسل كلهم عنه فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدق رساله ونوعها وجعلها للفطرة والسمع نارة ولمشاهدة نارة فجعلها آفاقية ونفسية ومنقولة ومقولة ومشهودة بالعيان ومنذ كورة بالجان مآبى الظالمون الأكفورا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولما أقام الجندوبين المحبذات من كل نفس بكسبها واخذها بذنبيها واستثنى من أولئك من قبل هداة واتبع رضاهم أصحاب اليمين الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وسلكوا غير ميل الجرمين الذين ليسوا من المصلين ولا من مطمئني المسكين وهم من أهل الخوض مع الخافضين المكذبين يوم الدين فهذه أربع صفات أخرجهن من زمرة المقبحين وادخلهن في جملة الهالكين الأولى ترك الصلاة وهي عود الإخلاص للمعبود الثانية ترك إعطاء المسكين الذي من هو مراتب الإحسان للعبيد والإخلاص للخالق والإحسان للمخلوق كما قال تعالى الذين هم يراؤن ويعلمون الماعون وقال لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وهذا ضد ما وصف به أصحاب اليمين بقوله الذين يعجبون الصلاة وهم أرزقناهم ينفقون وقال تعالى في جنوبهم من المضجع يدهسون ربهم خوفا وطمعا ومآزقناهم ينفقون وقرن سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع في كتابه فأمر بمعاملة وأثنى على فاعليهما نارة وتوعد بالويل والعقاب تاركهما نارة فان مدار الحياة عليهما ولا فلاح لمن اخل بهما الصفة الثالثة والرابعة الخوض بالباطل والتكذيب بالحق فاجتمع لهم عدم الإخلاص والإحسان والخوض بالباطل والتكذيب بالحق واجتمع لأصحاب الإخلاص والإحسان والتصديق بالحق والتكلم به فاستقام إخلاصهم وإحسانهم وبقيتهم وكلامهم واعتدلت أصحاب السموات بالإخلاص شركا وبالإحسان إساءة وبالبقية شكاً وتكذيباً وبالكلام النافع خوفاً في الباطل فلذلك لم تنفعهم شفاعة الشافعين أي لم يكن لهم من شفيع فيهم لأن الشفاعة تقع فيهم ولا تنفع وهذا لما أعرضوا عن التذكرة ولم يرضوا بما رأوا وجعلوا من سماها كما يحفل حمار الوحش من الأعداء أو من الرماة ثم ختم السورة بأنه جمع فيها بين شره وقدره وإقامة الجحمة عليهم بآيات المثبتة لهم وبيان مقتضى التوحيد والربوبية وإن ذلك إليه لا الهم فالأول عدله والثاني فضله فالأول بوجوب السعي والطلب والحرم على ما يفهم كما يفعلون ذلك في مصالح دنياهم بل أشد الثاني بوجوب الاستعانة والتوكل والتفويض والرغبة إلى من ذلك يده ليسهل و يوفقهم والله المستعان وعليه التكلان

فصل في ومن ذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه يقول رسول كريم إلى آخرها قال مقاتل بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه وقال قتادة أقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وقال الكلبي تبصرون من شيء وما لا تبصرون من شيء وهذا أعم قسم وقع في

القرآن فانه بم العلويات والسفليات والدياوالاخرة وما يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم
والجن والانس والعرش والكرسي وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وبريئته وهو سبحانه
بصرف الاقسام كما يصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل
على صدق رسوله وان ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن
ومن تأمل المخلوقات ما رآه منها وما لا يراه واعتبر ما جاء به الرسول بها وتفل فكرته في مجاري الخلق
والامر ظهر له ان هذا القرآن من عند الله وانه كلامه وهو اصدق الكلام وانه حق ثابت كيان
ساير الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حتى كما قال تعالى فو رب السما والارض انه لخلق مثل ما تكم
تنطقون اي ان كان فطقتكم حقيقة وهو امر موجود لا تغارون فيه ولا تشكون فهكذا
ما اخبركم به من التوحيد والمعاد والنبوته حتى كما في الحديث انه لخلق مثل ما تكم فهنا فكأنه
سبحانه يقول ان القرآن حتى كما ان ما شاهدوه من الخلق وما لا يشاهدونه حتى موجود بل
لو ذكرتم فيما تبصرون وما لا تبصرون لدلكم ذلك على ان القرآن حتى ويكفي الانسان من
جميع ما لا يبصره وما لا يبصره بعينه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله غسارها
وباطناني ذلك ايين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله وما لم يبصره
قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال انه لقول رسول كريم
وهذا رسوله البشري محمد صلى الله عليه وسلم وفي اضافته اليه باسم الرسالة بين ذلك انه كلام
المرسل فمن انكر ان يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد انكر حقيقة الرسالة ولو كانت اضافته اليه
اضافة انشاء وابتداء لم يكن رسولا ولناقض ذلك اضافته الى رسوله الملقى في سورة التكوين
ثم بين سبحانه كذب اعدائه وبهتتهم في نسبة كلامه تعالى الى غيره وانه لم يتكلم به بل قال
من تلقاه نفسه كما بين كذب من قال ان هذا الاقول البشر فنزعم انه قول البشر فقد كفر
وبسبيله الله - ثم اخبر سبحانه انه تنزيل من رب العالمين وذلك يتضمن امورا احدها انه
تعالى فوق خلقه كلهم وان القرآن نزل من عنده والثاني انه تكلم به حقيقة لقوله من رب العالمين
ولو كان غيره هو المتكلم به لكان من ذلك الغير ونظيره اذ قوله ولكن حتى القول مني ونظيره قوله
قل نزل به روح القدس من ربك بالحق وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل من حكيم
خبر وما كان من الله فليس بمخلوق ولا ينتضي هذا بأن الرزق والمطر وما في السموات والارض
جميعا منه وهو مخلوق لان ذلك كله اعيان قائمة بنفسها وصفات واحال تلك الاعيان
فاضاتها الى الله سبحانه وانها منه اضافة خلق كاضافة بيته وعبدته وناقته وروحه وبابه
اليه بخلاف كلامه فانه لا بد ان يقوم بتمكلمه اذ كلام من غير متكلم كسمع من غير سامع وبصر
من غير مبصر وذلك عين الحال فاذا اضيف الى الرب كان بمنزلة اضافة اسمه وبصره وحبسه
وقدرته وعلمه ومشيئته اليه ومن زعم ان هذه اضافة مخلوق الى خالقي فقد زعم ان الله لا يسمع له
ولا يبصر ولا حياة ولا قدرة ولا مشيئة تقوم به وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الاشراك وان
زعم ان اضافة السمع والبصر والحياة والتدرة اضافة صفة الى موصوف فاضافة الكلام
اليه اضافة مخلوق الى خالقي فقد تناقض وخرج عن موجب العقل والقطرة والنسج ولفات
الام وفرق بين محتملين حقيقة وعقلا وشرعا ونظرة ولغة ونأ مل كيف اضافته سبحانه

الى الرسول بلفظ القول واضاه الى نفسه بلفظ الكلام في قوله حتى يسمع كلام الله فان الرسول يقول للمرسل اليه ما امر بقوله فيقول قلت كذا وكذا وقلت له ما امرتني ان اقول له كما قال المسيح ما قلت لهم الا ما امرتني به والمرسل يقول للرسول قل لهم كذا وكذا كما قال تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن قل لله ومن بين يقضوا من ابصارهم وقطارته فاذا بلغ الرسول ذلك صح ان يقال قال الرسول كذا وهذا قول الرسول اى قاله مبلغا وهذا قوله مبلغا عن مرسله ولا يبيح فى شئ من ذلك تكلم لهم بكذا وكذا ولا تكلم الرسول بكذا او كذا ولا انه يكلام رسول كريم ولا فى موضع واحد بل قيل له صدق وقد تلى آية هذا كلامك وكلام صاحبك فقال ليس بكلامى ولا كلام صاحبي هذا كلام الله

فصل فى الامر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين ان روبريته الكلمة خلفه تأبى ان يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يرشدهم الى ما ينفعهم ويحذرهم ما يضرهم بل يتركهم هملا بمنزلة لانعام السائمة فنزعم ذلك لمصلحة رب العالمين قد دره ونسبه الى ما لا يليق به تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يبق عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه لما قرره ولما جله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تأبى ان يقر من تقول عليه وامرى عليه وأضل عباداه واستباح دماء من كذبه وحرجهن وأموالهم وأظهر فى الارض الفساد والجور والكذب وخالف الخلق فكيف يليق بأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأقدر القادرين ان يقره على ذلك بل كيف يليق به ان يؤيده وينصره وبعلمه وبظهوره وبظفره بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم وفسادهم قائلا ان الله امرنى بذلك وأباحه لى بل كيف يليق به ان يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه باقراره بالآيات المستلزمة لصدقه التى دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول وأظهر ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يحصل باجماع تلك الآيات تصديق فوق تصديق كل آية بمفردها ثم يميز الخلق عن معارضته ثم يصدقه بكلامه وقوله ثم يقم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد به باقراره وفضله وقوله من أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين ورب العالمين أن يضل ذلك بالكاذب المفترى عليه الذى هو شر الخلق على الإطلاق فن يجوز على الله أن يضل هذا بشر خلقه واكذبهم فا آمن بالله قطعا ولا عرف الله ولا هذا هو رب العالمين ولا يحسن نسبة ذلك الى من له مسكة من عقل وحكمة وحجى ومن فضل ذلك فقد أزرى بنفسه ونادى على جهله وأذكر فى هذا منظره تجرت لى مع بعض اليهود قلت له بعد أن أقضى فى جوة النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قلت له انكار نبوته بتضيق القدح فى رب العالمين وتنقصه بأقبح التنقص فكان الكلام معكم فى الرسول والكلام الآن فى تنزيه الرب تعالى فقال كيف تقول مثقال هذا الكلام فقلت له يانه على فاسح الآن انتم تزعمون أنه لم يكن رسولا وانما كان ملكا قاهرا أقهر الناس بسيفه حتى داثوه ومكث ثلاثا وعشرين سنة

يكذب على الله ويقول أوحى الي ولم يوح اليه وأمرني ولم يأمره ونهاني ولم ينهه وقال الله
كذا ولم يقل ذلك وأحل كذا وحرم كذا وأوجب كذا وكره كذا ولم يحل ذلك ولا حرمه
ولا أوجبه بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذبا مفتريا على الله وعلى أنبيائه وعلى رسله
وملائكته ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض عباده بسفك دماهم ويأخذ
أموالهم ويسترق نساءهم وأبناءهم ولا ذنب لهم إلا الرد عليه ومخالفته وهو في ذلك
كله يقول الله أمرني بذلك ولم يأمره ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان رسل ونسخ شرائعهم
وحل نواويسهم فهذه حاله عندكم فلا تخلوا أما أن يكون الرب تعالى طالما بذلك مطلعا
عليه من حاله يراه ويشاهده أم لا فإن قلتم إن ذلك جبهه غائب عن الله لم يهـ عليه قدحتم
في الرب تعالى ونسبوه إلى الجهول المفرط اذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ولا على ولا رآه
وان قلتم بل كان ذلك بعلمه وإطلاعه ومشاهدته قيل لكم فهل كان قادرا على أن يهـ ذلك
ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا فإن قلتم ليس قادرا على ذلك نسبوه إلى العجز الناقص
فربوبية وكان هذا الانسان هو أتباعه أقدر منه على تنفيذ ارادتهم وان قلتم بل كان قادرا
ولكن مكنته ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر أوليائه وأتباع رسله نسبوه إلى أعظم
السفه والظلم والاخلال بالحكمة هذا لو كان محلي بينه وبين ماضيه فكيف وهو في ذلك كله
ناصره ومؤيده ومجيب دعواته ومهلك من خالفه وكذبه ومصدقه بأنواع التصديقي
ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم
ويعجزوا عن ذلك وكل وقت من الاوقات يحدث له من أسباب النصر والعجز والظهور
والعلو وكثرة الاتباع أمرا خارجا عن المادة فظهر ان من أنكر كونه رسولا نبيا
فقد سب الله وقدح فيه ونسبه إلى الجهول والعجز والسفه فقلته ولا يتنقض هذا بالملوك
الظلمة الذين مكنتهم في الأرض وقتلناهم قطع دابرهم وأبطل سنتهم ومحا آثارهم وجورهم
فإن أولئك لم يبدوا شيئا من هذا ولا يبدوا ونصروا وظهرت على أيديهم الآيات ولا صدقهم
الرب تعالى بأقراره ولا يفعله ولا يقوله بل أمرهم كان بالضد من أمر الرسول كفرعون
ونمرود وأضرابهم ولا يتنقض هذا بمن ادعى النبوة من الكذابين فإن حاله كانت ضد
حال الرسول من كل وجه بل حالهم من أظهر الأدلة على صدق الرسول ومن كلمة الله سبحانه
أن أخرج مثل هؤلاء إلى الوجود ليعلم حال الكذابين وحال الصادقين وكان ظهورهم
من آيين الأدلة على صدق الرسل والفرق بين هؤلاء وبينهم فيضدها تبين الأشياء والضد
يظهر حسنة الضد معرفة أدلة الباطل وشبهه من أنواع أدلة الحق وبراهينه فلما سمع ذلك
قال ما ذاك لا تقول أنه ملك ظالم بل نبي كريم من أنبياءه فهو من السعداء وكذلك من أتبعه موسى
فهو كمن أتبع محمدا فقلته بطل تكلموهون به بعد هذا فانكم اذا أقررتم أنه نبي صادق فلا بد
من تصديقه في جميع ما أخبر به وقد علم أتباعه وأعداؤه بالضرورة انه دعى الناس كلهم
إلى الايمان وأخبر أن من لم يؤمن به فهو كافر محتل في النار وقاتل من لم يؤمن به من أهل الكتاب
وأجبل عليهم بالكفر واتباع أموالهم ودماهم ونساءهم وأبناءهم فإن كان ذلك عدوانا
متوجورا لم يكن نبيا وعاد الامر إلى القدح في الرب تعالى وان كان ذلك بأمر الله ووحيه

لم يسمع مخالفته وترك اتباعه ولم تصدقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر وقد أُرشد سبحانه
 الى هذا المسلك في غير موضع من كتابه فقال ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه بالبين
 ثم نقطعنا منه الوثين فامتنكم من احدعته حاجزين يقول سبحانه لو تقول علينا قولا واحدا من تلقاء
 نفسه لم نقله ولم توحه اليه لما أقرنا ولاخذنا بيبه ثم اهلكناه هذا احد القولين قال ابن تيمية في هذا
 قولان أحدهما ان البين القوة والقدرة وأتم البين مقام القوة لان قوة كل شئ في ميامنه قلت
 وعلى هذا تكون البين من صفة الاخذ وهذا قول ابن عباس في البين قال ولاهل الافئدة في هذا مذهب
 آخر وهو ان الكلام وورد على ما اعتاده الناس من الاخذ بيد من يقابله وهو قولهم اذا ارادوا عقوبة
 رجل خذ بيده وأكث ما يقوله السلطان والمحاكم بعد وجوب الحكم خذ بيده واسقع يده
 فكأنه قال لو كذب علينا في شئ اليكم هنا لاخذنا بينه ثم طأبناه بقطع الوثين والى
 هذا المعنى ذهب الحسن انتهى فقد أخبر سبحانه انه لو تقول عليه شئ من الاقاويل لما أقره
 ولما جله بالعقوبة فان كذبا على الله ليس ككذب على غيره ولا يليق به ان يقر الكاذب عليه
 فضلا عن ان ينصره وبؤيده وبصدقه وقوله ثم نقطعنا منه الوثين والوثين نياط القلب
 وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب اذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه هذا
 قول جبرئيل اهل الفذة قال ابن تيمية ولم يرد ان تقطع ذلك العرق بينه ولكنه أراد لو كذب
 علينا لا مثاء او ثقلنا وكان كن قطع وثيته قال ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة
 خبيثا ودنى وهذا وان قطعة ابهرى والا يهرق يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
 فكأنه قال بهذا وان قلني السم فكنت كن انقطع ابهره ثم قال تعالى فماذا منكم من احدعته
 حاجزين اي لا يحجزه مني احد ولا يمنع مني الموضع الثاني قوله تعالى ام يقولون افترى
 على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه علم
 ذات الصدور وفي معنى الآية فانس قولان أحدهما قول مجاهد ومقاتل ان يشأ الله يربط
 على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك والثاني قول قتادة ان يشأ الله يفسدك
 القرآن ويقطع منك الوحى وهذا القول دون الاول لوجوه أحدها ان هذا خرج جوابا لهم
 وتكديا لقولهم ان محمدا كذب على الله وافترى عليه هذا القرآن ما جابهم بأحسن جواب
 وهو ان الله تعالى قادر لا يجره شئ ولو كان كما تقولون لختم على قلبه فلا يكتنه ان يأبى بشئ
 منه بل يصير القلب كالشئ الخنوم عليه فلا يوصل الى ما فيه فيعود المعنى الى انه لو افترى
 على لم امكنه ولم أقره ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر من قلب مخنوم عليه فان فيه
 من علوم الاولين والآخرين وعلوم المبدأ والمعاد والدنيا والآخرة والعلم الذي لا يعلمه الا الله
 والبيان التام والجزلة والفصاحة والجلالة والاشجار بالقبوب عالم يمكن من ختم على قلبه
 ان يأبى فيه ولا يبعثه فلو لاني أنزلته على قلبه ويمرته بلسانه لما امكنه ان يأبى بكم بشئ
 منه فأن هذا المعنى الى المعنى الذي ذكره الآخرون وكيف يكتم معنى حكاية قولهم وكيف
 يتضمن إرد عليهم الوجه الثاني ان مجرد الربط على قلبه بالصبر على اذاهم يصدر من الحق
 والباطل لا يدل ذلك على التميز بينهما ولا يكون فيعود قولهم فان الصبر على اذى المكذب
 لا يدل مجرده على صدق الخبر الثالث ان الرباط على قلب العبد لا يبال له ختم على قلبه ولا

هكذا يابى الله

يعرف هذا في عرف المخاطب ولا لغة العرب ولا هو المهود في القرآن بل المهود استعمل الخلق
على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن كقوله ختم الله على قلوبهم وقوله
أمرأت من اتخذ الله هواء وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة ونظائره وأما ريبه على قلب العبد بالصبر فكقوله وربطنا على قلوبهم إذا قاموا
فقالوا ربنا رب السموات والأرض وقوله وأصبح نوحاً آدم موسى غارقاً أن كادت لتبدي به لولا
أن ربطنا على قلبها والإنسان يسوغ له في الدماء أن يقول اللهم اربط على قلبي ولا يحسن أن
يقول اللهم اختم على قلبي الرابع أنه سبحانه حيث يحكى أقوالهم أنه افتراء لا يجيبهم على
هذا الجواب بل يجيبهم بأنه لو افتراء لم يهلكوا له من الله شيئاً بل كان يأخذ ولا يقدرون
على تخليصه كقوله أم يقواسون افتراء قل أن افتريته فلا تفلكون لي من الله شيئاً
وثارة يجيبهم بالطالبة بمسارضة مثله أو شيء منه وثارة بأقضية الأدلة القاطعة على أنه
الحق وأنهم هم الكاذبون المفترون وهذا هو الذي يحسن في جواب هذا السؤال
لا مجرد الصبر الخامس أن هذه الآية فظير مانع فيه وأنه لو شاء لما أقره ولا مكنه وتفسير
القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير السادس أنه لا دلالة في سياق الآية على الصبر
بوجه ما لا يطابقة ولا تضيق ولا اقزوم فن أبين أنه أراد ذلك ولم يسقر هذا المعنى
في غير هذا المعنى فحصل عليه بخلاف كونه يحول بينه وبينه ولا يكتنه من الافتراء عليه فقد
ذكره في مواضع السابغ أنه سبحانه أخبر أنه لو شاء لم يمسأله عليهم ولا أدراهم به وأن ذلك
أفاهو بمشيئته وأذنه وعلمه كما قال تعالى ولو شاء الله ما تلونه عليكم ولا أدراكم به وهذا
من أباح الحجب وأظهرها أي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي ولا أقدر أن أفتريه
على الله ولو كان ذلك مقدوراً لي لكان مقدوراً لمن هو من أهل العلم والكتابة ومخالفه الناس
والتعلم منهم ولكن الله يثبتني به ولو شاء سبحانه لم ينزهه ولم يسره بل ساقى فلم يدعني أنلوه
عليكم وإن أهلككم به أئبسة لا على لساني ولا على لسان غيري ولكنكم أوحاء إلى وأذن لي
في تلاوته عليكم وأدراكم به بمدان لم تنكسوا نوا دارين به فلو كان كذباً وامترام كما تقولون
لا مكن خيرى أن يتلوه عليكم وتكذبون به من جهته لأن الكذب لا يبعث عنه البشر وأنتم لم تدروا
بهذا ولم تصموا الأمنى ولم تصموا من بشر خيرى ثم أجاب عن سؤال مقدور وهو أنه تعلم من
غيره أو افتراء من تلقاء نفسه قال قد بليت فيكم عرا من قبله تعلمون حالى ولا يخفى عليكم
سرى ومدخلى وعجربى وصدقى وأمانتى ومن هذا لم أفتكن من قول شيء منه أئبسة ولا
كان لي به علم ولا يبعثه ثم أئبستكم به وهلة من غير فعل ولا تعلموا معاناة الأسباب التي أفتكن
بإمانته ولا من بعثه وهذا من أظهر الأدلة وأبين البراهين أنه من عند الله أوحاء إلى وأنزه
على ولو شاء ما فعل فلم يكتفى من تلاوته ولا مكنكم من العلم به بل مكننى من تلاوته ومكنكم
من العلم به فلم تكونوا تألمن به ولا يبعثه ولم أكن قبل أن يوحى إلى ناليه ولا يبعثه فأملى
صحة هذا الدليل وحسن تأليفه وظهور دلالة ومن هذا قوله سبحانه وأن شئنا لنذهبن
بالذى أوحينا إليك ثم لا نجد لك به علينا وكلا وهذا المناسب لقوله أم يقولون افتري
على الله كذباً فإن يشاء الله ننقض على قلبك ولقوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه

باليقين فهو برهان مستقل مذكور في القرآن على وجوه متعددة والله أعلم التام ان مثل هذا التركيب اغماجه في القرآن لنفي الالاباث كقوله تعالى وان شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكد على ظهره وقوله ان نشأ نخسف بهم الارض ونسقط عليهم كسفا من السماء ونظاثره لم يأت الا فيما كان ما بعد فعل المشيئة منقبا التاسع ان الختم على القلب لا يستلزم الصبر بل قد يختم على قلب العبد ويسلبه صبره بل اذا ختم على القلب زال الصبر وضعف بخلاف الربط على القلب فانه يستلزم الصبر كما قال تعالى ويـنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ومعنى الربط في هذا الشد ولهذا يقال لكل من صبر على امر ربط قلبه كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه يقال هو رابط الجاش وقد ظن الواحدى ان على زائدة والمعنى يربط قلوبكم وليس كما ظن بل بين ربط الشئ والربط عليه فرق ظاهر فانه يقال ربط الفرس والداية ولا يقال ربط عليها فاذا احاط الرباط بالشئ وعمه قبل ربط عليه كأنه احاط عليه بالرباط فلهذا قيل ربط على قلبه وكن احسن من ان يقال ربط قلبه والمقصود ان هذا الربط معه يكون الصبر أشد وأثبت بخلاف الختم المباشر ان الختم هو شد القلب حتى لا يشعر ولا يفهم فهو مانع عن العلم والتقصّد والتي صلى الله عليه وسلم كان يعلم قول اعدائه انه افترى القرآن ويشهره فلم يجعل الله على قلبه مانعا من شعوره بذلك وعلمه به فاذا قيل الامر كذلك ولكن جعل الله على قلبه مانعا من التادى بقولهم قبل هذا اولى ان يسمى ختما وقد كان يؤذيه قولهم وبجزنه كما قال تعالى قد علم انه لبصرك الذي يقولون وكان وصول هذا الاذى اليه من كرامة الله فانه لم يؤذني ما أودى فاقول في الآية هو قول قتادة والله أعلم ثم أخبر سبحانه أن القرآن تذكرة لليقين بتذكره التقي فيصبر ما يفهمه بآياته وما يضره فيجتنبه ويتذكره اسماء الرب تعالى وصفاته وافعاله فيؤمن ويتذكره ثوابه وعقابه ووعده وامره ونهيه وآياته في أوليائه واعدائه ونفسه وما يزيها ويطهرها ويصلها وما يدسها ويغفبها ويحقرها ويذكره علم المبدأ والمعاد والجنة والنار وعلم الخير والشر فهو التذكرة على الحقيقة تذكرة جعة للعالمين ومنفعة وهداية للتامين ثم قال سبحانه واخلم ان منكم مكذبين اي لا يخفون علينا فسجارتهم بتكذيبهم ثم أخبر سبحانه أن رسوله وكلامه حصرة على الكافرين اذا ما بنوا حقيقة ما أخبره كان تكذيبهم عليهم من اعظم الحشرات حين لا يفهمهم التصبر وهكذا كل من كذب بصق وصدق يسأل فانه اذا انكشف له حقيقة ما كذب به وصدق به كان تكذيبه وتصديقه حصرة عليه كن فرط فيما ينفعه وقت فصله حتى اذا اشتدت حاجته اليه وما بين فوز المحصلين صارت تقريباه عليه حصرة ثم أخبر سبحانه أن القرآن والرسول حق اليقين قبل هو من باب اضافة الموصوف الى صفة اي الحق اليقين نحو مسجد الجامع وصلاة الاولى وهذا موضع يحتاج الى تحقيق فنقول وبالله التوفيق ذكر الله سبحانه في كتابه مراتب اليقين وهي ثلاثة حق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين كما قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الحبيب ثم لترونها عين اليقين فهذه ثلاث مراتب ليقين أولها علم وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة

تدح في تصديقه كمل اليقين بالجنة مثلاً ويختمهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين بهذه مرتبة العلم كيتهم أن الرسل أخبروا بها من الله وتيقنهم صدق الخبر المرتبة الثانية عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة كآل تعالى ثم لترونها عين اليقين وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة فاليقين للسمع وعين اليقين للبصر وفي المسند للإمام أحمد مرغوما ليس انظر كالمعين وهذه المرتبة هي التي سألتها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموت لمحصله مع علم اليقين عين اليقين فكان سؤاله زيادة لنفسه ولطمأنينة لقلبه فيسكن القلب عند المعاناة ويطمأن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان وعلى هذه المسافة أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الشك حيث قال نحن احق بالشك من إبراهيم ومما ذكره الله أن يكون هناك شك منه ولما ن إبراهيم وانما هو عين بهد علم وشهود بهد خبر ومعاينة بهد سماع المرتبة الثالثة مرتبة حق اليقين وهي مباشرة التي بالاحساس به كما اذا ادخلوا الجنة وقنعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين وفي الموقف حين تزلف وتقرب منهم حتى يما ينوها في مرتبة عين اليقين واذا دخلوها وبأشروا فيها في مرتبة حق اليقين وبمباشرة المعلوم نارة يكون بالحواس الظاهرة ونارة يكون بالقلب ولهذا قال والله لحق اليقين فان القلب يباشر الايمان به ويضالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلق بها فحينئذ تضالط بشاشته القلوب ويبقى لها حق اليقين وهذه أعلى مراتب الايمان وهي الصديقة التي تفاوتت فيها مراتب المؤمنين وقد ضرب بعض العلماء لمراتب الثلاثة مثلاً فقال اذا قال لك من تجزم بصدقه عندي حصل اريد أن اطعمك منه نصيبه كان ذلك علم يقين فاذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين فاذا ذقتك صار ذلك حق اليقين وعلى هذا فليست هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى صفته بل من اضافة الجنس الى نوعه فان العلم والعين والحق أم من كونها يقيناً ما ضيف العام الى الخاص مثل بعض الناعم وكل الدرهم ولما كان المضاف والمضاف اليه في هذا الباب يصدقان على ذات واحدة بخلاف قولك دار عمرو وثوب زيد ظن من ظن أنها من اضافة الموصوف الى صفته وليس كذلك بل هي من باب اضافة الجنس الى نوعه كثوب خز وخاتم فضة فاضاف اليه قد يكون مغايراً للمضاف لا يصدقان على ذات واحدة وقد يماضيه فيصدقان على مسمى واحد والله أعلم ثم ختم السورة بقوله فسبح باسم ربك العظيم وهي جديرة بهذه الحظية لما تضمنته من الاخبار عن عظمة الرب تعالى وجلاله وذكر عظمة ملكه وجريان حكمه بالعدل على عباده في الدنيا والآخرة وذكر عظمته تعالى في ارسال رسوله وازال كتابه وأنه تعالى أعظم وأجل وأكبر عند أهل سمواته والمؤمنين من عباده من أن يقر كذباً متقولاً عليه مفترى عليه يبدل دينه وينسخ شرائعه ويقتل عباده ويغير منه بالاحقية له وهو سبحانه مع ذلك بؤيده وينصره ويحبب دعوته وبأخذ أعداءه ويرفع قدره ويملي ذكره فهو سبحانه العظيم الذي تأتي عظيمته أن يفعل ذلك بمن أنى بأقبح أنواع الكذب والعظم فسبحان ربنا العظيم وتعالى عما ينسبه اليه الجاهلون علواً كبيراً

أن تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين أقسم سبحانه رب المشرق والمغرب وهي اما
مشارك النجوم ومقاربيها أو مشارق الشمس ومقاربيها وان كل موضع من الجهة مشرق
ومغرب فكذلك جمع في موضع وأفراد في موضع وثني في موضع آخر فقال رب المشرقين
ورب المغربين فقبل هما مشرقا الصيف والشتاء وجاء في كل موضع ما يناسبه بقاء في سورة
الرحمن رب المشرقين ورب المغربين لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات فذكر فيها المطلق
والتعليم والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والحب والتمر والجن والانس
ومادة أبي البشر وأبي الجن والبحرين والجنة والنار وقسم الجنة الى جنتين عاليتين وجنتين
دونهما وأخبر أن في كل جنة حينئذ فنانسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين وأما
سورة سأل سائل فإنه أقسم سبحانه على عوم قدرته وكآلهما وصحة تعلفها بإعادتهم بعد العدم
فذكر المشرق والمغرب بلفظ الجمع اذ هو أدل على المقسم عليه - واه أريد مشارق النجوم
ومقاربيها أو مشارق الشمس ومقاربيها أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب فكل ذلك
آية ودلالة على قدرته تعالى على أن تبدل امثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيها لا يعلمون
فيأتيهم في نشأة اخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع وتذهب في مغرب واما في
سورة المزمل فذكر المشرق والمغرب بلفظ الافراد لما كان المقصود ذكر ربوبيته
ووحدةانيته وكما انه نفرد برؤية المشرق والمغرب وحده فكذلك يجب ان يتفرد
باربوبيته والتوكل عليه وحده فليس للمشرق والمغرب رب سواه فكذلك ينبغي أن لا ينفذ
الله ولا وكيل سواه وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله وارباب العالمين فقال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعلمون وفي ربوبية سبحانه لمشارك والمغرب تنبيه على ربوبية
السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم وربوبية طابن الجنتين وربوبية اهل النار
وما خضعن ثم قال انما قاسدرون على ان تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين اي قاسدرون
على ان نذهب بهم ونأتي بأطوع لانهم وخير امنهم كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس
ويأتى بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وقوله وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتني ذلك اذا ارادته
ولا يمنع مني وجه من هذا المعنى بقوله وما نحن بمسبوقين لان المغلوب يسبقه الغالب الى ما يرده
فيفوت عليه ولهذا عدى يعلى دون الى كافي قوله وما نحن بمسبوقين على ان تبدل امثالكم
فانه لما ضمنه معنى مغلوبين ومقهورين هدامه على بخلاف سبقه اليه فانه فرق بين سبقته اليه وسبقته
عليه فالاول بمعنى غلبته وقهرته عليه والثاني بمعنى وصلت اليه قبله

فصل ١٠ وقدموا الاخبار عن قدرته عليه سبحانه على تبديلهم بغيرهم وفي بعضها
تبديل امثالهم وفي بعضها استبداله قوم اخرهم ثم لا يكونوا امثالهم فهذه ثلاثة امور يجب
معرفة ما بينها من الجمع والفرق فثبت وقبح التبديل بغيرهم فهو اخبار عن قدرته
على ان يذهب بهم ويأتي بأطوع واتقوا منهم في الدنيا وذلك قوله وان تولوا يستبدل قوم اخرهم
ثم لا يكونوا امثالكم معنى بل يكونوا خيرا منكم قال مجاهد يستبدل بهم من شاء من عباده
فيصلهم خيرا من هؤلاء فلم يولوا بحمد الله فهذا يستبدل بهم واما ذكره تبديل امثالهم في سورة
الواقعة وسورة الانسان فقال في الواقعة نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
على ان تبدل امثالكم وتشتك فيمالاتون وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا

امرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلاً قال كشيخ من المفسرين المعنى اننا اذا اردنا ان نبتدئ خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولم يمتنا ذلك وفي قوله واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلاً اذ شئنا اهلكناهم واتيئنا بشياهم فيعلمناهم بدلناهم قال المهدوي قوماً واقفين لهم في الخلق مخالفين لهم في العمل ولم يذكروا الواحدى ولا ابن الجوزى غير هذا القول وعلى هذا تكون هذه الآيات نظير قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فيكون استدلالاً بقدرته على اذهابهم والاتيان بامثالهم على آياته بهم انفسهم اذا ما نواهم استدل سبحانه بالنشأة الاولى فذكرهم بها فقال ولقد علمنا النشأة الاولى طولاثة كروية فيهم بما علوه وما ينوء على صدق ما خبرتهم به رحله من النشأة الثانية والذي عندي في معنى هاتين الآيتين هما آية الواقعة والانسان المراد بتبديل امثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وعدوا بها وقدموا في الزمخشري لهم هذا من سورة الانسان قال وبدلنا امثالهم في شدة الامر بمعنى النشأة الاخرى ثم قال وقيل وبدلنا غيرهم عن بطبع وحقه ان يأتي بان لا يذا كقوله وان تولوا يسبدل قوما غيركم قلت وآياته اذا التي لا تكون الا المعصية الوقوع بدل على تحقق وقوع هذا التبديل وانه واقع لا محالة وذلك هو النشأة الاخرى التي استدل على امكنها بقوله ولقد علمنا النشأة الاولى واستدل بالمثل على المثل وعلى ما ذكره بما ينوء وشاهدوه وكونهم امثالهم هو انشاءهم خلقاً جديداً بعينه فهم هم بأعيانهم وهم امثالهم فهم انفسهم يعادون فاذا قلت المعاد هذا هو الاول بعينه صدقت وان قلت هو مثله صدقت فهو هو معاد او هو مثل الاول وقد اوضح هذا سبحانه بقوله بل هم في ليس من خلق جديد فهذا الخلق الجديد هو المتضمن لكونهم امثالهم وقد سماه الله سبحانه وتعالى اعادة والمعاد مثل المبدأ وسماه نشأة اخرى وهي مثل الاول وسماه خلقاً جديداً وهو مثل الخلق الاول كما قال اعياننا بالخلق الاول بل هم في ليس من خلق جديد وسماه ائناً وهم هم فتطابقت الفاظ القرآن وصدق بعضها بعضاً وبين بعضها بعضاً ولهذا تزول اشكالات اوردها من لم يفهم المعاد الذي اخبر به الرسل عن الله ولا يفهم من هذا القول ما قاله بعض المتأخرين انهم غيرهم من كل وجه فهذا خطأ قطعاً معاذ الله من اعتقاده بل هم امثالهم وهم اعيانهم فاذا فهمت الحق في ذلك يناقش في العبارة الاضيق العطن صغير العقل ضعيف العلم وتأمل قوله تعالى في الواقعة ارايت ما تقولون انتم تخلقونه انتم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت كيف ذكر مبدأ النشأة وآخرها مستدلاً بها على النشأة الثانية الاولى بقوله وما نحن بمبدوين على ان تبدل امثالكم وتشتكم فيما لا تعلمون فانكم انما علمنا النشأة الاولى في بطون امثالكم ومبدأها ما تقولون ولن نقاب على ان تشتكم نشأة ثانية فيما لا تعلمون فاذا اتم امثال ما كنتم في الدنيا في صدوركم وحيثانكم وهذا من كمال قدرة الرب تعالى ومشيئته لو ذكرتم احوال النشأة الاولى لدلكم ذلك على قدرة منشئها على النشأة التي كذبتم بها فأمر استدلال وارشاد احسن من هذا واقرّب الى العقل والفهم وايضاً من كل شبهة وشك وليس بعد هذا البيان والاستدلال الا الكفر بالله وما جاءت به الرسل والايان وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا أسرهم فهذا النشأة الاولى ثم قال واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلاً فهذا النشأة الاخرى ونظير هذا قوله تعالى في سورة الجن اذكروا الا اني من لفظة

اذا قمت وان عليّ النشأة الاخرى وهذا في القرآن كثير جدا يقرن بين النشأتين مذكرا
 لقطر والمقول باحداهما على الاخرى وبالله التوفيق
 فصل في فلتا اقام عليهم الحجة وقطع المذرة قال مذرهم بخوضوا ويلمحوا حتى لا لقوا
 يومهم الذي يوعدون وهذا تهديد شديد يتضمن ترك هؤلاء الذين قامت عليهم بجنتي فلم يقبلوها
 ولم يخشوا بأسى ولا صدق وارساله في خوضهم بالباطل ولعبهم بالقوض في الباطل ضد
 التكلم بالحق والامس ضد السعي الذي يعود نفسه على ساعيه فالاول ضد العلم النافع والثاني ضد
 العمل الصالح ولا تكلم بالحق ولا عمل بالصواب وهذا شأن كل من اعرض عما جاء به الرسول
 لا بدله من هذين الامرين ثم ذكر سبحانه حالهم عند خروجهم من القبور فقال يوم يخرجون
 من الاجداث سرا كما كانهم الى نصب يوفضون اى يسرعون والنصب العلم والفاية التى نصب
 فيؤمونها وهذا من ألطف التشبيه وايته واحسنه فان الناس يقومون من قبورهم مهطعين
 الى الداعي يؤمون الصوت لا يرجعون عنه يمنة ولا يسرة كما قال يومئذ يتبعون الداعي لا عوج
 له اى يقبلون من كل اوب الى صوته وتاجيته لا يرجعون عنه قال الفراء وهذا كما تقول
 دعوتى دعوة لا عوج لك منها وقال الزجاج المعنى لا عوج لهم من دماؤه اى لا يقدر
 الا على اتباعه وقصدته فان قلت اذا كان المعنى لا عوج لهم من دعوتى فكيف قال
 لا عوج له قيل قالت طائفة الامم معنى من اى لا عوج عنه وقالت طائفة المعنى لا عوج
 لهم من دعائى كما قال الزجاج وفي القوانين تكلف ظاهر ولما كانت الدعوة تسمع الجميع
 لا توج عنهم وكلهم يؤم صوت الداعي ويتبعه لا يعوج عنه كان معنى الامم منتظما
 لهم بين ودالا عليهما والمعنى لا عوج لدماؤه لافى اسماعهم اياه ولا فى اجابتهم لهم قال تعالى
 خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة فوصفهم بذل الظاهر وهو خشوع الابصار وذلل الباطل وهو
 ما يرهقهم من الذلل الذى خشعت عنه ابصارهم وقريب من هذا قوله وجوه يومئذ يسيرة
 تظن ان جعل بها فاقرة ونظيره قوله وترهقهم ذلة سالهم من الله من حاصم كائنا خشيت وجوههم
 قطعا من الليل مظلا وضد هذا قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا ترمى فتفى عنه الجوع الذى
 هو ذلل الباطن والحرى الذى هو ذلل الظاهر وضده ايضا قوله ولقاهم نضرة وسرورا
 فالنضرة من الظاهر وبجالة والمرور من الباطن وبجالة ومثله ايضا قوله ما ليهم ثياب سندس
 خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجمع له بين زينة الظاهر
 والباطن ومثله قوله يا بئى آدم قد ازلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك
 خير فجمع لهم بين زينة الظاهر والباطن ومثله قوله انا زينا السماء زينة الكواكب وحفظا من
 كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالبعوم وباطنها بالحفظ من كل شيطان رجيم ومثله قوله ايضا
 وصوركم ما حسن صوركم ورزقكم من الطيبات وقريب منه قوله تعالى وتزودوا فان خير
 الزاد التقوى ومنه قوله فاما الذين اودت وجوههم ا كفرتم بما دعاكم فذوقوا العذاب بما
 كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم فتى رحمة الله هم فيها خالدون فجمع لهؤلاء الذين
 جبال الظاهر والباطن ولاولئك بين تسويد الظاهر والباطن ومنه قول امرأة العزيز فقال لكن
 الذى لمتنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فوصفت ظاهره بالجبال وباطنه بالصفة

فوصفته بجمال الظاهر والباطن فكأنها قالت هذا ظاهره وباطنه أحسن من ظاهره وهذا كله يدل على ارتباط الظاهر بالباطن قدرا وشرعا والله أعلم بالصواب

فصل ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالْقُرْآنَ يُعَلِّمُهُ الْوَاسِعُ ﴾ والقرآن ما يسطرون ما أنت بتعمد ذلك بمجنون الصبح
أن نوق وحس من حروف الهجاء التي يتخضع بها الرب سبحانه بعض السور وهي أحادية
وثنائية وثلاثية ورباعية وخامسة ولم تجاوز الخمسة ولم تذكر قط في أول سورة الاوعتها
بذكر القرآن اما مقسماته واما اجزائها من سورتين سورة كهيعص ون كقوله الم ذلك
الكتاب الم الله لاه الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك المرتك
آيات الكتاب وهكذا الى آخره في هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها وجلالاتها
اذ هي مبادئ كلامه وكتبته التي تكلم سبحانه بها أو أنزلها على رسله وهدى بها عباده وعرفهم
بواسطتها نفسه واسماء وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه ووحيه ووعدده وعرفهم بها الخير
والشر والحسن والقبح وأقدرهم على التكلم بها بحيث يبلغون بها أقصى ما في انفسهم بأ سهل طريق
وقلة كلف ومشفقة وأوصله الى المقصود وأدله عليه وهذا من أعظم نعمه عليهم كما هو من أعظم
آياته ولهذا باب سبحانه على من عبدا لا يتكلم وامتن على عباده بأن أقدرهم على البيان بها بالتكلم
فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال احسانه وانعامه فهي أولى ان يقسم
بها من البيل والنهار والشمس والقمر والسماء والارض وخيرها من مخلوقاته فهي دالة أظهر
دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكآله وكلامه وصدق رسله وقد جع سبحانه بين الامر
بأمر القرآن ونطق الانسان وجعل تعليمها من تمام نعمته وامتنانه كما قال الرحمن عز القرآن
خلق الانسان علمه البيان فهذه الحروف علم القرآن وبها علم البيان وبها فضل الانسان على
سائر انواع الحيوان وبها أنزل كتبه وبها أرسل رسله وبها جعت العلوم وحفظت وبها
انتظمت مصالح العباد في المعاش والمعاد وبها تميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد
وبها جعت أشات العلوم وبها يمكن نقلها في الاذهان وكما جلب بها من نعمة ودفع بها من
قصة وأقيلت بها من عثر وأقيمت بها من حرمة وهدى بها من ضلالة وأدب بها من حق وهدم
بها من باطل فأياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الانسان ولولا عجايب صنع الله ما
ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب فسبحان من هذا صنعه في هواء يخرج من قصبة الرئة
فينضم في الملقوم ينفرش في أقصى الحلق ويوسطه وآخره واعلاه واسفله وعلى وسط لسان
واطرانه وبين التناوب في الشفتين والخيوشم فيجمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت
خير صوت المقطع الجوارره فاذا هو حرف فألمه سبحانه الانسان بضم بعضها الى بعض فاذا
هي كلمات قائمة بأ نفسها ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها الى بعض واذا هي كلام دال على
انواع المعاني امراتهن وخيرا واستخيارا ونقيا واثباتا واقرارا وانكارا وتصديقا وتكذبا
وايجابا واستخيارا وسؤالا وجوابا الى غير ذلك من انواع الخطاب نظمته ورتبه ووجيزه ومطول
على اختلاف لغات الخلق كل ذلك صنعته تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من بطن الانسان
الى عظامه في جهاز قديمت واعدت لتقطيعه وتقسيمه ثم تأليفه وتوصيله فتبارك الله رب
العالمين وأحسن الخالقين فهذا شأن الحرف المخلوق واما الحرف الذي يكون المخلوقات

مشأته اهل وأجل واذا كان هذا شأن الحروف فسبق ان تنفع بها السور كما افتتحت الاقسام
لما فيها من آيات الربوبية وادلة الوجدانية فهي دالة على كمال قدرته سبحانه وكمال علمه وكمال
حكمته وكمال رحمته وهنائه بخلقهم واطفء واحسانه واذا أحسيت الاستدلال بها فقد استدللت
بما على المبدأ والمعاد والخلق والامر والتوحيد والرسالة فهي من اظهر ادلة شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله وان القرآن كلام الله يتكلم به حقاً وانزله على رسوله وحياً وبلفه
كأمر الى صدقه ولا تهمل الفكرة في كل سورة افتتحت بهذه الحروف واشتغالها على آيات هذه
المطالب وتفريرها وبالله التوفيق

❖ فصل ❖ ثم اقسام سبحانه بالقلم وما يسطرون فأقسم بالكتاب وأكته وهو القلم الذي هو
احدى آياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيده الدين
وانبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المآل والمعاد فلدت به
الممالك وامنت به السبل والمسالك واقام في الناس ابلغ خطب وافصحها وافصحهم وانصحه
وواظفت شئى مواظته القلوب من السقم وطيبا يبرى باذنه من انواع الالم يكسر المساك
العظيمة على انه ضعيف الوحيد ويخاف سطونه ويأمنه ذوالباس الشديد وبالاقلام تدبر الاقاليم
وتساق الممالك والعلم لسان الضمير بناجيه بما امتن من الامم فيمنع حلل المعاني في الطرفين
تمودا أحسن من الوشى المرقوم ويودعها حكمة تنصير برادر الفهم والاقلام نظام للافهام
وكما ان لسان يريدا القلب فاقلم يريدا لسان ويولد الحروف المجموعة من اللسان كتولد
الحروف المكتوبة من القلم والقلب يريدا القلب ورسوله وترجانه لولاه الصامت

❖ فصل ❖ والاقلام متفاوتة في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي
كتب الله به مقادير الخلاق كما في سنن أبي داود عن عبيدة بن الصامت قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما خلق الله القلم مقالله اكتب قال يارب وما اكتب
قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة واختلف العلماء هل القلم أول المخلوقات
أو العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلى الهمداني إجمعا أن العرش قبل القلم لما ثبت
في الصحيح من حديث عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الله مقادير
الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام ومرشه على الماء فهذا صريح أن
التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبيدة هذا ولا يخلو
قوله أن أول ما خلق الله القلم إلى آخره اما ان يكون جلة أو جلتين فان كان جلة وهو
الصحيح كان معناه أنه عند أول خلقه قاله اكتب كما في القلم أول ما خلق الله القلم قاله
اكتب بنصب أول والقلم فان كان جلتين وهو مروي برنق أول والقلم فيتمين جله على أنه
أول المخلوقات من هذا العالم فيبقى الحديثان اذ حديث عبدالله بن عمر صريح في أن العرش سابق
على التقدير والتقدير مفسر أن خلق القلم وفي القلم الآخر لما خلق الله القلم قاله اكتب فهذا
القلم أول الاقلام وأفضلها وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذي اقسام الله به
❖ فصل ❖ القلم السابق قبل الوحي وهو الذي يكتب به وحى الله إلى أنبياءه ورسله واصحاب
هذا القلم الحكم على المسالم والعالم خدم لهم واليهم الحل والقدو الاقلام كلها خدم لاقلامهم

وقد راع النبي صلى الله عليه وسلم لذة الاسراء الى مستوى يسمح فيه صرف الافلام هذه الافلام هي التي تكتب ما يوحى به الله تبارك وتعالى من الامور التي يدبرها امره عالم العلوى والسفلى
فصل في القلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله وهو قلم الفقهاء والمعتين وهذا القلم ايضا حاكم غير محكوم عليه فاليه الصالح في الدماء والاموال والفروج والحقوق واصحابه يخبرون عن الله بحكمه الذي حكم به بين عباده واصحابه حكام وملكه على ارباب الافلام واقلام الصالح خدم لهذا القلم

فصل في القلم الرابع قلم طب الايدان التي تحفظ بها صحتها الموجودة وترد اليها صحتها المنقودة وتدفع به عنها آفاتا وهو ارضها المضادة لصحتها وهذا القلم انفع الافلام بعد قلم طب الايدان وساجدة الناس الى امله تلحق بالضرورة

فصل في القلم الخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وسياس الملك ولهذا كان اصحابه اعضاء اصحاب الافلام المشاركون للملوك في تدبير الدول فان صلحت اقلامهم صلحت المملكة وأن فسدت اقلامهم فسدت المملكة وهم واسطبين الملوك ورمياهم

فصل في القلم السادس قلم الحساب وهو القلم الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق وهو قلم الكم المتصل والمفصل الذي تضبط به المقادير وما ينفقها من التفاوت والتناوب وميزان على الصدق والعدل فاذا كذب هذا القلم وطمس قلمه فسد امر المملكة

فصل في القلم السابع قلم الحكم الذي ثبتت به الحقوق ونفذت به القضايا وتراق به الدماء وتؤخذ به الاموال والحقوق من اليد العادية ترد الى اليد الحقيقية به الاتقان وتقطع به الخصومات وبين هذا القلم وقلم التوقيع عن الله عموم وخصوص في ذلك الغوث والزوم وذلك له العموم والشمول وهو قلم قائم بالصدق فيما يثبت وبالعدل فيما يفضيه وينقذه

فصل في القلم الثامن قلم الشهادة وهو القلم الذي تحفظ به الحقوق وقصان عن الاضاعة وتحول بين الفاجر وانكاره ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ويشهد للحق بجهده وعلى المظل بباطله وهو الامين على الدماء والفروج والاموال والانساب والحقوق ومبنى خان هذا القلم فسد العالم افسد فسادا بعامته يستقيم امر العالم ويبناه على العلم وعدم الكتمان

فصل في القلم التاسع قلم التبصير وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتبصيره وما لا يدركه وهو قلم شريف جليل مترجم لحوى المناسخ كاشف له وهو من الافلام التي تصلح لادبها والدين وهو يعقد طهارة صاحب وزرائه وامانتهم وتحريره للصدق والطرائق الحبيدة والمناسخ السديدة مع علم راسخ وصف باطن وحسن مؤيد بالنور الالهي ومعرفة بأحوال الخلق وهياكلهم وسيرهم وهو من اطف الافلام واعمالها جولانا واسرها انصرافا واشدها تشبها بآثار الموجودات طوبى لها وقلوبها وبالماضى والحال والمستقبل فتصرف هذا القلم في المنام هو هل ولايته وكرسي ملكته وسلطانه

فصل في القلم العاشر قلم تواريخ العالم ووقائمه وهو القلم التي تضبط به الحوادث وتنقل من امة الى امة ومن قرن الى قرن فيحصر ماضى من العالم وحواذقه في الخيال وينقشه في النفس حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده فهو قلم العباد والروحاني وهذا القلم قلم العباب

فانه يبيدك العالم في صورة الخيال متراء بقلبك وتشاهده بصيرتك
فصل في القلم الحادى عشر قبل الفقة وتفاصيلها من شرح معاني الفاساها المفردة
 ونحوها وتصريفها واسرارها كيدها وما يتبع ذلك من أحوالها ووجوهها وأنواع
 دلالتها على المعاني وكيفية الدلالة وهو قبل التعبير عن المعاني بإخبار أحسن الالفاظ
 وأدبها وأهلها وأوصفها وهذا القلم واسع التصرف جدا بحسب سعة الالفاظ
 وكثرة مجاريها وتنوعها

فصل في القلم الثاني عشر القلم الجامع وهو قبل الرد على المبطلين ورفع شبهة المحققين
 وكشف الباطل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتناقضهم
 وخروجهم من الحق ودخولهم في الباطل وهذا القلم في الاقلام نظير الملوك في الانام
 وأصحابه أهل الجفة الناصرون لما جاءت به الرسل المحاربون لاهدائهم وهم الداعون الى
 الله بالحكمة والموعظة الحسنة المحادلون لمن خرج من بيته بأنواع الجدال وأصحاب هذا
 القلم حرب لكل مبطل وعدو لكل مخالف لرسول فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الاقلام
 في شأن فهذه الاقلام التي فيها انتظام مصالح العالم ويكون في جلالة القلم أنه لم يكتب
 كتب الله الا به وان الله سبحانه اقسم به في كتابه وتعرف الى غيره بأن علم بالقلم وانما وصل اليها
 ما يثبت نبينا صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم ولقد ابدع ابو تمام اذ يقول في وصفه

لكت القلم الماضى الذى بقائه * يصاب من الامر الكلى والمفاصل
 له ربة طيل و لكن وقصها * بأثاره في القرب والشرق وابل
 لمدا اب الاقلام القاتلات لمدا به * وارش الجا شارته أيده وامل
 له الخلسوات اللامى لاولا نجبهما * لما اختلفت لملك تلك المفاصل
 فصيح اذا استنطقته وهو راكب * واجهم ان خاطبته وهو راجل
 اذا ما امتطى الخمس الطاف وأفرغت * عليه شفار الكفروهمى حوا فل
 الماحته اطراف القنا وتقرضت * لنبواء تقويض الخيام الجعا فل
 اذا امتدذر الذمى الذى واقبلت * اماليه في القرطاس وهى اسافل
 وقد رفته انخصران وشدت * ثلاث تواجبه الثلاث الانامل
 رايت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنا وميتا خطبه وهو هازل

فصل في القسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة نثره نبيه ورسوله عما يقول
 فيه اعداءه وهو قوله تعالى ما انت بصمرك بمجنون وانت اذا طاعت بين هذا القسم والمقسم
 به وجدته دالا عليه ما ظهر دالة واينها فان ما سطر الكتاب بالقلم من انواع العلوم التي
 يتلقاها البشر بعضهم من بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر الا من عقل وافر وكيف يصدر
 ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذى في اهل درجات العلوم بل العلوم التي تضمنها ليس
 في قوى البشر الا ثبات بها ولا لسان من أمى لا يقرأ كتابا ولا يتحصى بينه مع كونه في اهل انواع
 الفصاحة سليما من الاختلاف بريما من التناقض يستحيل من العقل كلام لو اجتمعوا في صعيد
 واحد ان يأثروا بجله ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك من مجنون

لا عقل له يميزه ما عسى كثير من الحيوان ان يميزه وهل هذا الا من اقبح الهيات واضهر الافاق
فأمل شهادة هذا القسم به المقسم عليه ودلالته عليه أتم دلالة ولوان رجلا انشأ رسالة
واحدة بديعة منتظمة الاول والاخر مساوية الأجزاء يصدق بضمها يعضا او قال قصيدة
كذلك او صنف كتابا كذلك لشهده العفلا بالعقل ولما احتجاز احدهم به بالجنون مع
امكان بل وقوع معارضتها ومشاكلتها والانيان يثملها او احسن منها فكيف يرى بالجنون
من اني تجاوزت العقلاء كلهم فاطبة عن معارضته ومما كتبه وعرفهم من الحق مالا تهتدى
عقولهم بحيث اذعن له عقول العقلاء وخضعت له الأبواب الاولى وثلاث في جنب ما جاء به
بحيث لم يسمعوا الا التسليم له والانتقاد والا ذنان طائفة مختسرة وهي ترى حقه ولها
اشد فقا راحة الى ما جاء به ولا كمال لها الا بما جاء به فهو الذي كل عقولها كما يكمل الطفل
برضاع الثدي ولهذا أتباعه اعقل الخلق على الإطلاق وهذه مؤلفا لهم وكتبهم
في القنون اذا واظنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه ظهرت التفاوت بينها ويكنى في عقولهم
انهم همروا الدنيا بالعلم والعدل والقلوب بالايان والتقوى فكيف يكون متبوعهم مجنون
وهذا حال كتابه وهدية وسيرته وحال اتباعه وهذا انما حصل له ولا تبايعه بنعمة الله
عليه وعليهم فنفى عنه الجنون بحمته عليه وقد اختلف في تقدير الآية فقالت فرقة الباء في بنعمة
ربك يا الله القسم فهو قسم آخر اعترض بين المحكوم به والمحكوم عليه كما يقول ما انت بالله بكاذب وهذا
التقدير ضعيف جدا لانه قد تقدم القسم الاول فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ولا يحسن
أن تقول والله ما انت بالله بقاتم وليس هذا من فصيح الكلام ولا عهد به في كلامهم وقالت
فرقة العامل في بنعمة ربك اذ اعني النبي او معني اني عنك الجنون بنعمة ربك ورد اوجر الحاجب
وغير هذا القول بان الحرف لا يعمل معانيها وانه قبل الماظهار قال ان مختصري يتعلق بنعمة ربك
بمعن منفي كما ينطبق بمقابل ميثاقى فقلت أنت بنعمة الله مائل يستويان في ذلك الاثبات والنفي
استواءهما في قولك شرب زيد عرا وما شرب زيد عرا يحمل الفعل مثبتا ومتنيا عملا واحدا ووجهه
النصب على الحال اى ما انت بمنحون منعا عليك بذلك ولم تقع الباء ان يحمل بمنحون فيما قبله لانها
زائدة لتأكيد النفي واعترض عليه بأن العامل اذا تسلط على محكوم به وله معمول فانه يجوز فيه
وجهان احدهما في ذلك المعمول فقط نحو قولك ما زيد بذهاب مسرعا فانه يثنى الاسراع دون
القيام ولا يمتنع أن يثبت له ذهاب في غير اسراع والثاني يثنى المحكوم به فيثنى معموله بانتمائه
فيثنى الذهاب في هذه الحال فيثنى الاسراع بانتمائه فاذا جعل بنعمة ربك معموله بالجنون رزم
احد الامرين وكلاهما منف جزما وهذا الاعتراض هنا فاسد لان المعنى اذا حصل ما انت
بمنحون منعا عليك ثم من صدق هذا الخبر نفيها قطعا ولا يصح نفي المعمول وثبوت العامل
في هذا الكلام ولا يفهم منه من له آفة الفهم وانما يفهم الادعى من هذا الكلام ان الجنون اثبت
عنك بنعمة الله عليك وانني هنا ما فهمه هذا المعترض بنعمة الله علينا ثم اخبر سبحانه عن كمال
حالي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخراه فقال وانك لا تجرا غير منحون اى غير
مقطوع بل هو دائم مستمر ونكر الاجرت تكثير لمطعم كما قال ان في ذلك لعبرة وان في ذلك لاية
وان في ذلك لذكرى وان للمعتقين مغازا وان له عندنا زلفى وحسن مأب وهو كثير وانما كان

التذكير لتعظيم لانه صور السامع بمنزلة امر عظيم لا يدركه الوصف ولا يناهيه التصير ثم قال وانك
لملى خلق عظيم وهذه من اعظم آيات نبوته ورسالته فمنها قد مثلت أم المؤمنين
عن خلقه صلى الله عليه وسلم بأجابت يا شقي وكفى نقالت كان خلقه القرآن فهم سائلها ان يقوم
لايسألها شيئا بعد ذلك ومن هذا قال ابن عباس وغيره اى على دين عظيم وسعى الدين خلقا لان الخلق
هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاحكية واجمال ظاهرة وباطنة موافقة لمعدل
والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للمعنى تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم
والارادات فتكتسب النفس بها الاخلاق اى اذكر الاخلاق واشرفها وافضلها فهذه كانت اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبينة من مشكاة القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا
له وتبيانا وعلومه علوم القرآن وارادته واعمالها اوجبه وتدب اليه القرآن وامراضه وتركه
لما منع منه القرآن ورضيه فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما
أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في اقامته فترجعت ام المؤمنين لكمال معرفتها
بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن
وفهم هذا السائل لها من هذا المعنى فاكتفى به واشتفى فاذا كانت اخلاق العباد وعلومهم
واراداتهم واعمالهم مستفادة من القلم وما يسطرون وكان في خلق القلم والكتابة انما عليهم
واحسان اليهم اذ وصلوا به الى ذلك فكيف ينكرون نعماته واحسانه على عبده ورسوله الذى
اصطفاه أعلى الاخلاق وافضل العلوم والاعمال والارادات التى لا تهتدى العقول الى تفاصيلها
من غير قلم ولا كتابه فهل هذا الامن أعظم آيات نبوته وشواهد صدق رسالته
وسيعمل اعداؤه المكذوبون له ايمم المفتون هوامهم وقد علموا وهم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد
علمهم به في البرزخ ويتكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث تساوى اقدام الخسائف
في العلم به وقد اختلف في تقدير قوله بأيتكم المفتون فقال ابو عثمان المازني هو كلام مستأنف
والمفتون عنده مصدر اى بأيتكم الفتنة والاستفهام عن امر دائر بين اثنين قد علم انفاؤه عن
أحدهما قطعا فمعين حصوله للآخر والجمهور على خلاف هذا التقدير وهو عندهم متصل
بما قبله فمعلم فيه أربعة أوجه احدها ان الباء زائدة والمعنى أيتكم المفتون وزيدت في المبتدأ كما
زيدت في قوله تصحبك ان فعل قاله ابو عبيد الثاني ان المفتون بمعنى الفتنة اى ستبصر وبصرون
بأيتكم الفتنة والباء على هذا ليست بزايدة قاله الاخفش الثالث ان المفتون مفعول على بابه
ولكن هتامضاف محذوف تقديره بأيتكم فتون المفتون وليست الباء بزايدة قاله الاخفش ايضا
الرابع ان الباء بمعنى في والتقدير في اى فريق منكم التوع المفتون والباء على هذا حرفية وهذه
الاقوال كلها تكلف ظاهر لا حاجة الى شيء منه وستبصر مضمن معنى تشمر وتعلم فصدى بالباء
كما تقول ستشعر بكذا وتعلم به قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى واذا دعاك اللفظ الى المعنى من
مكان قريب فلا تجب من دعاك اليه من مكان بعيد

فصل في معرفة ذلك قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانما تقسم لو تعلمون عظيم انه قرآن
كريم في كتاب مكنون لا يسهو الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ذكر سبحانه هذا القسم عظيم
ذكر القيامة الكبرى واقسام الخلق فيها ثم ذكر الادلة القاطعة على قدرته وعلى المعاد بالفتنة

الاولى واخراج النبات من الارض وانزال الماء من السماء وخلق النار ثم بعد ذلك احوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن واقسم بمواقع اليوم على ثبوت القرآن وانه تنزيله وقد اختلف في اليوم التي اقسام بمواقعها قبل هي آيات القرآن ومواقعها ولها شيئا يمدنى وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وقول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقاتلة وقيل اليوم هي الكواكب ومواقعها ساقتها عند غروبها هذا قول ابى عبيدة وغيره وقيل مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن ومن جهة هذا القول ان له مواقع تقتضيه فانه مفاعل من الوقوع وهو السقوط فكل نجم موقع وجهها مواقع ومن جهة قول من قال هي مساقطها عند الغروب ان الرب تعالى يقسم باليوم وطلوعها وجريانها وغروبها اذ ينسأ وفي احوالها الثلاث آية وحسرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى في الاقسام بالخمس الجوار الكنس وقالوا انهم اذا هوى وقال فلا اقسام رب المشارق والمغرب ويرجح هذا القول ايضا ان اليوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى وادبار النجوم وقوله الشمس والقمر والنجوم وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها ان اليوم جعله الله يمتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يمتدى بها في ظلمات الجهل والتي تلك هداية في الظلمات الحسية وآيات القرآن في الظلمات المعنوية فجمع بين الهديتين مع ما في النجوم من الرجوع للشياطين وفي آيات القرآن من رجوع شياطين الانس والجن والنجوم آياته المشهودة المصانية والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومدى قهها عند النزول ومن قرأ بمواقع النجوم على الافراد فدلالة الواحد المضاف الى الجمع على التعدد والموقع اسم جنس والمصادر اذا اختلفت جاءت واذا كان النوع واحدا افردت قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحجر فجمع الاصوات لتعدد النوع واخر صوت الحجر لوحده فافراد موقع النجوم لوحدها المضاف اليه وتعدد المواقع لتعدد اذ لكل نجم موقع

فصل في القسم عليه ههنا قوله انه لقرآن كريم ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله وانه لقرآن كريم ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون عظيم فبما هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض الطف شيء واحسنه موقعا واحسن ما يقع هذا الاعتراض اذا تضمن تأكيذا او تنبيها او احدا ترازا كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا الاوسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فاعتراض بين المبتدأ والخبر به وله لانكف نفسا الاوسعها لما تضمنه ذلك من الاحتراز الدافع لتوهم متوهم ان الوعد انما يستحقه من اتى بجميع الصالحات فرغ ذلك بقوله لانكف نفسا الاوسعها وهذا احسن من قول من قال انه خبر عن الذين آمنوا ثم اخبر عنهم بخبر آخر فبما خبران عن مخبر واحد فان عدم التكليف فوق الوسع لا ينقص الذين آمنوا بل هو حكم شامل لجميع الخلق مع ما في هذا التقدير من اخلاء جملة الخبر عن الرابط وتقدير

صفة محذوفة أي نفسا منهم وتمطيل هذه الفائدة الجلية ومن أطف الاعتراض وأحسنه قوله تعالى ويصلون الله النبات سبحانه ولهم ما يشتهون فاعترض بقوله سبحانه بين الجليلين وفوائد الاعتراض تختلف بحسب قصد المتكلم وسياق الكلام من قصد الاعتناء والتقدير والتوكيد وتمظيم المقسم به وأضبر عنه ورفع توهم خلاف المراد والجواب عن سؤال مقدر وغير ذلك فن الاعتراض الذي يقصده التقرير والتوكيد قول الشاعر

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تلعوا منك الطالبا

وما يقصده الجواب عن سؤال مقدر قول الآخر

فلاجرة تبدو وفي اليأس راحة * ولاوصلة تصفو لها شكارمه

فقوله وفي اليأس راحة جواب لتقدير سؤال سائل وما يفني عنك بجره فقال وفي اليأس راحة أي المطلوب أحد أمرين إما يأس مريح أو وصال صاف ومن اعترض الاعتراض قول الجعدي الأزمت بنو جعد بأبي * وقد كذبوا كبير السن فاني

ومنه قول نصيب

فكذبت ولم أخلق من الطير ان بدا * صنايرقي نحو الجواز أمير

فقوله ولم أخلق من الطير رفع استفهام يتوجه عليه على سبيل الانتكار لوقال فكذبت أمير فيقال له وهل خلقت من الطير فاعترض بهذا الاعتراض وعندي ان هذا الاعتراض يفيد غير هذا وهو قوة شوقه وتزوجه الى أرض الجواز ما أخبرانه كاد يطير على انه ابعثني من الطير ان قائم لم يخلق من الطير ولا يحب طير ان من خلق من الطير وإنما العيب طير ان من لم يخلق من الطير لشدة تزوجه وشوقه الى جهة محبوبه فتأمله ومن مواقع الاعتراض الاعتراض بالدماء كقول الشاعر قد كنت أبكي وأنت راضيه * حذار هذا الصدود والغضب ان تم هذا العسر يا ظلموم ولا تم * فسالي في العيش من أرب

وقول الآخر

ان سليمي والله يكلوها * ضنت بنى ما كان يزورها

وقول الآخر

ان الثمانين وان بلفظها * قد أحوجت سمى الى زحاج

ومنه الاعتراض بالقسم كقوله

ذاك الذي وأيك يعرف مالكا * والحق يدفع ترهات الباطل

ومن اعتراض الاستعطاف قوله

فني بالعين التي كنت مرة * الى بهانضي فداؤك تنظر

فاعترض بقوله فني فداؤك استعطافا فتأمل حسن الاعتراض وجزائه في قول الرب تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفرقة قوله والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه نادا مورائها الجواب عن سؤال سائل ماحكمة هذا التبديل وما فائدته ومنها ان الذي بدل واتى به غيره منزل محكم تزوله قبل الاخبار به ولهم ومنها ان مصدر الامر من من علم تبارك وتعالى وان كان منهما منزل فيجب التسليم والايمان بالاول والثاني

ومن الاعتراف الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه جلته
 امه وهما على وهن وفصله في صامتين ان اشكر لي ولوالديك فاعترض ذكر شأن حمله
 ووضعه بين الوصية والموصى به تؤكد الامر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكرا
 اولدها بحمها وماقنته من حمله ووضعه عالم يتكلمه الاب ومنه قوله تعالى واذ قلتم نقسا
 قادرا ثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها فاعترض بقوله والله
 مخرج ما كنتم تكتمون بين اهل الطوف بعضها على بعض اعلا ما بان تداره هم وتدافعهم
 في شأن القتل ليس ناصالهم في كتمان الله بظهره ولا بد ولا تستطاع هذا الفصل
 وامثاله فانه يسطر ميراثا ويخرجك طريقا بينك على فهم الكتاب والله المستعان

فصل في ثم قال انه قرآن كريم فوصفه بما يختص حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته
 فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء احسنه وافضله والله بهانه
 وصف نفسه بالكريم ووصفه بكلامه ووصفه بهرته ووصفه بما اكثر خيره وحسن
 منظره من الثبات وشيخه ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال النكفي انه لقرآن كريم أي
 حسن كريم على الله وقال مقاتل كرمه الله واعزله لانه كلامه وقال الازهرى الكريم اسم جامع
 للمحمد والله كريم جليل التعال وانه لقرآن كريم يحمده لما فيه من الهدى والبيان والعلم
 والحكمة وبالجملة فالكريم الذي من شأنه ان يسطر الخير الكثير بسهولة ويسر وضده القبيح
 الذي لا يخرج خيره التزوا الا بصر وصعوبة وكذلك الكريم في الناس والقيم

فصل في ثم قال تعالى في كتاب مكنون اختلاف المفسرون في هذا فقيل هو الاوح
 الصوط والصحيح انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله في صحف مطهرة
 بأيدي سفرة كرام بررة وبدل على انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله لا يسه الا المطهرون
 فهذا يدل على انه بأيديهم يسونه وهذا هو الصحيح في معنى الآية ومن المفسرين من قال
 ان المراد به ان المصحف لا يسه الا طاهر والاول ارجح لوجود أحدهما أن الآية سبقت
 تنزيها لقرآن أن تنزل به الشياطين وأن محله لا يصل اليه فيسه الا المطهرون فيسهل على
 اخابث خلق الله وأنجسهم أن يصلوا اليه أو يسوه كما قال تعالى وما تنزل به الشياطين
 وما ينسخن لهم وما يستحيون فتنى الفصل وتأنيبه منهم وقدرتهم عليه فما فعلوا ذلك
 ولا يلقى بهم ولا يقدرون عليه فان الفصل قد يتنى عن محسن منه وقد يلقى عن لا يقدر عليه
 فتنى عنهم الامور الثلاثة وكذلك قوله في سورة هيس في صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام
 بررة فوصف محله بهذه الصفات بان ان الشيطان لا يمكنه أن ينزل به وتقرير هذا المعنى
 أهم وأجل وأتق من بيان كون المصحف لا يسه الا طاهر الوجه الثاني ان السورة مكبة
 والاحشاء في السور المكبة اما هو بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة وأما تقرير
 الاحكام والشرائع فغفلة السور المدنية الثالث ان القرآن لم يكن في صحف عند نزول هذه
 الآية ولا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع في المصحف في خلافة ابي بكر
 وهذا وان جاز ان يكون باهتار ما يأتي فالظاهر انه اخبار بالواقع حال الاخبار يوضحه
 الوجه الرابع وهو قوله في كتاب مكنون والمكنون المصون المستور عن الاعيين الذي

لأنه أبدى البشر كما قال تعالى كأنهم بعض مكنون وهكذا قال السلف قال الكلبي مكنون
 من الشياطين وقال مقاتل مستور وقال جاهد لا يصيبه تراب ولا خبار وقال أبو إسحق مصون
 في السماء يوضحه الوجه الخامس أن وصفه بكونه مكنونا نظير وصفه بكونه محفوظا
 بقوله قرآن كريم في كتاب مكنون كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ يوضحه
 الوجه السادس أن هذا الباطن في الرد على المكذبين وأبلغ في تعظيم القرآن من كونه المصنف
 لآيحه محدث الوجه السابع قوله لآيحه الا المطهرون بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان
 نهيا لكان مفتوحا ومن حل الآية على التي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره إلى معنى النبي
 والأصل في الخبر والتي حل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام
 عن الخبر إلى التي الوجه الثامن أنه قال الا المطهرون ولم يقل الا المتطهرون ولو أراد به
 منع الحدث من سه لقال الا المتطهرون كما قال تعالى أن الله يحب المتوابين وبعب المتطهرين
 وفي الحديث اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فالتطهر فاعل التطهير والمطهر
 الذي طهره غيره فالتوضي مطهر والملائكة مطهرون الوجه التاسع أنه لو أريد به المصنف
 الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنونا كبيرا فاعلة اذ مجرد كون الكلام مكنونا
 في كتاب لا يستلزم ثبوته فكيف يدح القرآن بكونه مكنونا في كتاب وهذا أمر مشترك والآية
 الخامسة إيمان مدحود وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على أنه منزل من عند الله
 وأنه محفوظ مصون لا يصل إليه شيطان بوجه ما ولا يصيبه الا المطهرون وهم السفرة
 الأكرام البررة الوجه العاشر ماروا سعيد بن منصور في سننه ثناء لأحوص ثناءهم الأحوال
 عن أنس بن مالك في قوله لآيحه الا المطهرون قال المطهرون الملائكة وهذا عندنا من أهل
 الحديث في حكم المروع قال الحاكم تفسير الصحابة هذا في حكم المرفوع ومن لم يصبه مرفوعا
 فلا ريب أنه عنده أصح من تفسير من بعد الصحابة والصحابة أهل الأمة بتفسير القرآن ويجب الرجوع
 إلى تفسيرهم وقال حرب في مسأله سمعت أبا بصير في قوله لآيحه الا المطهرون قال النسخة التي في
 السماء لآيحه الا المطهرون قال الملائكة وصحت شيخ الإسلام بقوله الاستدلال بالآية على أن المصنف
 لآيحه محدث بوجه آخر فقال هذا من باب التنبيه والإشارة إذا كانت النسخة التي في السماء
 لآيحه الا المطهرون فكذلك المصنف التي بأيدينا من القرآن لا يثبت في نفسها الا ظاهر والحديث
 مشتق من هذه الآية وقوله لا تقس القرآن الا واثق ظاهر رواه أهل السنن من حديث الزهري
 عن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله
 عليه وسلم إلى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات أن لا يمس القرآن الأشجار قال أحمد
 أرجو أن يكون صحيحا وقال أيضا لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه وقال أبو عمر
 هو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستثنى بشرتها عن الإسناد
 لأنه أشبه التواتر في جميعه لتلقى الناس له بالقبول والمعرفة ثم قال وهو كتاب معروف عند
 العلماء وما فيه يخفى عليه الا قليلا وقد رواه ابن حبان في صحيحه ومالك في موطئه وفي المسئلة
 آثار أخر مذكورة في غير هذا الموضع
 فصل في دلالة الآية بأشارتها وإيمانها على أنه لا يدرك مصانيه ولا يفهمه الا القلوب

الطاهرة وحرام على القلب التلوث بجماعة البدع والخالفات ان ينال معانيه وأن يفهم كما
يبنى قال البخاري في صحيحه في هذه الآية لا يحد طمعه الا من آمن به وهذا ايضا من اشارة
الآية وتبيينها وهو انه لا يلتذ به وقراءته وفهمه وتدبره الا من شهدانه كلام الله تكلم به حقا
وانزله على رصوله وحيا ولا ينال معانيه الا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه
فمن لم يؤمن بالله حق من عند الله في قلبه منه حرج ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به
وحيا وليس مخلوقا من جملة مخلوقاته في قلبه منه حرج ومن قال ان له باطنا يخالف ظاهره
وان له تأويلا يخالف ما يفهم منه في قلبه منه حرج ومن قال ان له تأويلا لا يفهم ولا ينطقه
وانما تلوه متعبدين بألفاظه في قلبه منه حرج ومن سلك عليه آل الرايين وهديان المتكلمين
وسفطة المسقطين وخيالات التصوفين في قلبه منه حرج ومن جعله تابعا لصلته ومذهبه
وقول من قلده دينه بيزله على أقواله ويتكلف حمله عليها في قلبه منه حرج ومن لم يحكمه
ظاهرا وباطنا في أصول الدين وفروعه ويسلم وينقاد لحكمه أن كان في قلبه منه حرج
ومن لم يأمر بأمره وينهى عن نواهيه ويصدق جيع اخباره ويحكم أمره ونهيه وخبره
ويرد له كل أمر ونهى وخبر خالفه في قلبه منه حرج وكل هؤلاء لم يفس قلوبهم معانيه ولا
يفهمونه كما ينبغي أن يفهم ولا يحدون من لذته حلالوته وطعمه ما وجدته الصحابة ومن تبعهم
وانت اذا تأملت قوله لوسع الاطهارون واعطيت الآية حقها من دلالة اللفظ وإيجانه
واشارته وتبينه وقياس الشيء على نظيره واعتباره بشاكله وتأملت المشابهة التي عقدها الله
سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن ففهمت هذا المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق

فصل في تمثيل كذالك وقرره واطدعه بقوله تنزيل من رب العالمين وكما انه لازم لكونه قرآنا
كريميا في كتابه مكنون فهو ملازم له فهو دليل عليه ومدلول له وانما دونه تنزيل من رب العالمين
مطلوبين عظيمين من أجل مطالب الدين أحدهما أنه التكلم وأنه منه نزل ومنه بدأ وهو
الذي تكلم به ومن هنا قال السلف منه بدأ ونظيره ولكن حتى القول متى وقوله قل زله
روح القدس من ربك والثاني علو الله سبحانه فوق خلقه فان النزول والتنزيل الذي تعقله
المقول ونصرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلا إلى أسفل والرب تعالى انما يتخاطب عباده
بما تفرقه فطرهم وتشهده عقولهم وذكر التنزيل مصافا لربوبيته للعالمين المستزمنة فكله
لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم واحسانه وانعامه عليهم وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف
يلقى به مع ربوبيته التامة أن يتركهم حدى ويدعهم هملا ويخلفهم عبثا لا يأمرهم ولا ينههم
ولا يبيهم ولا يعاقبهم فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيل على رصوله واستدل بكونه
رب العالمين على ثبوت رسالته ورسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من
الاستدلال بالعجزات والخوارق وان كانت دلالتها أقرب إلى أذهان جوع الناس وتلك انما
تكون لحواش العقلاء وقد أشار سبحانه إلى طريقين في غير موضع من كتابه كقول
صريح آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فهذا استدلال بالآيات المصانية
المخلوقة ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فهذا استدلال بكمال ربوبيته وكمال
أوصافه على صدق رصوله فيما جاء به وهذه الطريق أحسن وأقوى وأكمل وأعلى والأول

أعم وأشمل وقد تقدم بآيته عند قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل وأين الاستدلال بأوصاف الرب تعالى وكأله المقدس على ثبوت النبي وبمته من الاستدلال عليه ببعض مخلوقاته وتأمل فرق ما بين استدلال سيدة النساء العالمين خديجة بصفات الرب تعالى وصفات محمد صلى الله عليه وسلم واستنتاجهما من بين هذين الأمرين صحة نبوته وأنه رسول الله حقا وإن من كانت هذه صفات ربه وخالفه تأبى أن يخزيه وأنه يؤديه ويعليه ويتم نعمته عليه وأنت اذا تأملت هذه الطريقة وهذا الاستدلال وجدت بينهما وبين طريقة المتكلمين من الفرق مالا يخفى وإذا حصل لعبد الفقه في الاسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الآلة والالطراف والمذاهب والعقائد أعظم انتفاع وأقرب وقد بينا في كتابنا المعالم بطلان القبول وغيره من الحيل الربوية من أسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم أن يحرم الشيء ويتوعد على فعله بأعظم أنواع العقوبات ثم يرجع التوصل إليه بنفسه بأنواع التصيلات فأبى ذلك الوعد الشديد وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد إذ ليست حكمة الرب تعالى وكأله واسمائه وصفاته تفتقر بحالة ذلك وانتفاعه عليه فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الاسماء والصفات على الفقه العملي في باب الأمر والنهي وهذا باب حرام على الجمهور المعطل أن يلجأ إليه حرام عليه ربحها وإن ربحها ليجوز من مسيرة خمسين ألف سنة والله العزيز الوهاب لا مافع لما أعطى وما منعطى لما منع وبه التوفيق

فصل في تمهيد فهم سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعه وانهم يدهنون جاحقه ان يصدر به ويفرق به وبعض عليه بالنواجد ويقتى عليه الخناصر ونعتد عليه القلوب والافتدة ويحارب ويسالم لا يجله ولا يثوي عنه لا يهتة ولا يسهة ولا يكون لقلب التماس الى غيره ولا يحاكة الا اليه ولا محاسبة الا به ولا هتداء في طرق المطالب العساية الابنوره ولاشفاء الا به فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وقاعدة الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المدهنة بجاهذا شأنه ولم يترك المدهنة وانما أنزل بالحق والحقى والمدهنة انما تكون في باطل قوى لا يمكن ازالته أو في حق ضعيف لا يمكن اقامته فخصاج المداهن الى أنه يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل فاما الحق الذي قام به كل حق فكيف يدهن به ثم قال سبحانه وتعالى وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب انما هو بالرزق فرزق البدن الطعام والشراب ورزق القلب الايمان والمعرفة بربه وخالقه ومحبه والشوق اليه والانس بقربه والابتهاج بذكره وكان لحياته الابنوت كما أن البدن لحياته الا بالطعام والشراب أنم سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق وجعل قياس أديانهم وقلوبهم بهما ثم فوات سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما انتصاه عليه وحكمته ففهم من وفر حظه من الرزقين ووسع عليه فيها ومنهم من قتر عليه في الرزقين ومنهم من وسع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب وبالعكس وهذا الرزق اغايم ويكمل بالشكر والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فان الله تعالى تأذن أنه لا بد أن يزيد الشكور من نعمه ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع

الشكر والايان جعلوا رزقهم نفسه تكذيبا فان التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة هؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب وهذا المعنى هو الذى حام حوله من تال التقدير وتعملون شكر رزقكم انكم تكذبون وقال آخرون التقدير وتعملون بدل شكر رزقكم انكم تكذبون لغرض مضامين معا هؤلاء اطالوا القسط وقصروا بالمعنى ومن بعض معنى الآية قوله مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا لا يصح أن تدل عليه الآية ويراد بها والافتقارها اوسع منه واعمل واعلى والله اعلم

فصل في تم ختم السورة بأحوالهم عند القيامة الصغرى كما ذكر في اولها احوالهم في القيامة الكبرى وقسمهم الى ثلاثة اقسام كما قسمهم هناك الى ثلاثة وذكر بين يدي هذا التقسيم الاستدلال على صحته وثبوته بأنهم مربوبون مذبذبون مذكرون فوقهم رب قاهر مالك يتصرف فيهم بحسب مشيئته وارادته وقرره على ذلك جلالا - قيل لهم الى دمه ولا انكاره فقالوا لا اذا بلغت الخلقوم اى وصلت الروح الى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تشارك معى رزق بين الموت والحياة كما انها اذا فارقت صارت في رزق بين الدنيا والاخرة ملائكة الرب تعالى اقرب الى المتصرف من حاضريه من الانس ولكنهم لا يصرون بهم فلولا تردونها الى مكانها من البدن ايهما الحاضرون ان كان الامر كما تزعمون انكم خير مجزيين ولا مدبذين ولا مستوصيين ليوم الحساب (فان قيل) اى اوتى باط بين هذين الامرين حتى يلزم بينهما (قيل هذا) من احسن الاستدلال وابلغه فانهم امان بقروا بأنهم مربوبون مملوكون عبيد لما لك قادر متصرف فيهم قاهر آمر ناه اولايافرون بذلك فان اقروا به لزمهم القيام بحقه عليهم وشكره وتعظيمه واجلاله وان لا يصلوا له ندوا ولا شريكا وهذا هو الذى جاءهم به رسوله وتزل عليه به كتابه وان انكروا ذلك وقالوا انهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوبين وأن الامر اليهم يردون الارواح الى مقارها اذا بلغت الخلقوم فان المتصرف فان نفسه الحاكم على روحه لا يتجس منه ذلك بخلاف الحكوم عليه المتصرف فيه غير المدبر له - سواء الذى هو عبيد مملوك من ججع الجلمات وهذا الاستدلال لا يحيد عنه ولا مدفع له ومن اعطاه حقه من التقرير والبيان انفع به غاية النفع واتقاد لاجله لعبودية واذن ولم يسعه غير التسليم الربوبية والالهية والافراد بالعبودية والله ما احسن جزالة هذه الالفاظ وفصاحتها وبلوغها اقصى مراتب البلاغة والفصاحة والاختصار التام وندائها الى معناها من اقرب مكان واشتمالها على التوبيخ والتقرير والازام ودلائل الربوبية والتوحيد واليحيى وفصل النزاع في معرفة الروح وانها تصعد وتزل وتغفل من مكان الى مكان وما احسن اعادة لولائنا قبل ذكر الفعل الذى يقتضيه الاول وجعل الحرفين يقتضيه اقتضاء واحدا وذكر الشرطين بين لولا الثانية وما يقتضيه من الفعل ثم الموالاة بين الشرط الاول والثاني مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هي الرباط بين لولا الاولى والثانية والشرط الاول والثاني وهذا تركيب يستند العقل والسمع لثباته ولقد قلنا قضيحت الآيات تقريراً وتوضيحاً واستدلالاً على اصول الايمان من وجود المطلق بصفاته وكالقدرته ونفوذ مشيئته وربوبيته وتصرفه في ارواح عبادته حيث لا يقدر

والشروع التي تحصل للمكذبين الضالين فقال واما ان كان من اصحاب اليقين فسلامت
من اصحاب اليقين والسلام مصدر من سلم اي ذلك السلامة والخطاب له نفسه اي يقال ذلك
السلامة كما قال لقادم ذلك الهنا وكونت السلامة ذلك البشري ونحو ذلك من الالفاظ كما يقولون
خير مقدم ونحو ذلك فهدى نحية عند اللقاء قال مقاتل يسأل الله لهم امرهم ويجاوز عن سيئاتهم
وتقبل حسناتهم وقال الكلبي يسأل عليه أهل الجنة ويقولون السلامة لك وعلى هذا قوله من
اصحاب اليقين اي هذه النصبة حاصلة لك من اخوانك اصحاب اليقين فانه اذا قدم عليهم حيوه
بهذه النصبة وقالوا السلامة لك وفي الآية أقوال أخرى فيها تكلف وتصف فلا حاجة الى ذكرها
ثم ذكر الطبقة الثالثة وهي طبقة الضال في نفسه المكذب لاهل الحق وان له عند المواقفة
نزل الجحيم وسكنى الجحيم ثم اكد هذا الجزاء بما جعله كأنه رأى العين لمن آمن بالله ورسوله فقال
ان هذا لهو حق اليقين فرغ شأنه من درجة الظن والعلم الى اليقين وعن درجة اليقين الى حقه
ثم امره ان يسزئه اسمه تبارك وتعالى الى الايليقي به وتزيه الاسم متضمن لتزيه المسمى
عما يقوله الكاذبون والجاحدون

فصل ومن ذلك قوله تعالى والضم اذا هو ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى
أنا مسمي سمائه بالضم عند هويه على تنزيه رسوله وبرائه مما نسب اليه اعداؤه من الضلال والنفي
واختلف الناس في المراد بالضم فقال الكلبي عن ابن عباس أقسم بالقرآن اذ نزل مبهما على
رسوله اربع آيات وثلاثا والسورة وكان بين اوله وآخره عشرون سنة وكذلك روى عطاء
عنه وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره الفراء على هذا فسمى القرآن نجما لتفرقه
في النزول والعرب تسمى التفرق نجما والمفرق نجما ونجوم الكتابة اقسامها ويقول جعلت
مالي على فلان نجما وما نجمة كل نجيم كذا وكذا واسل هذا ان العرب كانت تجعل مطالع
منازل النجوم ومساقلها مواقيت لخلول ديونها وآجالها فيقولون اذا طلع النجم يريدون التريا
حل عليك الدين ومنه قول زهير في ذية جعلت نجوما على العاقل

نجمها قوم لقوم غرامة * ولم يهرقوا ما بينهم من نجيم

ثم جعل كل نجيم تقريبا وان لم يكن موقنا بطولوع نجيم وقوله هوى على هذا القول اي نزل من
علو الى سفلى قال ابو زيد هوى العقاب هوى هوا يفتح الهاء اذا انقضت على صيد أو غيره
وكذلك قال ابن الأعرابي وفرق بين الهوى لقوله * والداو في اصعادهما هوى الهوى * وقال
البيث العامة تقول الهوى بالضم في مصدر هوى بهوى وكذلك قال الاصمعي هوى
بهوى هو يفتح الهاء اذا سقط الى اسفل قال وكذلك الهوى في السير اذا مضى وهما أمر
يجب التنبيه عليه غلط فيه ابو محمد بن حزم افتح غلط فذكر في السماء الرب الهوى يفتح
الهاء واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
في مجوده سبحان ربي الاعلى الهوى فظن ابو محمد أن الهوى صفة للرب وهذا من غلطه
رحمه الله وانما الهوى في على وزن فاعل اسم لقطعة من الليل يقال معنى هوى من الليل على
وزن فاعل ومضى هرب منه أي طرف وجانب وكان يقول سبحان ربي الاعلى في قطعة من الليل
وجانب منه وقد صرح بذلك في اللفظ الآخر فقالت كان يقول سبحان ربي الاعلى الهوى

من الليل عندنا الى قوله والجم اذاهوى وقال ابن عباس في رواية على بن ابي طلحة وعطية
يعنى الثريا اذا سقطت وغابت وهو الرواية الاخرى عن مجاهد والعرب اذا اطلقت الجم
تعنى به الثريا قال غياث تصد الجيم وقال ابو جزة الخاقى يعنى الجيوم التى ترى بها الشياطين اذا سقطت فى آثارها عند
ابن عباس في رواية حكمة يعنى الجيوم التى ترى بها الشياطين اذا سقطت فى آثارها عند
اسحاق السمع وهذا قول الحسن وهو ظاهر الاقوال ويكون سبحانه قد قسم بهذه الآية
الظاهرة المشاهدة التى نصبها الله سبحانه آية وحفظا للوحى من استراق الشياطين له على ان
ما فى برسوله حق وصدق لا يبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد احتسب بالجم اذاهوى
رصدا بين يدي الوحى وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين القسم به والمقسم عليه فى غاية
الظهور وفى القسم به دليل على القسم عليه وليس بالبين تحية القرآن عند نزوله بالجم اذاهوى
ولاستحبة نزوله هويا ولا عهد فى القرآن بذلك فبصله هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص
هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالجوم عند انتشارها يوم القيامة
بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بما يانه لا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للسمطين
ولاسيا منكروا البعث فانه سبحانه اغا استدلالا لا يمكن جمده ولا المكابرة فيه ما ظهر الاقوال
قول الحسن والله اعلم وبين القسم به والمقسم عليه من التساوب ما لا يخفى فان الجيوم التى ترى
الشياطين آيات من آيات الله يحفظ به اديته ووحده وآياته المتزلة على رسوله بها ظهر دينه
وشعره واسماؤه وصفاته وجعلت هذه الجيوم المشاهدة خداما حرسا لهذه الجيوم الهاوية
ونفى سبحانه عن رسوله لضلالات الناقى الهدى والنقى الملقى قرشاد فى ضمن هذا الذى الشهادة له
بأه على الهدى والارشاد فالهدى فى علمه والارشاد فى علمه وهذا الانسلاخ هما غاية كمال
العبد وبهما سعاده وفلاحه وبهما وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء فقال عليك
بسننى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فالارشاد ضد الفوضى والمهدى ضد الضلال
وهو الذى زكت نفسه بالعلم بالنافع والمصلح وهو صاحب الهدى ودين الحق ولا
يشبهه ارشاد المهدي بالضلال الفوضى الا على اجهل خلق الله وأعماه قلبا وأبدهم
من حقيقة الانسانية والله در القائل

وما انتفاع أخى الدنيا بنظره * اذا ستوت عند الانوار والظلم
فاناس أربعة أقسام ضال فى علمه غاوى فى قصده وعمله وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل
الثانى مهتد فى علمه غاوى فى قصده وعمله وهؤلاء هم الأئمة الفضوية ومن تشبه بهم وهو حال
كل من عرف الحق ولم يعمل به الثالث ضال فى علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر الرابع
مهتد فى علمه ارشادى فى قصده وهؤلاء ورثة الانبياء وهم وان كانوا الاقليين عددا فهم الاكثرون
عند الله قدر اوهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه وتأمل كيف قال سبحانه ماضل صاحبكم
ولم يقل ماضل محمد تأكيذا لائمة المجتة عليهم بأنه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبهاله واقواله
واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا خي ولا ضلال ولا ينتمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه
على هذا المعنى بقوله اهل يعرفوا رسولهم وبقوله وما صاحبكم بمجنون
فصل ثم قال سبحانه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى بقرآن نطقى رسول

ان يصدر من هوى وهذا الكمال هداة ورشده وقال وما ينطق عن الهوى ولم يقل وما ينطق
 بالهوى لان نطقه من الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر من هوى واذالم يصدر من هوى
 فكيف ينطق به ضمن نفي الامر في الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه
 فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الهى والضلال ثم قال ان هو الاوحى يوحى فاما الضمير
 على المصدر المفهوم من الفعل اى ما نطقه الاوحى يوحى وهذا احسن من قول من جعل الضمير
 ماندا الى القرآن فانه يمتنع فطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحى يوحى وقد احتج الشافعى لذلك
 فقال لعل من جهة من قال بهذا قوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قال وله من جهة
 ان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني اراي بأمره الرجل الذي صالحه على الفم
 والخادم والذي نفسى بيده لا قضين بينكم لا بكتاب الله الفم والخادم رد عليك الحديث
 وفي الصحيحين ان يعلى بن ابيبة كان يقول لمررتنى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل
 عليه الوحي فلما كان بالجرانة سأل رجل فقال كيف ترى في رجل احرم بمرة في جنته
 بعد ما تضح بالخلق فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعه ثم سكت فجاء الوحي فأشار
 جريده الى يعلى فجاء فأدخل رأسه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم يحرم يغط ثم سرى عنه
 فقال ابن السائل أخافني به فقال انزع عنك الجبة واغسل اتر الطيب واصنع في امرتك ما تصنع
 في حيك وقال الشافعى اخبرنا مسلم عن ابن جريج عن ابن طاووس عن ابيه ان عنده كنيابا
 نزل به الوحي وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقة وعقول فأنزل به الوحي
 وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة
 كما ينزل عليه بالقرآن يعلم اياه وذكر الاوزاعى ايضا عن ابي سعيد صاحب سليمان اخبرني
 القاسم بن عبيدة حدثني ان فضيلة قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال لا تسأني من
 سنة احد ثم انكم لم يأمري بها ولكن سألوا الله من فضله وان فضيلة هذا يسمى طمعة وقد صرح عند
 انه قال الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وهذا هو السنة بلا شك وقد قال تعالى وانزل الله عليك
 الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة وبالله التوفيق

فصل ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن مما يعلم انه مضاد لوصاف
 الشيطان معلم الضلال والنواية فقال علمه شديد القوى وهذا نظيرة قوله ذي قوة عند ذي
 العرش وذكر انه هناك السر في وصفه بالقوة وقوله ذمرة أى جليل المنظر حسن
 الصورة ذو جلالة ليس شيطانا اقبح خلق الله واشوهم صورة بل هو من أجل الخلق
 واقوام واعظمهم أمانة ومكانة عند الله وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزيينه
 كما تقدم نظيره في سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت
 أوصاف الرسول البشرى والملقى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع الناس واعلمهم
 وأجلهم وأجلهم والشياطين وتلامذتهم بضد من ذلك فهم اقبح الخلق صورة ومعنى
 وأجمل الخلق واضعفهم همما قوسا ثم ذكر استواء هذا العلم بالا فحق الاعلى ودنوه
 وتكميله وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمع الله ما أوحى فنصور سبحانه لاهل
 الايمان صورة الخالد من نزول جبريل من عنده الى ان استوى بالا فحق ثم دنى وتكلى وقرب

من رسوله ما وحي اليهما أمره الله بأبعثه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال وبما ينوها
هابطان السماء الى ان صار بالأفق الاعلى مستويا عليهم نزل وقرب من محمد صلى الله عليه
وسلم وخطبه بما أمره الله قاتلا بك يقول لك كذا وكذا واخبر سبحانه عن مسافة
هذا القرب بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك وليس هذا على وجه الشك بل تحقيق لتقدير
المسافة وإنما لا تزيد على قوسين البتة كآل تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فحقيق
لهذا العدد وأنهم لا يتقصون عن مائة ألف رجل واحدا وفظيره قوله ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم
تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن والطف وادق من قول من جعل
أوفى هذه المواضع بمعنى بل ومن قول من جعلها ههنا بالنسبة الى الرأي وقول
من جعلها بمعنى الواو قسأمة انتهى

فصل في ثم اخبر تعالى عن تصديق فؤاده لآرائه عينه وأن القلب صدق العين وليس
كن رأى شيئا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل مارأه بصره صدقه الفؤاد وعلم
أنه كذلك وفيها قرأه أن أحدهما بتخفيف كذب والتأني بتشديد بها يقال كذبه عينه وكذبه
قلبه وكذبه جسده اذا اختلف ما قلته وحده قال الشاعر

كذبت عينك أم رأيت بواسط * خلس الظلام من للرباب خيالا

أي أرتك ملاحقة فحق هذا عن رسوله واخبره أن فؤاده لم يكذب مارأه وما لما ان تكون
مصدرة فيكون المعنى ما كذب فؤاده رؤيته وما ان تكون موصولة فيكون المعنى
ما كذب الفؤاد الذي رآه بعينه وعلى التقديرين فهو اخبار عن تسابق رؤية القلب لرؤية
البصر وتوافقهما وتصديق كل منهما لصاحبه وهذا ظاهر جديا في قراءة التشديد وقد
استشكلها طائفة منهم البردوقال في هذه القراءة بعد قال لانه اذا رأى قلبه قد علمه أيضا
بقلبه واذا وقع العلم فلا كذب معه فانه اذا كان الشيء في القلب معلوما فكيف يكون محصا
تكذيب قلت وجواب هذا من وجهين أحدهما أن الرجل قد يخفى الشيء على خلاف
ما هو به فيكذبه قلبه اذ يريد صورة المعلوم على خلاف ما هو عليه كأنك كذبه عينه فيقال
كذبه قلبه وكذبه ظنه وكذبه عينه فحق سبحانه ذلك عن رسوله واخبر انشأه الفؤاد فهو
كجأه كن رأى الشيء على حقيقة ما هو به فانه يصح أن يقال لم تكذبه عينه الثاني ان يكون
الضمير في رأى عائدا الى رأى الفؤاد ويكون المعنى ما كذب الفؤاد مارأه البصر وهذا
بمجد الله لا إشكال فيه والمعنى ما كذب الفؤاد مارأه البصر بل صدقه وعلى القراءة ثين فالمعنى
ما أوحى الفؤاد أنه رأى ولم يروا أنهم بصره ثم انكر سبحانه عليهم مكابرتهم وجسدهم
له على مارأه كابتكر على الجاهل مكابرة لسانهم ومماراته على ما علمه وفيها قرأه أن افقرونه
وافقرونه وهذه المماراة أصلها من الجحد والدفن يقول حريرت الرجل حقه اذا مجحدته كقال
الشاعر
لئن هيرت اخاصدق ومكرمة * لقد حريرت اخاما كان يبركا

ومنه المماراة وهي المجادلة والمكابرة ولهذا معنى هذا الفعل بطل وهي على بابها وليحت
بمعنى عن كماله المبر دبل الفعل متضمن معنى المكابرة وهذا في قراءة قاله ألف الظهور ورجح

ابو عبيدة قراءة من قرأ افترونه قال وذلت أن المشركين انما شأنهم الجسود لما كان يأنيهم
من الوحي وهذا كان أكثر من المسارة منهم يعني أن من قرأ افتقارونه فغناه افتجسادونه
ومن قرأ افتقارونه مضاه افتجسدونه وجسودهم لمجاهد به كان هو شأنهم وكان أكثر من
مجادلتهم له وخالفه ابو علي وغيره واختاروا قراءة افتقارونه قال ابو علي من قرأ افتقارونه
لمعناه افتجسادونه جدالاً ثم ومن يدفعه عما حمله وشاهده ويقوى هذا الوجه قوله تعالى
يمجادلونك في الحق بعدما تبين ومن قرأ افتقارونه كان المعنى افتجسدونه قال والمجادلة كأنها
اشبهت في هذا لان الجسود كان منهم في هذا وغيره وقد جادل المشركون في الاسراء قلت التوم
جدهوا بين الجدال والدفع والانكار فكان جدالهم جدال جسود ودفع لاجدال اصغر شاد
وتبين الحق واثبات الانقياد على المجادلة والاثبات على بدل على المكابرة فكانت قراءة
الالف منتظمة لمعينين جميعاً في أولى وبالله التوفيق

فصل ثم اخبر سبحانه عن رؤيته لجبريل مرة أخرى عند صدره المنتهى فالمره الاولى
كانت دون السماء بالافق الاعلى والثانية كانت فوق السماء عند صدره المنتهى وقد صح
عنه صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه الصلاة والسلام رأى على صورته التي خلق
عليها مرتين كافى الصحبين عن زر بن حبيش أنه سئل عن قوله تعالى وكان قاب قوسين
أو أدنى قال اخبرني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح
وفي الصحبين أيضاً عن عبد الله بن مسعود ما كذب القوادس رأى قال رأى جبريل في
صورته التي له ستمائة جناح وقال البخاري عنه رأى رفرقا اخضر يسد الاق وفي صحيح مسلم
عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام وفي صحبه أيضاً عن مسروق
قال كنت متكئاً عند عائشة فقات ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله
الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئاً
فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظر بنى ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق البين
ولقد رآه نزلة أخرى فقاتلنا أول هذه الامم قال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها خيراً هاتين المرتين رأيته منهبطاً من
السماء ساد اعظم خلقه ما بين السماء والارض فقالت ألم تسمع أن الله عز وجل يقول لا تدركه
الابصار وهو بذلك لا يبصر وهو الخفي لا يدرى ولم تسمع أن الله عز وجل يقول وما كان
ليبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فبذنه ما يشاء انه على
حكميم قالت ومن زعم أن محمداً كنتم شيئاً من كتاب الله فقد اعظم على الله الفرية والله
عز وجل يقول يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فلا بلغت رسالته قالت
ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله عز وجل يقول قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولو كان محمد كافراً شيئاً مما أنزل عليه لكنم
هذه الآية واذا تقول لذي انم الله عليه وانتم عليه امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وفي الصحبين عن مسروق
ايضا قال سألت عائشة رضي الله عنها هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد تفت شعري

عساقلت وفيها ايضا قال قلت لعائشة ما بن قوله عز وجل ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
 او ادنى قالت انما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال وانه أتاه في هذه المرة في صورته
 التي هي صورته فسدا لافق وفي صحيح مسلم ان ابا ذر سأله صلى الله عليه وسلم هل رأيت
 ربك فقال تورا ناأراه وفي صحيح مسلم ايضا من حديث أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط
 ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل جابه النور لو كشفه لاحرق
 سموات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهذا الحديث ساقه مسلم بعد حديث أبي ذر المقدم
 عليه وهو كالنفس يرله ولا ينافي هذا قوله في حديث الصحيح حديث الرؤية يوم القيامة
 فيكشف الجباب فينظرون اليه فان النور الذي هو جباب رب تعالى يراد به الجباب الأدنى
 اليه وهو لو كشف لم يبق له شيء كما قال ابن عباس في قوله عز وجل لا تدركه الابصار قال ذلك نوره
 الذي هو نوره اذا تجلى لم يبق له شيء وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضي ان قوله لا تدركه
 الابصار على عمومه والخلاف في الدنيا والاخرة ولا يلزم من ذلك ان لا يرى بل يرى في الاخرة
 بالابصار من غير ادراك واذا كانت ابصارنا لا تقوم لادراك الشمس على ما هي عليه وانما
 مع القرب الذي بين الخلق والمخلوق فالتفاوت الذي بين ابصار الملائكة وذات الرب جل
 جلاله أعظم وأعظم وهذا ما حصل للجبل أدنى شيء من جبل الرب تعالى في الجبل والملك
 لسبحات ذلك القدر من التجلي وفي الحديث الصحيح المرفوع جنتان من ذهب آيتهما وحليتهما
 وما بهما وجنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما بهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى
 ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فهذا يدل ان رداء الكبرياء على وجهه تبارك
 وتعالى هو المانع من رؤية الذات ولا يمنع من اصل الرؤية فان الكبرياء والعظمة امر لازم لذاته
 تعالى فاذا تجلى سبحانه لعباده يوم القيامة وكشف الجباب بينهم وبينه فهو الجباب المخلوق
 واما انوار الذات الذي يحجب عن ادراكها فذلك صفة لذات لا تعارق ذات الرب جل جلاله
 ولو كشف ذلك الجباب لاحرق سموات وجهه ما تدركه بصره من خلقه وتلك في هذه الاشارة
 في هذا المقام لمصدق الموقن واما المعطال الجاهل فكل هذا عنده باطل ومحال والمقصود
 ان الخبر عنه بالرؤية في صورة الجسم هو جبريل واما قول ابن عباس رأى محمداً بغيره بضوئه
 مرتين فالظاهر ان مستنده هذه الآية وقد تبين ان الرقي فيها جبريل فلا دلالة فيها على ما قاله ابن
 عباس وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي الاجماع على ما قلناه مائة فقال في نفسه على
 الريسى في الكلام على حديث ثوبان ومما ذان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي
 البارحة في أحسن صورة فمضى تأويل الريسى الباطل ثم قال ويك ان تأويل هذا الحديث
 على غير ما ذهبت اليه اما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أبي ذر انه لم يره
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تروا ربكم حتى توثقوا وقال عائشة رضي الله
 عنها من زعم ان محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وأجمع المسنون على ذلك
 مع قول الله لا تدركه الابصار فيصنون ابصار اهل الدنيا وانما هذه الرؤية كانت
 في المنام يمكن رؤية الله على كل حال كذلك وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله

عليه وسلم انما قال صلى الله عليه وسلم ما شاء الله من الليل ثم وضعت جنبي فأتاني ربي في أحسن صورة
فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم وقد عثر القاضي أبو يعلى ان الرواية اختلفت
عن الإمام أحمد هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء ام لا على ثلاث
روايات أحدها انه رأى قال المروزي قلت لابي عبد الله يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا
رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قول عائشة فقال يقول النبي صلى الله عليه
وسلم رأيت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها قال وذكر المروزي في موضع
آخر انه قال لابي عبد الله هتار رجل يقول ان الله يرى في الآخرة ولا أقول ان محمدا رأى ربه في الدنيا
فغضب وقال هذا أهل ان يفتي بسلم الخبر كما جاء قال فظاهر هذا انه أثبت رؤية عين ونقل حبل
قال قلت لابي عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه رؤيا حبل قلبه قال فظاهر
هذا في الرؤية وكذلك نقل الأثر وقد سأله عن حديث عبد الرحمن بن أبيس عن
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال صمير مضطرب
لان ممرا رواه عن أبيوب عن معبد عن عبد الرحمن بن أبيس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ورواه جاد عن قتادة عن معكرمة عن ابن عباس ورواه يوسف
ابن عطية عن قتادة عن انس ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن خالد بن
العباس عن عبد الرحمن بن أبيس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورواه يحيى بن أبي كثير فقال عن ابن أبيس عن معاذ عن النبي صلى الله عليه
وسلم وأصل الحديث واحد قال الأثرم فقلت لابي عبد الله قال أي شيء تذهب
فقال قال الأعمش عن زياد بن الحسين عن أبي العباس عن ابن عباس قال رأى
محمد ربه بقلبه ونقل الأثرم ان رجلا قال لأحمد عن الحسين الأشيب انه قال لم ير النبي
صلى الله عليه وسلم ربه تعالى فأكره عليه انسان وقال لم تقول رآه ولا تقول بعينه
ولا بقلبه كما جاء الحديث فأنه عن ذلك الأشيب فقال أبو عبد الله حسن قال وظاهر هذا
اثبات رؤية لا بقل ولا كانا كانت بعينه ام بقله فهذه نصوص أحمد وقد جعلها القاضي
مختلفة وجعل المسئلة على ثلاث روايات ثم احتج بالرواية الاولى بحديث ام الطفيل وحديث
عبد الرحمن بن أبيس الحضرمي ولا دلالة فيهما لارؤية تمام قط واحتج لها بما لا يرضى أحمدان
تخرج به وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح من قولها كانت ليلة امرى في رأيت ربي في
أحسن صورة فقال نعم ينضم الملا الأعلى وذكر الحديث وهذا غلط قطعان القصص فكانت
بالمدينة كما قال معاذ بن جبل احتسب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح حتى كدنا
فترأى من الشمس ثم خرج فضبط بنا ثم قال رأيت ربي البارحة في أحسن صورة فقال بالمدينة
ينضم الملا الأعلى وذكر الحديث فهذا كان بالمدينة والاسراء كان بمكة وليس عن الإمام
أحمد ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم نص انه رآه بعينه بقله وإنما حل القاضي كلام
أحمد لا يمتنع واحتج لما فهم منه باليد عليه وكلام أحمد يصدق بعينه بعضا والمسئلة رواية
واحدة صفة بقل بعينه وإنما قال رآه واثبت في ذلك قول ابن عباس رأى محمد ربه ولفظ
الحديث رأيت ربي وهو مطلق قد جاء بيانه في الحديث الآخر ولكن في رد أحمد قول عائشة

ومعارضته بقول النبي صلى الله عليه وسلم اشعار بأنه أدب الرؤية التي انكرتها عائشة وهي لم تنكر رؤية المنام ولم تقل من زعم ان محمدا رأى ربه في المنام مقدما عظم على الله الغيبة وهذا يدل على احد أمرين اما ان يكون الامام اجد انكر قول من اطلق نفس الرؤية اذهو مخالفته للحديث واما ان يكون رواية عنه باثبات الرؤية وقد صرح بأنه رآه رؤيا حمل قلبه وهذا قبيح منه للرؤية واطلق انه رآه وانكر قول من نسب مطلق الرؤية واستحسن قول من قال رآه ولا يقول بينه ولا قبله وهذه النصوص عنه متفقة لا تختلف وكيف يقول اجد رآه بمعنى رآه يفظه ولم يبيح ذلك في حديث قط ما حدثنا اتبع الفاظ الحديث كما جاءت وانكاره قول من قال لم يره أصلا لا يدل على إثبات رؤية اليقظة بينه والله اعلم

فصل وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس ما زاغ البصر عينا ولا شملا ولا جاوز ما مر به وعلى هذا المفسرون فتنبه من يبه ما يعرض للرائي الذي لا يدب به بين يدي الملوك والعظماء من التفاته عينا وشملا ومجاورة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جاتا ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات وما هناك من الجبابرة بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطرافه واقباله على ما أرى دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجالس وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وزيد في البصر التفاته جانبيا وغطياه مدهامحه الى حيث ينتهي فتره في هذه السورة علمه من الضلال وقصده وعلمه من الغي ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيف والطغيان وهكذا يكون المدح

تلك المسكارم لا قبسان من لبن ❖ شيئا جاء فعادوا بعباد ابوالا

فصل ولما ذكر رؤيته لجبريل عند مدبرة المتهى استطرد منها واذ كرا في جنة المأوى عندها وأنه يشاها من امره وخلقه ما يشي وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب لطيف جدا في القرآن وهو تومنان احدهما ان يستطرد من الشيء الى لازمه مثل هذا ومثل قوله وان شئتم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم استطرد من جوابهم الى قوله الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر ما تشربونه بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستروا على ظهوره وهذا ليس من جوابهم ولكن تقرير له واقامة الجمة عليهم ومثله قوله تعالى غن ربكم يا موسى قال ربنا الذي اصطفى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولي قال عملها عند رب في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى فهذا جواب موسى ثم استطرد سبحانه منه الى قوله الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجكم نبات شتى كلوا وورعوا انما كنتم في ذلك لآيات لاولي انتهى منها خلقناكم وفيها مقيدتكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم عاد الى الكلام الذي استطرد منه والنوع الثاني أن يستطرد من الشخص الى النوع كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى آخره فالاول آدم والثاني بنوه ومثله قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

ليسكن اليها لما انشاها جعلت حلا خفية فارت به فلما انتقلت دعو الله ربها التي آتيتها صالحا لكون
من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعله شركا فآتاها الى آخر الآيات فاستطرد من
ذكر الابوين الى ذكر المشركين من اولادهما والله اعلم
فصل في ومن ذلك قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في ررق منشور والبيت المعمور
والسقف المرفوع والبحر المعبور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع تضمن هذا القسم
خسة اشياء وهي مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته فالطور هو
الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى بن عمران عند ظهور المفسرين من السلف
واختلف وعرفه هنا باللام وعرفه في موضع آخر بالاضافة فقال وطور سينين وهذا
الجبل مظهر بركة الدنيا والآخرة وهو الجبل الذي اختاره الله لتكليم موسى عليه
قال عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لايه حدثني محمد بن عبيد بن حسان قال حدثنا
جعفر بن سليمان قال حدثنا ابو عمران الجوني عن نوف البكالي قال اوحى الله عز وجل الى الجبل
ان نازل على جبل منكم قال فشمعت الجبال كلها الاجبل الطور فانه تواضع وقال ارضي
بما قسم الله لي فكان الامر عليه وجبل هذا شأنه حقيق ان يقسم الله به وانه اسيد الجبال التي
الكتاب المسطور في الرق المنشور واختلف في هذا الكتاب فقيل هو الواح المحفوظ وهذا خطأ
فانه ليس برق وقيل هو الكتاب الذي تضمن اعمال بني آدم وقال مقاتل تخرج بهم
اعمالهم يوم القيامة في ررق منشور وهذا وان كان اقوى واصح من القول الاول
واختاره جماعة من المفسرين ومنهم من لم يرك غير ما لظاهر ان المراد به الكتاب
المنزل من عند الله واقسم الله به لعظمته وجلاله وما تضمنه من آيات ربوبيته
وادة توحيدة وهداية خلقه ثم قبل هو التوراة التي انزلها الله على موسى وكان صاحب
هذا القول رأى اقتراح الكتاب بالطور فقال هو التوراة ولكن التوراة انما انزلت في الواح
لا في ررق الا ان يقال هي في ررق في السماء وانزلت في الواح وقيل هي القرآن ولعل هذا
ارجح الاقوال لانه سبحانه وصف القرآن بأنه في صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة
فالصحف هي الرق وكونه بأيدي سفرة هو كونه منشورا وعلى هذا فيكون قد اقسام بسيد
الجبال وسيد الكتب ويكون ذلك متضمنا للنبوتين العظيمين نبوة موسى ونبوة محمد وكثيرا
ما يقرن بينهما وبين محمدا كما في سورة التين والزيتون ثم اقسام بسيد البيوت وهو البيت
المعمور وفي وصفه الكتاب بأنه مسطور تحققي لكونه مكتوبا مفروضا منه وفي وصفه
بأنه منشور ايذا بالاحتشابه وانه بأيدي الملائكة منشور غير معبور واما البيت المعمور
فالمشهور انه الصراح الذي في السماء الذي رفع فنهى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم وهو يحيط بالبيت المعمور في
الارض وقيل هو البيت الحرام ولا ريب ان كلا منهما معمور فهذا معمور بالملائكة وعبادتهم
وهذا معمور بالطائفين والتائبين والركع السجود وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت
ثم اقسام سبحانه بمخلوقين عظيمين من ماضي مخلوقاته وهما مظهر آياته وعجايب صنعته
وهما السقف المرفوع وهو السماء فانها من اعظم آياته قدر اوارقها ما وسعها ولو تاواشرا

وهي محل ملائكته وهي سقف العالم وبها انتظامه وحمل الثيرين الذين بهما قوام الليل والنهار والسنين والشهور والايام والصيف والشتاء والربيع والخريف ومنها تنزل البركات واليه تصعد الارواح واجالها وكلها الطيبة والثاني البصر المبحور وهو آية عظيمة من آياته وحجابه لا يصبها الا الله واختلف في هذا البصر هل هو الذي فوق السموات أو البصر الذي نشاهده على قولين فقالت طائفة هو البصر الذي عليه العرش وبين اعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام كما في الحديث الذي رواه ابو داود من حديث سمك عن عبد الله بن مخيمرة عن الاحنف بن قيس قال كنت بالبصرة في مصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم مصابة فنظر اليها فقال ما تمسمون هذه قالوا المصاب قال والمزن قالوا او المزن قال والسنان قالوا والسنان قال هل تدرون ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عدد سبع سموات ثم فوق السابعة بمرابن اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية احوال بين الاطراف وركبهم مثل ما بين السماء الى السماء ثم على ظهورهم العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم الله فوق ذلك وهذا لا ينقض ما في جامع الترمذي ان بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام اذا لمسا فاختلاف مقاديرها باختلاف المقدور به فالخمسمائة مقدرة بسير الابل والسبعون بسير البريد وهو يقطع يقدر ما يقطعه الابل سبعة اضعاف وهذا القول في البصر الذي تحت العرش يحكى عن علي بن ابي طالب والثاني انه بحر الارض واختلف في المبحور قبل المملوء هذا قول جيع اهل اللغة قال القراء المبحور في كلام العرب المملوء يقال مبررت الالة اذا ملأته قال لبيد

فدوسطاً عرض السرى وصدا * مبحورة مبحاور اقلامها

وقال المبرد المبحور المملوء عند العرب وانشد الفخر بن تولب * اذا شاء طالع مبحورة * يريد هنا مملوء ماء وكذا قال ابن عباس المبحور المثلث وقال مجاهد المبحور الموقد قال الليث البحر ايادك في التنوير تجره سجر او البحر اسم الخطب وهذا قول الضحاك وكعب وغيرهما قال البصر يجر فيه راد في جهنم وحتى هذا القول عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال مبحور قال القراء وهذا يرجع الى القول الاول لانك تقول مبررت التنوير اذا ملأته حطباً وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس ان المبحور اليابس الذي قد نصب مأثوم وذهب وليس لذي الرمة رواية عن ابن عباس غير هذا الحرف وهذا القول اخيار ابي العالية قال ابو زيد المبحور المملوء والمبحور الذي ليس فيه شيء جعله من الاخذاد وقد روى عن ابن عباس ان المبحور المبحوس ومنه ما جاور الكلب وهو القلادة من هود أو حديد تمسكه والمهني على هذا انه مبحوس بقدره الله ان يفيض على الارض فيفرقها فان ذلك مقتضى الطبيعة ان يكون الماء غامراً للارض فوقها كما ان للهواء فوق الماء ولكن امسكه الذي يسلك السموات والارض ان تزولا وفي هذا حديث ذكره احمد فروما مامن يوم الاو البصر يستأذن رباً ان يفرق بني آدم وهذا الموضع مما هم اصول الملاحة والذهبية فانه ليس في الطبيعة ما يقتضي حبس الماء عن بعض جوارب الارض مع كون كرة الماء طالعة على كرة الارض بالذات ولو فرض ان

في الطبيعة ما يقتضي بروز جوانبها لم يكن فيها ما يقتضي تخصيص هذا الجانب بالبروز دون غيره وما ذكره الطائفيون والمنفلسة أن العناية الالهية اقتضت ذلك لمصلحة العالم فتم هو كذا كروا ولكن نهاية من يفعل بقدرته ومشيته وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وهو أحكم الحاكمين غير مقولة بأن العناية الالهية تقتضي حياته وقدرته ومشيته وحله وحكمته ورجته واحسانه الى خلقه وقيام الافعال به تأتبات العناية الالهية مع نفى هذه الامور مجتمع وباقه التوفيق وأقوى الاقوال في المجهور أنه الموقد وهذا هو المعروف في اللغة من المجهور ويدل عليه قوله تعالى وإذا البحار سجرت قال علي وابن عباس أوقدت فصارت نارا ومن قال بسبت وذهب ماؤها فلا يتقاضى كونها نارا موقدة وكذا من قال ملئت فانها قلا نارا اذا اشتهرت ادلوب القرآن ونظمه ومفرداته رايت المنة تمل على ذلك كله فان الصريح بحسب قدرته الله وعلوه ماء ويذهب ماؤه يوم القيامة ويضير نارا فكل من المفسرين اخذ معنى من هذه المعاني والله اعلم

فصل في اقسام سبحانه بهذه الامور على المساء والجزاء فقال ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه اخبر سبحانه انه لا دافع له وهذا يتناول امرين احدهما انه لا دافع لوقوعه والثاني انه لا دافع له اذا وقع ثم ذكر سبحانه وقت وقوعه فقال يوم تقوم السماء ومورا وتسير الجبال سيرا والمور قد سير بالحركة وسير بالدوران وسير بالتوج والاضطراب والتعقبي انه حركة في قوجه وتكفيق وذهاب وبجى واهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال فقال وتسير الجبال سيرا وقال واذا الجبال سيرت من مكان الى مكان واما السماء فانها تكفيق وتوج وتذهب وتجي قال الجوهري مار الشئ يور مورا ترها اى تحركت وجاء وذهب كما تكفيق الضلة العبدانة اى الطويلة ومنه قوله يوم تقوم السماء ومورا قال الضحك توج موجا وقال ابو عبيدة والاحفش تكفيق وانشد للاعشى كان مشيتها من بيت جارنها مور المحابة لاربيب ولا عيب

ثم ذكر وعيد المكذبين بالمعاد والنبوة وذكر اعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها وعسى الخوض الذي هو كلام باطل والعب الذي هو سعى ضائع فلا حل نافع ولا حل صالح بل علومهم خوض بالباطل واعمالهم لعب ولما كانت هذه العلوم والاعمال مستلزمة لدفع الحق ينفق وقهر ادخلوا جهنم وهم يدعون اليها دعا اى يدفع في اقيمتهم وكنافهم دفعا يمد دفع فاذا وقوا عليها وما يتوها وقوا وقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون وتقولون لا حقيقة لها ولا من اخبر بها صادق ثم يقال اصبر هذا الاكن كما كنتم تقولون فسحق اى جاء تبصركم به الرسل انه صبر وانهم صبرة فهذا الآن صبر لا حقيقة له كما قلتم ام على ابصاركم غشاوة فلا تبصرون فما كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصرون والحق اطمحت ابصاركم اليوم من روى هذا الحق كما حيت في الدنيا فلا تبصروا الحق ثم سلب عنهم تقع البصر الذي كانوا في الدنيا اذا دهمتهم الشدايد واحاطت بهم لجثوا اليه وتلقوا باقتضاء البلية لاقتضاء امد ما قيل لهم يومئذ اصبروا ولا تبصروا كلاهما سواه عليكم لا يمدى عنكم الصبر ولا الجزع فلا الصبر ينطف عنكم حل هذا العذاب ولا الجزع يعطف عليكم

قلوب الخرفنة ولا يستنزل لكم الرحمة ثم اهلوا بأن الرب تعالى لم يظلمهم بذلك وانما هو نفس
 افعالهم صارت عذابا فلم يجدوا من افتراءهم به بدائل صارت عذابا لازما لهم كما كانت ارادتهم
 وعقائدهم الباطلة واعمالهم القبيحة لازمة لهم ووزوم العذاب لاهله في النار بحسب لزوم
 تلك الارادات الفاسدة والعقائد الباطلة وما يرتب عليها من الاعمال لهم في الدنيا فاذا زال
 ذلك الزوم في وقت ما يصفه بالتوبة النصوح وزوال كلياتهم يذبوا عليه في الآخرة لان امره
 قد زال من قلوبهم واستنهم وجسوارحهم ولم يبق له أثر يرتب عليه فالتائب من الذنب
 كن لا ذنب له والمادة الفاسدة اذا زالت مع البدن بالكلية لم يبق هناك ألم يشأ عنها وان لم تزل
 تلك الارادة والاعمال ولكن طرورها معارض أقوى منها كالتأثير للمعارض وقلب الأقوى
 الاضغف وان تصادى الامران نداهما وقاوم كل منهما الآخر وكان محل صاحبه جبال الاعراف
 بين الجنة والنار فهذا حكم الله وحكمته في خلقه وامره ونهيه وعقابه ولا يظلم ربك أحدا
فصل ثم ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة والاعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة
 وهم المتقون فذكر مساكنهم وهم في الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم وذكر نعيم قلوبهم
 وراحتهم يكونهم فأكبرين بما آتاهم ربهم والفاكهة المحبب بالشيء السرور المنقطعه وفضله فكه
 بالكسري فكه فهو فكه وفاكهة اذا كان طيب النفس والفاكهة البال ومنه الفسكهة وهي المرح
 الذي يشأ من طيب النفس وتفكهت بالشيء اذا تمتع به ومنه الفاكهة التي تمتع بها ومنه قوله
 فظلم فظلمون قيل معناه تدمون وهذا تفسير بلازم المعنى وانما الخليفة تريلون عنكم التفكهة
 واذا زال التفكهة خلقه ضده يقال تمتعت اذا زال الحزن عنه ونهجه ونحوه وتائم ومنه تفكهة
 وهذا البناء يقال هذا حل في الشيء كتمتع بحل والنار حرج منه كخرج وتائم والمقصوداته سبحانه جمع
 لهم بين التيمين نعيم القلب بالتفكهة وضمم البدن بالاكل والشرب والنكاح ووتائم عذاب الجحيم
 فراقهم ما يكرهون واعطاهم ما يهتجون جزاء وفاكاهة تركوا ما يكرهون انما يصيب فكان جزاؤهم
 مطابقا لاجالهم ثم اخبر عن دوام ذلك لهم بما افهمه قوله هنيئا لو اهلوا زواجا وانقطعت
 نفس عليهم ذلك نعيمهم ولم يكن هناء لهم ثم ذكر بحالهم وهياتهم فيها فقال متكئين
 على سرر مصفوفة وفي ذكر اصطفاها تبييه على كمال التهمة عليهم بقرب بعضهم من
 بعض ومقابلة بعضهم بعضا كما قال تعالى متكئين عليها متقابلين فان من تمام اللذة والنعيم
 أن يكون مع الانسان في بيتائه ومزاجه من يحب مسائرتة وبؤثر قربه ولا يكون بعيدا
 منه قد حبل بينه وبينه بل سريره الى جانب سريره من يحبه وذكر أنوار جهنم وانهم
 الحور العين وقد تكرروا وصفهم في القرآن يهاتين الصفتين قال ابو عبيدة جملناهم ازواجا
 كابزواج البعل بالبل جملناهم اثنين اثنين وكل يونس قرناهم بين وليس من قبل التزوج
 وانج على هذا بأن العرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال تعالى فلانقضى
 زيد منها وطرا زوجناكم وفي الحديث زوجناكم بلسانكم من القرآن وقال غيره العرب تقول
 تزوجت بامرأة وقال الازهري العرب تقول زوجته امرأتها تزوجت امرأة وليس في كلامهم
 تزوجت بامرأة ومنه قوله لعلهم وزوجناهم بموردعين اي قرناهم وعلى هذا فزوجناهم
 عند هؤلاء من الاقتران والشفع اي شفعناهم وقرناهم بين وقالت طائفة منهم مجاهد زوجناهم

بين أي انكسارهم إياهم قلت وعلى هذا فتلو بح فاعل الزور يح قد دل على النكاح وتعديته
بالإدعاء التضمنة معنى الاقتران والضم فاقولان واحد والله أعلم وأما الخور العين فقال مجاهد
التي يحار فيها الطرف بأدبا مخسوفين من وراء ثيابهم ويرى الناظر وجهه في كبد أحدها من
كالمرأة من رقدة الجلد وصفه اللون وقال قتادة بصور أي بعض وكذا قال ابن عباس وقال مقاتل
الخور البيض الوجوه العين الحسن الأعين وعين حوراء شديدة السواد نقية البياض طويلة
الاهتداب مع سوادها كالة الحسن ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون
الجلد فوصفهن بالبياض والحسن والملاحمة كما قال خيرات حسان قال بياض في ألوانهن
والحسن في وجوههن والملاحمة في عيونهن وقد وصف الله سبحانه نساء أهل الجنة بأحسن
الصفات ودل بما وصف بهما كنهه فإن شئت التفصيل فالذي يحمد ويستحب من وجه المرأة
وبدنها وإخلاقتها البياض في أربعة أشياء اللون وبياض العين والفرق والثغر والسواد في
أربعة سواد العين وسواد شعر الرأس والجفن وسواد الحجابين والحرة في أربعة الحسن
والشتين والوجنتين وحرة تشوب البياض فخصته وتزينه ومن التدوير أربعة أشياء
الوجه والرأس والكعب والمقعد ومن الطول أربعة القامة والعنق والشعر والحجاب
والسعة في أربعة الجبهة والسين والوجه والصدر ومن الصغر في أربعة الثدي والقدم
والكف والقدم ومن العظيب في أربعة النم والأنف والفرق والفرج ومن الضيق في موضع
واحد ومن الاخلاق كما قال تعالى هربا أترابا إذا العرب جمع عروب وهي المرأة المتصبية إلى
زوجها بأخلاقتها ولطافتها وشماثلها قال ابن الأثيري العروب من النساء المطيعة لزوجها
الغيبية إليه وقال أبو عبيدة هي الحسنة التي عمل قال المبرده العاشقة لزوجها وقال البخاري في محبته
هي النجدة ويقال الشككة فهذا وصف أخلاقهن وذلك وصف خلقهن وأنت إذا تأملت

الصفات التي وصفهن الله بها رأيتهما مستلزما لهذه الصفات ولما رواها والله المستعان
في فصل ثم أخبر سبحانه عن تكبير نعمهم بالخلق ذرياتهم بهم في الدرجة وإن لم يعملوا
أعمالهم لثوابهم بهم ويتم سرورهم وفرحهم وأخبر سبحانه أنه لم ينقص الآباء من علمهم من
شيء بهذا الإلحاق فيسرلهم من الدرجة العليا إلى الدرجة السفلى بل إلحاق الأبناء بالآباء
ووفر على الآباء أجورهم ودرجاتهم ثم أخبر سبحانه أنه هذا اغماوضه في أهل الفضل وأما
أهل العدل فلا يفضل بهم ذلك بل كل امرء بما كسب رهين في هذا دفع ثلثهم التسوية بين الفريقين
بهذا الإلحاق كافي قوله وما ألتاهم من علم من شيء دفع ثلثهم حظ الآباء إلى درجة الأبناء
وقسموا أجور الآباء بينهم وبين الأبناء فينقص أجر أعمالهم فرفع هذا التوهم بقوله وما ألتاهم من
علم من شيء أي ما نقصناهم ثم ذكر أمدادهم بالقسم والفاكهة والشراب وأنهم يطأون
كؤوس الشراب بينهم يشرب أحدهم ويتناول صاحبه لينم بذلك فرحهم وسرورهم ثم
زعم ذلك الشراب عن الآفات من القوم من أهله عليه وخلق الأمم لهم فقال لا لقوفها
ولأنائم فني بالقوم السباب والتضامم والهمير والنفس في المسال والعريضة ونفي بالتأنيب
جيج الصفات المذمومة التي أتمت شارب الخمر وقال سبحانه ولأنائم ولم يقل ولاائم أي
ليس فيها ما يجهلهم على الأمم ولا يؤثم بعضهم بعضا بشرها ولا يؤثمهم الله بذلك ولا الملائكة

فلا يلقون ولا يأتون قال ابن قتيبة لا يذهب بقولهم فيلقوا ولم يقع منهم ما يؤقهم فهو وصف خدمهم الطائفين عليهم بأنهم كانوا في بيضهم والكتنون المصون الذي لا تدنسه الأيدي فلم يذهب الخدمة تلك الحسن وذلك اللون والصفاء والبهجة بل مع اختصاصهم بخدمتهم كأنهم لؤلؤ مكنون ووصفهم في موضع آخر اذ اربابهم حببتهم لؤلؤا متوروا فقي ذكرة المنور إشارة الى تفرغهم في حوائج ساداتهم وخدمتهم وذهابهم وبهجتهم وسعة المكان بحيث لا يحتاجون أن يضم بعضهم الى بعض فيه لضيق ثم ذكر سبحانه ما يتحدثون به هناك وانهم يقولون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين أي كنا خائفين في محل الأمن بين الأهل والأقارب والعشائر فأوصلنا ذلك الخوف والاشفاق الى أن من الله علينا قأمننا بما نخاف ووقنا عذاب السعوم وهذا ضد حال النقي الذي كان في أهله مسرورا فهذا كان مسرورا مع أمهاته وهؤلاء كانوا مشفقين مع أحسانهم فبدل الله سبحانه اشفاقهم بأعظم الأمن وبدل أمن أولئك بأعظم المخاوف فبأنه سبحانه المستعان ثم أخبر عن حالهم في الدنيا وانهم كانوا يعبدون الله فيها فأوصلتهم عبادته وحده الى قرب به وجواره وحمل كرامته والذي جع لهم ذلك كله بره ورحمته فإنه هو البر الرحيم فهذا هو المقسم عليه بتلك الأقسام الخمسة في أول السورة والله أعلم

فصل في ومن ذلك قوله والذاريات ذروا فالحمالات وقرأ الجاريات يسرا فالسمات أمرا أقسم بالذاريات وهي الرياح تذر المطر وتذر التراب وتذر النبات اذا نهشم كما قال تعالى فأصبح هشيما تذروه الرياح أي تفرقه وتشره ثم بما فوقها وهي السحاب الحمالات وقرأ أي نقلا من الماء وهي روابيا الأرض يسوقها الله سبحانه على متون السحاب الرياح كافي جامع الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه اذا أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذروا الأرض يسوقها الله تبارك وتعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك وهي الجاريات يسرا وهي النجوم التي من فوق النمام ويسرا أي مسخرة مذللة منقادة وقال جماعة من المفسرين انها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا ومنهم من لم يذكر غيره واختار شيخنا رحمه الله القول الأول وقال هو أحسن في التزيين والانتقال من السافل الى العالی فإنه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه النجوم وفوقها الملائكة المقدمات أمرا لله الذي أمر به بين خلقه والصحيح ان السمات امر الاختصاص بأربعة وقيل هم جبريل يقسم الوحي والعذاب وأنواع العقوبة على من خالف الرسل وميكائيل على القطر والبرد والتلج والنبات يقسمها بأمر الله وممات الموت يقسم الملائكة الخلق بأمر الله وإسرائيل يقسم الأرواح على أيدائها عند النفخ في الصور وهم المدرات أمرا وليس في اللفظ ما يدل على الاختصاص بهم والله أعلم وأقسم سبحانه بهذا الأمر الأربعة لكان العبرة والآية والدلالة الباهرة على ربهيته ووحدانيته وعظم قدرته في الرياح من العبر هو بها وسكونها ولينها وشدتها واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابها وقصر قطرها وتنوع منافعها وشد الحاجة اليها فالمطر خمسة رياح يشرعها وريح يوقظها وريح يوقظها وريح يوقظها وريح تسوقه حيث يريد الله وريح تذرر أمامه وتفرقه وتنبأ ريح ولا سفن ريح وريح

ريح ولعذاب ريح الى غير ذلك من انواع الرياح وذلك تقتضى بوجود خالق مصرف لها
مدبر لها وبصرفها كيف يشاء ويصلها راحة تارة وحاصلة تارة ورجة تارة وهذا تارة
قاهرة يهيى بها الزرع والثمار وتارة يغطها بها وتارة ينهبى بها السفن وتارة يهلكها بها وتارة
ترطب الابدان وتارة تذيبها وتارة تعيقها وتارة لا قصه وتارة جفوها وتارة دجورا وتارة صبا
وتارة شمالا وتارة حارة وتارة باردة وهي مع غاية قوتها الطفشي وأقبل المخلوقات لكل
كيفية سريعة التأثير والتأثير لطيفة المسارق بين السماء والارض اذا قطع عن الحيوان الذي
على وجه الارض هلك كبحر الماء الذي اذا غرقه حيوان الماء هلك بحبسها الله سبحانه
اذا شاء ويرسلها اذا شاء تحمل الاصوات الى الاذن والرائحة الى الانف والهباب الى الارض
الجزوهى من روح الله تاتي بالرحمة ومن عقوبته تاتي بالمذابيح هي أقوى خلق الله كبروا
الزمضى في جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله
الارض جعلت قيد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فصببت الملائكة من شدة الجبال
وقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يارب هل من خلقك شيء
أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء قالوا يارب هل
من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم إن آدم
تصدق بصدقه يتبعه نخلها من شعله ورواه الامام أحمد في مسنده وفي الترمذي في حديث
قصة عاد أنهم يرسل عليهم من الريح الاقذر حلقة الخاتم فلم تذر من شيء أثمت عليه الاجلته
كأربهم وقد وصفها الله بأنها غايته قال الضاري في حصيه حنت على الخزنة فلم يستطيعوا ان
يردوها والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الرب الدالة على عظيمته وربوبيته وقدرته
فصل في قسم الهباب وهو من أعظم آيات الله في الجوفى فاذا خلف ثم يحمل الماء
والبرد فيصير اثقل شيء فيأمر الرياح فتمسكه على متونها وتسري به حيث أمرت فهو مسخر
بين السماء والارض حامل لارزاق العباد والحيوان فاذا أفرغه حيث أمر به انضصل وتلاشى
بقدره الله فانه لو بقي لأضر النبتات والحيوان فأنشأ سبحانه في زمن يصلح انشاؤه فيه وجهه
من الماء ما يجعله وساقه الى بلد شديد الحاجة اليه فصل الهباب من أنشأ بعدهم وجهه
الماء والتج والبرد ومن جعله على ظهور الرياح ومن أمسكه بين السماء والارض بغير عداد
ومن أفاض بقطره البعاد واحيي به البلاد وصرفه بين خلقه كأراد وأخرج ذلك القطر
بقدر معلوم وأزله منه واثناه بعد الاستغناء عنه ولو شاء لادامه عليهم فلم يستطيعوا ان يردوه
سيلا ولو شاء لأمسكه عنهم فلا يجدون اليه وصولا فلم يحببك جوار اجبابك اعتبار الرسل
الرياح من أنشأها بقدرته وصرفها بحكمته ومخرها حيث يشاء وارسلها بغير اين يدى رحته جعلها
سببا لنظام نعمته وسلطانا على من شاء يفتقروا من جعلها رخاء وذاريقولا لقصة ومثيرة ومؤلفة
ومفذية ليعتاق الحيوان والنبات وجعلها خسفا وحاصفا ومهلكة وغاية الى غير
ذلك من صفاتها فهل ذلك لها من نفسها وذلكها أم كما يرى مدبر شهت الموجودات ربوبية
واقترت الصنومات وحدانيته يد المضع والضرر ولما خلق الله الارض بارك الله رب العالمين
وسل الجليات سيرا من السفن من أمسكه على وجهه الله وسخر لها البحر ومن أرسل لها الرياح

التي تدفقها الى الماء سوق السحاب على متون الرياح ومن حفظها في بحرها ومرسأها
من طغيان الماء ولغيان الريح فمن الذي جعل الريح لها بقدر لوزاد عليها لا تخرقها ولتقص عنه
لصاتها ومن الذي أجرى لها ريحا واحدة تسير بها ولم يسلبها على تلك الريح ما يصادها ما يوقها وما
تتموج في البحر بيننا وشمالا تتلاعب بها الريح ومن الذي علم انطلق الضعيف صنعت هذا
البيت العظيم الذي يمشي على الماء فيقطع المسافة البعيدة ويعود الى بلده يشق المساء ويمر
مقبلا ومدبرا بريح واحدة تجري في موج كالجبال ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ
يسكن الريح فيظلمن روا كد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوقه من
عما كسبوا ويعفو من كثير ومن الذي جد في هذا البيت نبيه وأولياءه خاصة وأخرق جميع
أهل الأرض سواهم وسل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر ومن الذي خلقها
وأحسن خلقها ورفع مكانها وزين بها قبة العالم وفاوت بين أشكالها ومقاديرها وألوانها
وحركاتها وأما كنهان السماء قهها الكبير ومنها الصغير والمتوسط والأبيض والأحمر والأزرق
اللون والدرى اللون والمتوسط في قبة الفلك والمتطرف في جوانبها وبين ذلك ومنها ما يقطع
الفلك في شهر ومنها ما يقطعه في عام ومنها ما يقطعه في ثلاثين عاما ومنها ما يقطعه في أضعاف
ذلك ومنها ما لا يزال ظاهرا لا يخبى بحال فهو أبدي ومنها أبدي الخفاء ومنها ماله حاتسان
ظهور واختفاء ومنها ماله حركتان حركة عرضية من المشرق الى المغرب وحركة دائية
من المغرب الى المشرق فمال ما يأخذ الكوكب في القرب وكوكب آخر في مقابله وكوكب
آخر قذطلع وهو أخذ في الارتفاع والتصاعد وكوكب آخر في الارتفاع وكوكب آخر
في وسط السماء وكوكب آخر قدام من الوسط وآخر قد دنا من القرب وكان رقبه ينظر
بظلمه خبيته وأنت اذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على العباد كاندل
على المبدأ وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ووحدانيته أعظم دلالة
وتكادل على صفات جلاله ونفوت كماله دل على صدق رساله فكما جعل الله اليوم هداية
في طريق البر والبحر فهي هداية في طرق العلم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته والمبدأ
والمعاد والنبوة ودلائها على هذه المطالب لا تقصر عن دلائها على طرق البر والبحر بل دلائها
لعمول على ذلك أظهر من دلائها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا

فصل ١٠ وأمدالة السمات أمرهم الملائكة فلا تمشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي
وما لا يشاهدنا هو على أيدي الملائكة فالرب تعالى يدبرهم أمر العالم وقد وكل بكل عمل من الأعمال
طائفة منهم فوكل بالشمس والقمر والنجوم والأفلاك طائفة منهم ووكل بالقطر والهباب طائفة
ووكل بالنبات طائفة ووكل بالاجنة والحیوان طائفة ووكل بالموث طائفة وبهفطين آدم طائفة
وبأحصاء أعمالهم وكنائنها طائفة وبالوحى طائفة وبالجمال طائفة وبكل شأن من شؤون العالم طائفة
هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة ولطافة الجسم
وحسن الخلقة وكال الاتقاد لأموره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في اقطار العالم ثم اقسم
سبحانه بهذه الأمور على صدق وعده ووقوع جزائه بالتواب والعقاب فقال افتاتعدون
لصادق أي ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب لخلق كائن وهو وعد صدق

لا كذب وإن الدين لو وقع أي أن الجزاء لكأن لا محالة ويحتمل أن تكون مامو صولة والعائد محذوف والمعنى أن الذي نوءدونه لصديق أي كائن وثابت وإن تكون مصدرة أي أن وعدكم لحق وصدق ووصف الوعد بكونه صادقا يبلغ من وصفه بكونه صدقا ولا حاجة إلى تكلف جملة بمعنى مصدوقا فيه بل هو صادق نفسه كما يوصف المتكلم بأنه صادق في كلامه فوصف كلامه بأنه صادق وهذا مثل قولهم سر كاتم وليل قائم ونهار صائم وماه دافق ومنه عيشة راضية وليس ذلك بمجاز ولا محالف لمتقاضى التركيب وإذا تأملت هذا التناوب والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالا عليه مرشدا إليه ثم أقدم سبحانه بالسماء ذات الحيك أصل الحيك في اللغة أجادة النجم يقال حيك الشوب إذا أجاد نجمه وحيل محبوك إذا كان شديد القتل وفرس محبوك الكفل أي مدبجه وقال سهر المحبوك في اللغة ما أجيد جملة ودابة محبوك إذا كانت مدبجة الخلق وقاك أبو عبيدة والمبرد الحيك الطريق واحدها حيكك وحباك الحمام طرائق على جناحيه وحيك الماء طريقه وقال الفراء الحيك تكسير كل شيء كالرمل إذا مررت به الريح والماء الدائم إذا مررت به الريح وتجمد الشعر حيكك أيضا واحدها حيككة مثل طريفة وحيكك مثل مثال ومنزل والمقصود بهذا كله ما أفصح به ابن عباس فقال يريد الخلق الحسن وروى سعيد بن جبير عنه قال الحيك حسنهما واستواؤهما وقال فتادة ذات الخلق الشديد وقال مجاهد متقنة البنيان وقال أيضا ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها حيكك الماء إذا ضربته الريح وكبك الرمل وكبك الشعر وقال صكرمة يئسانها كالبرد المسلسل قلت وفي الحديث في صفة الدجال شراعه حيك أي جعد الشعر ومن أحسن ما قيل في تفسير الحيك ما ذكره الترمذي في تفسير الجامع من حديث الحسن بن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما فؤوسكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فأنها الرقع صفف محفوظ ومسوح مكفوف وذكر الحديث

فصل ثم ذكر المقسم عليه فقال انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قاله قول المختلف أقوالهم في القرآن وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو خرس كله فأنهم لما كذبوا بالحق اختلقت مذاهبهم وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم فان الحق شيء واحد وطريق مستقيم فمن خالفه اختلقت به الطرق والمذاهب كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج أي مختلط ملتبس وفي ضمن هذا الجواب انكم في أقوال بالطلا متنافضة يكذب بعضها بعضها بسبب تكذيبهم بالحق ثم أخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من صرف فمن ههنا فيها طرق من معنى التسبب ككفوله وما نحن بتاركي آلها من فوقه وقوله من أفك أي من سبق في علم الله أنه يضل ويؤفك كقوله فانكم وما تبعدون ما أنتم عليه بقائين إلا من هو صالحا بالحسين وقالت طائفة الضمير يرجع إلى القرآن وقيل إلى الإيمان وقيل الرسول والمعنى يصرف عنه من صرف حتى يكذب به ولما كان هذا القول المختلف خرسا وباطلا قال قتل الخراصون أي المكذبون الذين هم في غمرة تساهون وجه الله فقدر قلوبهم أي غطاها وخشاها كغمرة الماء وغرة الموت فغمرات ما غطاها من جهل أو هوى أو سكر

أو ضلة أو حب أو بغيض أو خوف أو غم ونحو ذلك قال تعالى بل قلوبهم غيرة من هذا أي غيلة وقيل جهالة ثم وصفهم بأنهم ساهون في غمركم والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه والفرق بينه وبين النسيان أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمرفق والسهو لا يستلزم ذلك ثم قال يستلون أي أن يوم الدين استبعادا لوقوع وجهدا فأخبر تعالى أن ذلك يومهم على النار يقتنون والمشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى يحرقون ولكن لفظة على تعطى معنى زائدا على ما ذكره ولو كان المراد نفس الحرف لقليل يومهم في النار يقتنون ولهذا ساءلهم هؤلاء ذلك قال كثير منهم على بمعنى في كما تكون بمعنى على والظاهر أن فتنهم على النار قبل فتنهم فيها لهم عند مرضهم عليها ووقوفهم عليها فتنه وعند دخولهم والتعذيب بها فتنه أشد منها فهم ومن جعل الفتنه ههنا من الحريق أخذهم من قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا واشتبهوا على ذلك أفعالهم هذه اللفظة التي في الذاريات وحقيقة الأمر أن الفتنه تطلق على العذاب وسببه وله إذا سمي الله الكفر فتنه فهم لما أتوا بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سمي جزاءهم فتنه وله إذا قال ذو قوا فتنسكم وكان وقوفهم على النار ومرضهم عليها من أعظم فتنهم وآخر هذه الفتنه دخول النار والعذاب بها ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها ثم فتنوا بارسال الرسل اليهم ثم فتنوا بمحسنتهم وتكذيبهم ثم فتنوا بعذاب الدنيا ثم فتنوا بعذاب الموت ثم يقتنون في موقف القيامة ثم إذا حشروا الى النار وقفوا عليها ومرضوا عليها وذلك من أعظم فتنهم ثم الفتنة الكبرى التي أنتم جميع الفتن قبلها

فصل في تم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالقوى وهو الجنات والعيون وأنهم آخذون ما آتاهم ربهم من الخير والكرامة وفي ذلك دليل على أمور منها قبولهم له ومنها رضاهم به ومنها وصولهم اليه بلا مانع ولا معوق ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم فكما أخذوا من أمرهم به في الدنيا وقابلوه بالرضا والتسليم واقتراح الصدر أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك تم ذكر السبب الذي أوصلهم الى ذلك وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له والقيام بحقوقه وحقوق عباده ثم ذكر لهم وأنهم قليل هجوهم منه وقد قيل ان منافقة والمعنى ما يعجبون قليلا من اهل فكيف بالكثير وهذا ضعيف لوجود أحدها أن هذا ليس بالآزم لوصف المتقين الذين يستحقون هذا الجزاء الثاني أن قيام من نام من الليل نصفه أحب الى الله من قيام من قامه كله الثالث أنه لو كان المراد بذلك احياء اهل جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقام ليلة حتى الصباح الرابع أن الله سبحانه إنما أمر رسوله ان يعبد بالقرآن من الليل لاني الليل كله فقال ومن اقبل تعبد به الخامس أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف أو الثلث من أزيدة عليه فذكر هذه المراتب الثلاثة ولم يذكر قيامه كله السادس أنه صلى الله عليه وسلم لم لم يلبه من عثمان بن مظعون أنه لا ينام من الليل بعت اليه فبها فقال يا عثمان أرغب من صني قال لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطيب قال فاني انام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فأتى الله يا عثمان فان لاهلك عليك حسا

وان شئيتك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا فصم واضرب وصل ورم ولم يبلغه عن زيلب
بنت جحش انهما صلى الليل كله حتى جعلت حبلا بين ساريتين اذا فترت قملقت به انكر
ذلك وامر بجمعه السابع ان الله انفى عليهم بأنهم كانت تجساق ونظاق عنها حتى يقوموا الى
الصلاة وله ذاجازام من هذا الصافي الذي يبيته قلب القلب واضطرابه حتى يقوم الى
الصلاة بقرة الا عين الثامن ان العصابة الذين هم اول وأولى من دخل في هذه الايام
يجمعوا منها عدم نومهم بالليل اصلا فروى بحير بن سعد عن سعيد عن قتادة عن انس في
قوله كانوا قليلا من الليل ما يهبطون قال كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء التاسع ان في
هذا التقرير تفكيكا للكلام وتقديرا لمعول السائل المتني عليه لانك تجعل قليلا مفصول
يهبطون وهو متني والبصريون لا يهبطون ذلك وان اجازة الكوفيون وفصل
بعضهم اجازة في الطرف ولم يجره في غيره

فصل في قول ما زائدة وغيره كان يجمعون وقليلا منصوب اما على المصدرية أي
هيوما قليلا واما على الطرف أي زمنا قليلا واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيل
ثلاثة نوم سده أحب القيام الى الله فيكون وقت العبادة أكثر من وقت القيام فكيف
ينفى عليهم بما الانضال خلافه وأجيب عن ذلك بأن من قام هذا القيام فز من هجوعه أقل
من زمن يقظته قطعها فانه منقطع من المغرب الى العشاء ومن العشاء الى طلوع الشمس
فيبقى ما بين العشاء الى طلوع العشاء فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن العبادة
أقل من زمن الانقطاع وقيل ما مصدرية وهي في موضع رفع بقليل أي كانوا قليلا هجوعهم
وهو قول الحسن وقيل لها موصولة بمعنى الذي والسائد محذوف أي قليل من الليل
الوقت الذي يجمعون وفيه تكلف وقيل ما يجمعون بدل اشتغال من اسم كان والتقدير كان
هجوهم من الليل قليلا ويرد عليه أن من الليل متعلق يهبطون ومعول المصدر لا يتقدم
عليه وأجيب عنه أنه منصوب على التفسير ومضاه أن قدره فعل محذوف ينصبه مفسره
هذا المذكور وقليلا خبر كان ونعم الكلام بذلك والمعنى كانوا احدا أو جنسا قليلا ثم قال من
الليل ما يهبطون واصحاب هذا القول يحملون ما نافية فيعود الكلام الى نفى هجوهم شيئا
من الليل وقد تقدم ما فيه ثم اخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند الظهر
فحتموا صلاتهم بالاستغفار والتوبة فيأتوا ربهم مجتهدا وقساتهم باوا اليه واستغفروه
عقيب ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا وأمر الله سبحانه
أن يهتم حرمه بالاستغفار وأمر عباده ان يهتموا اغاضتهم من عرفت بالاستغفار وشرع
صلى الله عليه وسلم للمتنوعي ان يهتم وضوءه بالتوبة فاحسن ما ختمت به الاعمال التوبة
والاستغفار ثم اخبر سبحانه عن احسانهم الى الخلق في مع اخلاصهم لربهم فيجمع لهم بين
الاخلاص والاحسان ضد الذين هم براؤن ويمعنون الماحون وأكد اخلاصهم في هذا
الاحسان بأن مصرفه المسائل والمهرورم الذي لا يقصد باصطائه الجزاء منه ولا الشكور
والمهرورم المتخلف الذي لا يسأل وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه وشرع لاصحاب
الجدة اعطاه وهو أغنى الاغنياء واجود الاجودين فل يجمع عليه بين الحرمان بالقدروا بالشرع

شرح عطاء بأمره وحرمة بقدرته فلم يحسم عليه حرمانه

فصل ثم ذكرهم سبحانه بآياته الالهية والتسوية فقال وفي الارض آيات لمؤمنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فآيات الارض انواع كثيرة منها خلقها وحدوثها بعد عدمها وشواهد الحدوث والافتقار الى الصانع عليها لا يحصى فانها شواهد قائمة بها ومنها بروز هذا الجانب فيها من المنافع كون مقتضى الطبيعة ان يكون مغشورا به ومنها سعتها وكبر خلقها ومنها تسطيحها كما قال تعالى والى الارض كيف سطحت ولا ينافي ذلك كونها كثيرة نهى كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان ومنها انه جعلها فراشا لتكون مقر الحيوان ومساكنه وجعلها فرازا وجعلها مهادا وجعلها ذلولا لا تؤطأ بها الاقدام وتضرب بالمعاول والنوس وتحمل على ظهرها الابنية الثقيل فهي ذلول مسخرة لما يريد الصبد منها وجعلها بساطا وجعلها كفاتا للحياء تضيئهم على ظهرها والاموات تضيئهم قبطتها وطسائها قدحها وبسطها ووسعها ودحاها فهي لما يريد منها بأن اخرج منها ما هو ومرطابا وشقي فيها الاثمار وجعل فيها السبل والنجاس ومنه يجعلها مهادا وفراشا على حكمته جعلها الله ساكنة وذلك آية اخرى اذ لا دماء تحتها تسكها ولا علاقة فوقها ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تكفأ فيه تكفأ السفينة فانتضت العناية الالهية ان وضعت عليها رواسي يثبتها بالثلاقيد وتستقر عليها الاتام وجعلها ذلولا على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة والشدّة كالخديد فتنسحق حفرها وشقها وينسفها والفرس والزرع وبهت التوم عليها والمشي فيها وتيرته بكونها فرازا على الحكمة في أن لم تختلف في غاية اللين والرخاوة والدمامة فلا تسكن بنا ولا يستقر عليها الحيوان ولا الاجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدمامة وأشرف الجواهر عند الانسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الارض من هذه الجواهر لفانت مصالح العباد والحيوان منها وتسلطت المنافع المقصودة منها وبهذا يعلم ان جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك وان كانت تلك اهل وأحرز فثلاؤها وزنتها ثقلتها والا فالتراب أنفع منها وأبرك وأتقن وكذلك لم يجعلها شفافة فان الجسم الشفاف لا يستقر عليه الثور وما كان كذلك لم يقبل المصنوعة فيبقى في غاية البرد فلا يستقر عليه الجوايف ولا يثاني فيه النبات وكذلك لم يجعلها صلبة رافقة لئلا يحترق عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الصلب الشفاف فانتضت حكمته سبحانه ان جعلها كثيفة خيرا فصلحت ان تكون مستقرا للحيوان والاتام والنبات ولما كان الحيوان الهوى لا يمكنه ان يعيش في الماء كالحيوان المائي ابرز له جانيها كما تقدم وجعله على أوفق الهيئات لمصلحته وانشا منها طعامه وقوته وكذلك خلق منها النوع الانساني وأعادها اليها وبخرجه منها

فصل ومن آياتها ان جعلها مختلفة الاجناس والصفات والمنافع مع أنها قطع مجاورات متلاصقة فهذه سهلة وهذه حزنة تجاورها وتلاصقها وهذه طيبة تقيت وتلاصقها ارض لا تقيت وهذه ترية وتلاصقها مال وهذه صلبة ولا صقها ويلها رخوة وهذه سوداوية لها ارض بيضاء وهذه حصي كلها وتجاورها ارض لا يوجد فيها حجر وهذه تصلح لنبات كذا وكذا وهذه لا تصلح له

بل تصلح لغيره ، وهذه سبعة مالحق وهذه بضدها وهذه ليس فيها جبل ولا علم وهذه مسجرة بالجبال
وهذه لا تصلح الا على المطر وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح الا على سقى الانهار فيطرقه سبحانه
الارض البعيدة وينسوق الماء اليها على وجه الارض فلو سألنا من نوعها هذا التنوع ومن
فرق اجزاءها هذا التفريق ومن خصص كل قطعة منها بما يخصها به ومن القى عليها رواسيها
وقع فيها السيل واخرج منها الماء والمرعى ومن امسكها عن الزوال ومن بارك فيها وقدر فيها
اقواتها وانشا منها حيوانا وتوابعها ومن وضع فيها ما يحتاجوا جوارحها ومتاعها ومن هيأ ما سكنوا
ومستقر الانام ومن يبدأ الخلق منها ثم يعيده اليها ثم يخرجهم منها ومن جعلها ذلولاً لغير مستصعبة
ولا تملئة ومن وطأ منها كبرا وذلل مسالكها ووسع مخارجها وشق انهارها وابعد اشجارها
واخرج ثمارها ومن صدعها عن النبات واودع فيها جميع الاقوات ومن بسطها وفرشها ومهدا
وذلقها وطماها ودساها وجعل ما عليها ذنبها ومن الذي يسكنها ان تحرك فتزول فيسقط
ما عليها من بناء وعلم ويحسبها بمن عليها فاذا هي تمور ومن الذي انشا منها النوع الانساني
الذي هو ابداع المخلوقات واحسن المستنوعات بل انشا منها آدم وتوحياب و ابراهيم وموسى
وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وانشا منها اوليائه واحبائه وعبيده
الصالحين ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والارزاق والمعادن والحيوان ومن
جعل فيها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة فلو زادت على ذلك لضعفت انوارها
بحرارة الشمس ونور القمر فتسلطت المنفعة الواصلة الى الحيوان والنبات بسبب ذلك ولو
زادت في القرب لاشتدت الحرارة والضوء فكانت تفسد في الصيف فاحترقت ابدان الحيوان
والنبات وبالجحش فكانت تفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم ومن الذي جعل فيها الجنات
والحدائق والعيون ومن الذي جعل بطنها بيوتا للاموات وظاهرها بيوتا للاحياء ومن الذي
يحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الريح ويطلع عليها الشمس فتأخذ
في الحمل فاذا كانت وقت الولادة مخضت الوضع واهتزت وانبتت من كل زوج بهيج فسبحان من
جعل السماء كالاب والارض كالام والقطر كالاه الذي ينطق منه الولد فاذا حصل الحب في
الارض ووقع عليه الماء اثر نداوة الطين فيه وامانتها الحسنة في باطن الارض
فوصلت الندوة والحرارة الى باطن الحبة فانسجت الحبة وربت وانتخت وانتقلت من سابقين
سابق من فوقها وهو الشجرة وساق من تحتها وهو العرق ثم عظم ذلك الولد حتى لم يبق لايه
نسبة اليه ثم وضع من الاولاد بضد ايه آلافا مؤلفة كل ذلك صنع الرب الحكيم في حجة
واحدة لعلها تبلغ في الصغر الى الغاية وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الامم قالها
من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجودنا لخلق وصفات كماله وافاضه وعلى صدق رساله فيما
اخباره وابه عنه باخراج من في القبور ليوم البعث والنشور فتأمل اجتماع هذه العناصر الارضية
وتجاورها وامتزاجها وحاجة بعضها الى بعض واتصال بعضها ببعض وتوابعها وتوابعها
به بحيث لا يمكنه الاتباع من التاثر والافتعال ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغنى عن صاحبه
وفي ذلك أظهر دلالة على انها مخلوقة مصنوعة مربية مدبرة حادثة بعد عدمها بقرة الى موجود
خفي ضها مؤثر غير متأثر قديم غير حادث تنقاد المخلوقات كلها لقدرته وتجبب داهي مشيئة

وتلي داعي وحدانيته وربوبيته وتشهد بعلمه وحكمته وتدهو عباده الى ذكره وشكره
وطاعته وعبوديته ومحبتة وتحذرهم من بأسه وعتته ونحتمهم على المبادرة الى رضوانه وجنته
فانظر الى الماء والارض كيف لا أراد الرب تعالى امتزاجهما وزدوا جعما انشا الرياح فحركت
الماء وساقته الى ان قذفته في حق الارض ثم انشأ لها حرارة لطيفة سخاوية وحصل بها
الانبات ثم انشأ لها حرارة أخرى اقوى منها حصل بها الافتتاح وكانت حاله الاولى
تضئف عن الحرارة الثانية فادخرت الى وقت قوته وصلابته فحرارة الريح للخارج وحرارة
الصيف للانضاج هذا وان الام واحدة والاب واحد والقاسح واحد والاولاد في غاية
التباين والتنوع كما قال تعالى وفي الارض قطع فجاورات وجنات من احباب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون فهذا بعض آيات الارض ومن الآيات التي فيها وقامه سبحانه التي اوقها
بالام المكذبين لرسامه الخالفين لاهله وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى وما داوود
وقد بين اكم من مساكنهم وقال في قوم لوط وانكم لتقرون عليهم مصبين وبالبال انما لتعقلون
وقال ما أخذتهم الضيقة مشرقين فبطلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم نجارة من مبيد ان في
ذلك لايات لمن يؤمن ويؤمانا لبسيل مقيم اي بطريق ثابت لا يزول من حاله قال وان كان
احصا اب اليكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهم لبامام مبين اي ديار هاتين الامتين لطريق
واضح يري به السالكون وقال تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وبين لكم كيف
فعلنا بهم وقال عن قوم عاد فاصبحوا لا يري الاساكنتهم وقال ألم يهدلهم كما هلكنا من قبلهم
من القرون يشون في مساكنهم ماى دلالة رجل يخرج وحده لاحد له ولا عدد ولا مال
فيدهو الامة العظيمة الى توحيد الله والايان به وطاعته ويحذرهم من بأسه وعتته يتفق كلهم
او اكثرهم على تكذيبه ومعاداة فذ كرههم انواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر تفرق
المكذبين كلهم نارة ويخسف بغيرهم الارض نارة وبذلك آخرين بالريح وآخرين بالصيحة
وآخرين بالسخط وآخرين بالحجارة وآخرين بظلمة من النار من فوقهم وآخرين بالصواعق
وآخرين بأنواع العقوبات ونحو داصيهم ومن معه والها لكون اضفاف اضفافهم
عددا وقوة ومنعة واموالا

فياك من آيات حقى لو اهدنى * بهن مرديد الحقى لكن هو اديا

واكن على تلك القلوب اكنت * فليست وان اصفت نجيب المناديا

فهل امتنوا ان كانوا على الحق وهم اكثرهم عددا واوقى شوكة بقوتهم وعددهم من بأسه
وسلطانه وهالا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هواضف منهم من اتباع الرسل ومن الآيات
التي في الارض بما يحدده الله فيها كل وقت بما يصدق رسله فيما اخبر به فلا تنزل آيات الرسل
واعلام صدقهم وأدلة نبوتهم يحددها الله سبحانه وتعالى في الارض اقامة الجدة على من لم يشاهد
تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل حتى كان اهل كل قرن يشاهدون ما يشاهد
الاولون ولنظيره كما قال سبحانه وآياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهذا الارادة
لا تختص بقرن دون قرن بل لا بد ما يرى الله سبحانه اهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم انه الله الذي

لا اله الا هو وان رحله صادقون وآيات الارض اعظم مما ذكرنا اكثر منه بالسير منها على الكثير
 فصل ثم قال وفي انفسكم افلا تبصرون لما كان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه دعاه خالقه
 وبأبيه ومصوره وطاره من قطره ماء الى التبصر والتفكر في نفسه فاذا تفكر الانسان في نفسه
 استنارت آيات الرب وفسطعت له انوار اليقين واضمحضت عنه غرات الشك والريب وانفجشت
 عنه ظلمات الجبل فانه اذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات وأدلة التوحيد على ربه
 ناطقات شاهدة لبدنه دالة عليه مرشدة اليها الذبيحة مكوّنة من قطرة ماء لحوام متصددة وعظاما
 مركبة واورصالا متعددة مأشورة مشددة بحبال العروق والاعصاب قد قطت وشدت ووجعت
 يعلدتين مشتمل على ثلاث مائة وستين مفصلا ما بين كبير وصغير ونخين ودقيق ومستطيل
 ومستدير ومستقيم ومنحن وشدت هذه الاوصال ثلاث مائة وستين عرقا لا اتصال والاتصال
 والقبض واليسط والد والضم والصنائع والكتابة وجعل فيه تسعة ابواب فبابان للسمع وبابان
 للبصر وبابان للشم وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس وبابان لخروج الفضلات
 للذي يؤذى احتياها وجعل داخل بابي السمع مراقاة لا تلبث فيهادية تخلص
 الى الدماغ فتؤذي وجعل داخل بابي البصر ملحاة لتلاذيب الحرارة الدائمة
 ما هنالك من الشحم وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوا ليسبغ به ما يأكله ويشربه
 فلا يتنفس به لو كان مرا أو ملحا وجعل له مصباحين من نور كالسراج المضيء مركبين
 في أعلى مكان منه وفي اشرف عضو من اعضائه طليعة وركب هذا النور في جزء صغير جدا
 يبصر به السماء والارض وما بينهما وغشاوة بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض
 حامية له وصانعة وحراصة وجعل على محله خلقا بمصرعين احلا واسفل وركب في ذيل المصراعين
 اهدابا من الشعر قاية لعين وزينة وجعل طرف فوق ذلك كله حاجبين من الشعر
 بحجبين العين من الخرق التازل ولتقيان عنها ما ينصب من هناك وجعل سبحانه لكل طبقة
 من طبقة العين شغلا مخصوصا ولكل واحد من الرطوبات مقدارا مخصوصا لوزاد على ذلك
 أو نقص منه لا اختلت المنافع والمصالح المطلوبة وجعل هذا النور الباصر في قدر عذبة ثم
 أظهر في تلك العذبة صورة السماء والارض والنفس والقمر والنجوم والجلال والعالم العلوي
 والسفلي مع اتساع اطرافه وتباعد اقطاره واقتضت حكمته سبحانه ان يجعل فيها باضا وسودا
 وجعل القوة الباصرة في السواد وجعل البياض مستقرها ومسكنها وبن كلاً منهما بالآخر
 وجعل الحدقة مصنوعة بالاجفان والحواجب كما تقدم والحواجب بالا هدايا وجعلها سودا
 اذ لو كانت بيضا لفرق النور الباصر فضعف الادراك فان السواد يمحض البصر ويمنع من تفرق
 النور الباصر وخلق سبحانه لصريك الجذق ونقله اربعاً وعشرين عضلة لو نقصت عضلة
 واحدة لاختل أمر العين ولما كانت العين كالمرآة التي انما تنطبع فيها الصور اذا كانت في
 قاية الصقالة والصفاء جعل سبحانه هذه الاجفان متحركة جدا بالطبع الى الانطساق
 من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات ولهذا لما يخلق لعين الذبابة
 اجفانا لا تزال اراها تنظف عينها يدها من آثار التراب والكدورات

مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والتميز والشر والبلادة والقطنة والزيغ والاستقامة فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب وهو أحد أنواع القراءة الثلاثة وهي قراءة العين وقراءة الاذن وقراءة القلب فالعين مرآة للقلب وطلبة ورسول ومن عجيب أمرها انها من الطفل الاحشاء وابدها تارة بالخر والبر دعي أن الدهن على صلابتها وغلظها ليناً ثم يهما أكثر من تأثر العين على لطافتها وليس ذلك بسبب الغطاء الذي عليها من الاجفان فانها ولو كانت منقعة لم تتأثر بذلك تأثر الاعضاء الغليظة

فصل ومن ذلك الاذان شتاهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه وودعهما من الرطوبة ما يكون معيناً على ادراك السمع وودعهما القوة السمعية وجعل سبحانه في هذه الصدفة انحرافات واحوجاجات لتطول المسافة قليلا فلا يصل الهواء الا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وحدة واحدة فيؤذيها وايضا قليلا يبعثها الداخل اليها من الدبيب والحشرات بل اذا دخل الى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل اخراجه وكانت العينان في وسط الوجه والاذنان في جانبيه لان العينين محل الملاحظة والزينة والجمال وهما بمنزلة النور الذي يمشي بين يدي الانسان وايضا فكان جعلهما في الجانبين ليكون ادراكهما لمساخلف الانسان وامامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتأثر في المصنوعات اليهما على نسبة واحدة وخلقت العينان بغطاء والاذنان بغير غطاء وهذا في غاية الحكمة اذ لو كان للاذنين غطاء لمنع الغطاء ادراك الصوت فلا يحصل الا بعد ارتقائهم الغطاء والصوت مرضى لاثباته فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ما تراه العين فانه اجسام واهراض لا تزول فيما بين كشف الغطاء وقبض العين وجعل سبحانه الاذن عضوا خضرا وفيما ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بين الصلابة واللين فتقبل بلينها وتحفظ بصلابتها ولا تنصدع انصداع العظام ولا تتأثر بالحر والبرد والشمس والجموم تأثر اللحم اذ المصلحة في بروزها لتتلقى ما يرد عليها من الاصوات والابخار

فصل ومن ذلك الانف نصبه سبحانه في وسط الوجه قائما معتدلا في احسن شكل وارفعه المنفعة وأودعه حاسة الشم التي يدرك بها الارائح وأنواعها وكيفيةها ومناقصها ومضارها ويستدل بها على مضار الاغذية والادوية ومناقصها وايضا فانه ينشئ بالمخبرين الهواء البارد الرطب فيؤذيه الى القلب فيتروح به فيستغنى بذلك عن قبح النمل ابداً وجعل تجويفه بقدر الحاجة فلم يوسع عن ذلك فيدخله هواء كثير ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه وجعل ذلك التجويف مستطيلا ليحصر فيه الهواء ويشكسر برده وحده قبل ان يصل الى الدماغ فلو لا ذلك لصدمه بجمده وقوته والهواء الذي يستنشقه الانف ينقسم شطرين شطرا يصعد الى الدماغ وشطرا ينزل الى الرئة وهما اكثر من آلات النطق فانه امانة على تقطيع الحسروف وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء فانه جعل مصبا لفصلات الدماغ فلهذا صدر منه في تلك القصة فيخرج فيستريح الدماغ ولذلك جعل عليها سترا ولم يجعلها بارزة تستشعرها العيون وجعل فيها تجويفا فانه قد ينسد احدها او يعرض له آفة تمنعه من الادراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني ثابتا عنه يعمل عمله كما اقتضت

الحكمة مثل ذلك في العينين ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه هناك الأنف كيف يدخل اولاً من
 النخريين وينكمس برده هناك ثم يصل الى الخلق فيعتدل من اجاه هناك ثم يصل الى الرئة لأطف
 ما يكون ثم تبعه الرئة الى القلب فيسروح عن الحرارة الفريزية التي فيه ثم ينفذ من القلب
 الى العروق ثم الحركة ويبلغ الى أطاسى اطراف البدن ثم اذا مضى في البطن وخرج من
 حداثا انتفاع من تلك الاطاسى الى اليدين ثم الى الرئة ثم الملقوم ثم الى النخريين خارجاً فيخرج منهما
 ويعود عوضه هواء بارد نافع والنفس الواحد من انفس العبد اثنان بمجموع هذه الامور
 والقوى والافعال وهو في اليوم واليلة أربعة وعشرون الف نفس لله في كل نفس عدة ثم
 قد وقف على القليل منها فاطنك بما وراء النفس من الاعضاء والقوى ومناضها وقام النعم بها
فصل واما الفم فعمل العجايب وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ومسكن
 اللسان الناطق الذي هو آلة العلوم وترجسان القلب ورسوله المؤدى عنه ولما كان القلب
 ملك البدن ومعدن الحرارة الفريزية فاذا دخل الهواء البارد وصل اليه فاعتدلت حرارته
 وبقي هناك ساعة فمضى واحترق فاحتاج القلب الى دفعه واخراجه فبذل احكم الحاكمين
 اخراجه سبباً لحدوث الصوت في الخفصرة والحك واللسان والشفقين والاسنان مضاطع
 ومخارج مختلفة بسبب اختلافها تغيرت الحروف بعضها عن بعض ثم ألهم العبد تركيب
 تلك الحروف ليؤدى بها عن القلب ما يأمر به فتأمل الحكمة الباهرة حيث لم يضع سبحانه
 ذلك النفس المستغنى المحتاج الى دفعه واخراجه بل جعل فيه اذا استغنى عنه منفعة ومصلحة
 هي من اكل المنافع والمصالح فان المقصود الاصلى من النفس هو اتصال النعم البارد
 الى القلب فاما اخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة فصرف ذلك سبحانه الى
 رماية تصلحه ومنفعة اخرى فيجعله سبباً للاصوات والحروف والكلام ثم انه سبحانه جعل
 الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة لختلاف الاصوات باختلافها
 فلا يشابه صوتان كالانتشابه صورتان وهذا من اظهر الادلة فان هذا الاختلاف الذي بين
 الصوور والاصوات على كثرتها وتعددتها قل ما يشبهه صوتان أو صورتان ليس في الطبيعة
 ما يقتضيه وانما هو صنع الله الذي اتقن كل شئ واحسن كل شئ خلقه فتبارك الله رب
 العالمين واحسن الخالقين غير سبحانه بين الاشخاص بما يدركه السمع والبصر
فصل وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام وهي اعظمها ومنفعة الذوق
 والادراك وجعله دليلاً على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جعله دليلاً على استقامته واهو حاجه
 فترى الطبيب يستدق بما يبدو البصر على اللسان من الخشونة والملاسة واليباض والخمرة
 والتشقق وغيره على حال القلب والمزاج وهو دليل قوى على احوال المعدة والامعاء كما يستدل
 السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فيبدو عليه صحة القلب وفسادة ومعنى وصورة
فصل وجعل سبحانه اللسان عضواً لاجل اعظم فيه ولا عصب لتسهيل حركته
 ولهذا لا نجد في الاعضاء من لا يكثر بكثر الحركة وما فاته أى عضوم الاعضاء حركته كما تحرك
 اللسان لم يملك لذلك ولم يلبث ان يكل ويخلو الى السكون الا اللسان وايضا فانه من اعدل
 الاعضاء والطقها وهو في الاعضاء بمنزلة رسول الملك ونايبه فزاجه من اعدل امرجة البدن

ويحتاج الى قبض وبسط وحركة في اتصالي الفم وجوانبه فلو كان فيه عظام لم ينتهيا منه ذلك ولم ينتهيا منه الكلام التام ولا الذوق التام فكونه كما اقتضاه السبب الفاعلي وانما في والله أعلم
فصل وجعل سبحانه على اللسان غلقتين أحدهما الانسان والثاني الفم وجعل حركته اختيارية وجعل على العين غطاء واحدا ولم يجعل على الاذن غطاء وذلك بخلاف اللسان وشرفه وخطر حركته وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر وذلك من الطوائف ان آفة الكلام اكثر من آفة النظر وآفة النظر اكثر من آفة السمع فيعمل للاكثر اقل طبقتين والمتوسط طبقتين وجعل للاقل آفة بلا طبق

فصل وجعل سبحانه الفم اكثر الاعضاء رطوبة والريق يغسل اليه دائما لا يفارقه وجعله حلو الاملا حار العين والاذن كالذي في الاذن والاعفان كالذي في الانف بل هو اشد حذب مياه البدن واحلاها حكمة بالغة فان الطعام والشراب يغسل به بل هو الذي يحيل الطعام ويخرج به امتزاج البهين بالما فلولاته حلولا لتذوق الانسان بل والحیوان طعاما ولا شراب ولا ساغته الاعلى كرمو تنقيص ولما كان كثير من الطعام لا يمكن حيله الا بعد طبعه جعل الرب تعالى له آفة لتطهير والتفصيل وآلة للطن فيعمل آلة القطع وهي الثنايا وما يليها حادة الرؤس ليسهل بها القطع وجعل التواجد وما يليها من الاضراس مسطحة الرؤس مريضة ليتأ في بها الطين ونظمتها احسن نظامة كالؤلؤ المنظم في ذلك وجعلها من الجانب الاعلى والاسفل ليتأ في بها القطع والطن وجعلها من الجانب الايمن واليسار ذريعا كلت احدي الكتفين او تمطلت او عرض لها مارض فيقتل الى الآلة الاخرى وايضا لو كان العمل على جانب واحد دائما اوشك ان يتصل ويضعف وتأمل كيف آنتها سبحانه من نفس اللحم ونخرج من خلاله نابتة كما بنيت الزرع في الارض ولم يكسها سحابة لئلا كسائر العظام سواها ذلك كساها اللحم لتمطلت المنفعة المقصودة ولما كانت العظام محتاجة الى لحم يكسوها ويحفظها ويلتقي عنها الحرارة والبرد ويحفظ عليها رطوبتها لم تكمل مصالحة الحيوان الا بهذه الكسوة ولما كانت عظام الانسان محتاجة الى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه جعلت كسوة منفصلة عنها وجعلت هي المكنتة العارضة لتنام المنفعة بذلك ولما كانت آلة القطع والكسر والطن لم تنشأ مع الطفل من اول نشأة كسائر عظامه لعدم حاجته اليها فطفت عنها وقت استغنائه عنها بالرضاع واحلها وقت حاجته اليها وفيه حكمة أخرى وهي انه لو نشأت معه من حين يولد لاضرت بحلقة الذي اذا لاحت له يحرز من عضها فكانت الام تمتنع من رضاعه ومن حبيب أمرها الاتفاق والمواالات التي بينها وبين المدة فانه يسم اليها الشيء اليابس والصلب قطعته ثم تسلط الى اللسان فيعجنه ثم يسلمه الى الحلق فيوصله الى المدة فتتخذه وتطبخه ثم يرسل اليها منه معلوما المقدر لها فاذا هبزت من قطع شيء وطعمه هبزت المدة من اقتضائه وطعمه واذا اكلت الانسان كانت المدة واذا ضعفت ضعفت وهي تصعب الانسان وتخدمه ما لم يرها فاذا وقعت عينه عليها تارقه الابدوه سلاح ومنشار وسكين وروح وزيتوق فيها منافع ومصالح غير هذه

فصل ثم تأمل حال الشعر ومنبته وسببه فان البدن لما كان حارا رطبا والحرارة اذا جلت في الرطوبة فلا بد ان تثير بخارا وتلك البخارة تتصاعد من عمق البدن الى سطحه ويزايد

الاتصال من هناك فلا بد أن يحدث مساماً متافذاً في ظاهر الجلد وتلك الابخرة اما أن تكون رطبة لطيفة فحينئذ تنفصل من المسام ولا تحدث شيئاً واما أن تكون دخانية يابسة خفيفة فالجلد حينئذ إما أن يكون في نهاية النعومة والنعارة كجلد الصبيان أو في غاية اليابس والقش أو يكون متدلاً فاذ ذاك لا يتولد فيه الشعر لان البخار اذا شق سطح الجلد وانفصل ما بالجلد في الحال الى اتصاله الاول بسبب كثرة رطوبته ونعومته مثله السمك اذا رفع رأسه من الماء انشقق له الماء فاذا ما دلى الماء ما دلى الى اتصاله الاول وكذلك فتشاهد الاشياء الرطبة كالنشاء مثلاً اذا أغلى فخرج البخار من موضع الغليان عادت الرطوبة الى الموضع الذي خرج منه ذلك البخار فسدته فان كان الجلد في غاية اليابس لم يتولد الشعر لان الجلد اليابس اذا انتقب بقيت تلك النقب مفتوحة ليس الجلد فيفرق أجزاء البخار ولا يجتمع به يعضه الى بعض فان الجلد متوسط بين النعومة والكثافة فانه ينخف فيه المسام بسبب تلك الابخرة ولا يعود يعضد بعد خروج البخار ولكن لا تبقى المسام شديدة الانفتاح حينئذ يذيق ذلك البخار الدخاني في تلك النقب لا يزال يمد بخار آخر يدفعه أولاً فاولاً الى خارج من غير ان ينقطع اصله فيبقى بعضه مركوزاً في الجلد منزله اصل النبات وبعضه يطلع الى خارج منزله منزلة مساقي النبات وكذلك هو الشعر فادته الشعر هو البخار الدخاني اليابس وسيبه هو الحرارة الطبيعية المحركة لذلك البخار والأكلة التي بها يتم امره هي المسام التي ارتكبت فيها البخار فتلبث هناك فصار شعراً باذن الله تعالى والغاية التي لاجلها وجد شيان احدهما عام وهو تنقية البدن من الفضول الدخانية الخفيفة والآخر خاص وهو اما الزينة واما هو قايمة واذا بان الشعر انما يتولد مع الحرارة واليبس المعتدل بقيت ثلاثة اقسام احدها حرارة غالبة على اليابس كالصبيان الثاني حركته وهوييس غالب على الحرارة كالشايخ الثالث حرارة ضعيفة وييس ضعيف كأبدان النساء ففي هذه الاقسام يقبل الشعر واما الشباب فان حرارة ابدانهم وييسهم معتدل فيقوى تولد الشعر فيهم وفي شعر الرأس منافع ومصالح منها وقايتة عن الحر والبرد والمرض ومنها الزينة والحسن السبب الذي صار به شعر الرأس اكثر من شعر البدن ان البخار شأنه ان يصعد من جميع البدن الى الدماغ ومن الدماغ الى فوق وكان هذا الشعر ثامياً على الدوام لان البخار يتصاعد الى الرأس ابداً وهو مادة الشعر فينبها الشعر والبخار وكان فيه تحلص للبدن من تلك المواد وتكثير لوقايتة وغطائه

فصل في ما اشتر الحاسجين فيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العين فيما ينحدر من الرأس وجعل هذا المقدار فلو نقص عنه زالت منفعة الجمال والوقاية ولوزاد عليه لنطى العين واضرب بها وحال بينها وبين ما تدركه وقد ذكرنا منفعة شعر الهدب ولما كان الانتفع والاصح ان يكون شعر الهدب قائماً منتصباً وان يكون باقياً على حال واحد في مقدار واحد جعل منبت هذا الشعر في جرم صلب شبيه بالعضروف يتد في طول الجفن ثلاثاً بطول ونحو وهذا كما تشاهد النبات الذي ينبت في الارض الرخوة الهيئة كيف يطول ويزداد والذي ينبت في الارض الصخرية الصلبة لا ينمو الاغوايسيرا فكذلك الشعر النابت في الاعضاء الهيئة الرطبة فانه سريع النمو كشمع الرأس والمائة

فصل وأما شعر العيبة فبها منافع منها الزينة والوقار والهيئة ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء من الهيئة والوقار ما يرى على ذوى العسى ومنها التمييز بين الرجال والنساء فإن قيل لو كان شعر العيبة زينة لكان النساء أولى به من الرجال لحاجتهم إلى الزينة وكان التمييز يحصل بخلو الرجال منه وكان أهل الجنة أولى به وقد ثبت أنهم جرد مردود الجواب أن النساء لما كن على الاستمتاع والتفصيل كان الأحسن والأولى خلوهن عن العسى فإن حمل الاستمتاع إذا خلا عن الشر كان أم ولهذا المعنى والله أعلم كان أهل الجنة مردوداً ليكمل استمتاع نسائهم بهم كما يكمل استمتاعهم بهن وأيضاً فإنه أكشف لحسن الوجوه فإن الشعر يستتر ما تحته من البثرة أن يمس البشرة المرأة والله أعلم بحكمته في خلقه

فصل وأما شعر العانة والأبط والأنف فنفعتها تنقية البدن من الفضلة ولهذا إذا أزيل من هذا الموضع وجد البدن خفة ونشاطاً وإذا وفر وجد ثقلًا وكسلًا وغيا ولهذا جاءت الشريعة بحلق العانة وتصف الأبط وكان حلق العانة أولى من تنفها أصلاً به الشعر وتأذى صاحبها ببنفه وكان تصف الأبط أولى من حلقه لضعف الشعر هناك وشدة وقبحه بالخلق فبيات الشريعة بالانقع في هذا وهذا

فصل وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه أخلاً للكهفين والجبهة والأخصيين من الشعر فإن الكهفين خلقا حاكين على المواصلات فلو حصل الشعر فيهما لآخذ بذلك وخلقاً لقيض والصاق اللحم على القبوض أهون على جودته من الصاق الشعر به وأيضاً فإنه ما آله الأخذ والعطاء والاكل ووجود الشعر فيهما يخل بتمام هذه النعمة وأما الأخصيان فلو ثبت الشعر فيهما لآضر ما انتهى وأما في المشى كثيراً مما يعلق شعره مما على الأرض ويتعلق شعره بما عليها أيضاً هذا مع أن أكثر الأوتار والأغشية في الكهفين مانع من نفوذ البثرة فيها وأما الأخصيين فإن البثرة تصاعد إلى طو وكل ما تصاعد كان الشعر أكثر وأيضاً في كثرة وطء الأرض بالأخصيين يصير لهما ما يحصل طبعهما أمس لا يثبت شيئاً كما أن الأرض التي توطأ كثيراً لا تثبت شيئاً وأما الجبهة فلو ثبت الشعر عليها لستر محاسنها وأغل الوجه وتدل على العين وكان يحتاج إلى حلقه دائماً ومنع العينين من كمال الإدراك والسبب المؤدى لذلك أن الذي تحت عظم الجبهة هو عظم الدماغ وهو بارد رطب والبصار لا يصير كمنعها إلى الجبهة بل تصاعد إلى فوق فإن قيل لم ثبت شعر الصبي على رأسه وحاجبيه واجفاته مع دفع الصغر دون سائر الشعور قبل لشد الحاجة إلى هذه الشعور الثلاثة أوجدها الله سبحانه معده وهو جنين في بطن أمه فإنه شعر الرأس كالغطاء الواقى له من الآفات والأهداب والاجفان وقاية للعين فإن قيل فلم ثبت له العيبة لا يبعد بلوغه قبل لأنه عند البلوغ يجتمع الحرارة في بدنه وتكون أقوى ما هي ولهذا يمرض من في مثل هذا الطور البثورات والدمل وكثرة الاحتلام وإذا كثرت الحرارة كثرت البثرة بسبب التصلل وزادت على القدر المحتاج إليه في شعر الرأس فصرفها أحكم الحساكين إلى نبات العيبة والعانة وأيضاً فإن بين أوعية المني وبين العيبة ارتباط إذا العروق والمجاري متصلة بينهما فإذا تمطلت أوعية المني ويشت فتمطل شعر العيبة وإذا قلت الرطوبة والحرارة هناك قل شعر العيبة ولهذا الأخصيان لا يثبت لهم على فإن قيل فما العلة في الكومح قبيل برد من أجه

وتقصان حرارته فان قيل لما السبب في الصلغ قيل عدم احتباس الاجثرة في موضع الصلغ
 فان قيل لم كان في مقدم الرأس دون جوانبه ومؤخره قيل لان الجزء المقدم من الرأس بسبب
 رطوبة الدماغ يكون أكثر ليونة ونحلا فتعمل الفضلات التي يكون منها الشعر فلا يبقى
 في الشعر مادة هناك فان قيل فلم يحدث في الاصداغ قيل ان الرطوبة في الاسفل أكثر منها في الاعلى
 وشاهد الارض العالية والفضضة فان قيل فلم تصلغ المرأة الا نادرا وكان الاصل في الرجال
 أكثر قيل لان الاصل يحدث من يسر في الجلدة منزلة احتراقه وذلك قوة الحرارة والنساء
 فارطوية والبرودة أغلب عليهن ولهذا جلودهن أرطب من جلود الرجال فلا ينحف جلود
 رؤسهن فلا يمرض لهن الصلغ ولهذا لا يمرض الصبيان وان مرض لمرأة صلغ فذلك في سن
 يسرها وبلوغها من الكبر هتيا فان قيل فالسبب في شدة سواد الشعر قبل شدة البضارات
 الخارجة من البدن واعتدالها وصدمة مادة كمنضرة الزرع فان قيل ما سبب الصهوبة قيل
 برد المزاج فتضعف الحرارة عن صبغ الشعر وتسد ويده فان قيل ما سبب الشقرة والحجرة
 قيل زيادة الحرارة فتصبغ الشعر ولهذا تجمد الشقرة أشد حرارة أو أكثر حركة وهمة فان قيل
 فاسبب البياض قيل البياض نوعان احدهما طبيعي وهو الشيب والثاني خارج عن الطبيعة
 وهو ما يوجد في أواخر الامراض المصفة بسبب تعطل الرطوبات كما يمرض ثلثات عند الجفاف
 فان قيل فاسبب الطبيعي قيل اختلف في ذلك فقالت طائفة سببه الاستحالة الى لون البلق
 بسبب ضعف الحرارة في ابدان الشيوخ وقالت طائفة سببه ان الغذاء العصارى الى الشعر
 يصير باردا بسبب نقصان الحرارة ويكون بطيئ الحركة فتعود الى الدم واصطلمت
 طائفة بين القولين وقالوا العلة في الامر من واحدة وسببها نقصان الحرارة فان قيل فلم اختص
 الشيب بالانسان من بين سائر الحيوان قيل لحم الانسان وجلده ورغولين وجلود الحيوانات
 ولحمها أقوى وأصلب فلما غلظت مادة الشعر فيها لم يمرض لهما من مرض لشعر الانسان
 ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الانسان وأيضا فان الانسان يستعمل
 الطعام المركبة المتنوعة وكذا المشارب ويتناول أكثر من حاجته فيجتمع فيه فضلات كثيرة
 فتدفعها الطبيعة الى ظاهر البدن فادامت الحرارة قوية فانها تقوى على احراق تلك الفضلات
 فيولد من احراقها الشعر الاسود فاذا بلغ الشيوخ ضعفت الحرارة وهزمت عن احراق
 تلك الفضلات فتعمل فيها عملا ضئيلا وأما سائر الحيوانات فلا تتناول الاغذية المركبة وتتناول
 منها على قدر الحاجة فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الانسان وأيضا فان في زمن الشيوخ
 يكون أقل حرارة أو أكثر رطوبة فيولد والحيوانات فليس غالب عليها فان قيل فلم كان سبب
 تشيب الاصداغ في الأكثر مقدما على غيره قيل لقرب هذا الموضع من مقدم الدماغ والرطوبة
 في مقدم الدماغ كثيرة لان الموضع مفصل والمفصل يجمع فيه الفضلة الكثيرة فيكثر البرد
 هناك فيمرع الشيب فان قيل فلم أسرع الشيب في شعور الخصبان والنساء فبرد مزاجهن
 في الاصل ولا يجمع الفضلات الكثيرة فيهن وأما الخصبان فتوافر المني على أبدأ فهم
 يصدروا دمهم غليظا بلغميا ولهذا لا يحدث لهم الصلغ فان قيل فلم كان شعر الابط لا يبيض
 قبل قوة حرارة هذا الموضع بسبب قرب من القلب ومنامه كثيرة بلغمية لانها تعمل

بالعرق الدائم فان قيل فلم ابطأ يساض شعر العانة قيل لان حرصكة الجماع تحلل الباتم
الذى فى مسامه فان قيل فلم كانت الحيوانات تتبدل شعورها كل سنة بخلاف الانسان
قيل لضعف شعورها عن الدوام والبقاء بخلاف شعر الآدمى فان قيل فلما يبس الجسود
والسبوطه قيل اما الجسوده من شدة الحرارة او من اتواء المسام فالذى من شدة الحرارة فانه يبرق
منه الجسوده كما يبرق الشعر عند صرعه على النار واما الذى لاتواء المسام فلان البصار
يضعفه لا يقدر ان ينفذ على الاستقامة فيلتوى فى المنافذ فحدث الجسوده فان قيل فما السبب
فى طول شعر الميت واطفاره بعد موته اذ ابقى مدة قيل عنه جوايان أحدهما انها لا تطول ولكن
لا ينقص ما حولها يعنى انها زادت الثانى وهو اصاب أن ذلك الطول من الفضلات الخارجة
التي تحلل وهلة من الميت فيجتمعهما الشعر والظفر فان قيل فلم كان المريض وخاصة المموم
ينقص لجه ويزيد شعره قيل ان فى المرض تكثر الفضلات فتكون الشهور والاطفار فيها
ويقل الغذاء فيذوب اللحم واما فى الصحة فكل الفضلات فلا تحتاج الطبيعة الى الغذاء وهضمها
واذا قلت الفضلات تغذت مادة الشعر فيبطى فان قيل فالعلة فى انتصاب شعر الخائف
والقرون حتى يبقى كشر الشعر قيل الملة فيه أن الجلد ينقبض ويتجمع المسام على الشعر
وتتضيق عليه فينتصب فان قيل فلم انتصب شعر البدن والحية والبعسان فان قيل فلم كان
كثرة الجماع تزيد فى شعر الحية والجسد ينقص من شعر الرأس والاجفان قيل لان الشعر فيه
ما يكون طبيعيا من اول الخلقة كالحية وصائر شعر البدن والاول يكون من قوة الحرارة الاصلية
والثانى من قوة الحرارة الخارجية فلا جرم نقصت بسببه الشهور الاصلية وقرت المرضية
فان قيل فلم كان الشعر فى الانسان فى الجزء المقدم اكثر منه فى المؤخر وباقى الحيوانات بالعكس
قيل لان الشعر انما يكون حيث تكون الحرارة قوية ويكون تحلل الجلد اكثر وهذا فى الانسان
فى ناحية الصدر والبطن واما جلدة الظهر فتكثف واما ذوات الاربع فى الخلف شعورها اكثر
لان البصار فيها يرقى الى الخلف وان تلك المواضع هى التي تلقى الحار والبرد فتحتاج الى وقاء اكثر
فان قيل فلم كان الرأس بالشعر احق الاعضاء ونباته اكثر قيل لان البصار يتصاعد ويطلب جهة
الفوق وهو الرأس ولا تستطاع هذا الفصل فان امر الشعر من السمات والفضلات وهذا شأنه
فما الظن بغيره من الاجزاء الاصلية فاذا كانت هذه قليلة من كثير من حكمة الرب تعالى فى الشعور
ومواضعها ومناضعها فكيف يحكمته فى الرأس والقلب والكبد والصدر وغيرها ولا تعجز
من ذلك فان الخلق فيه من النعم والحكم نظير ما فى الامر فالرب تعالى حكيم فى خلقه وامره ويجب
من يفقه عنه عند ذلك ويستدل على كمال حكمته وعلمه ولطفه وتديره فاذا كان لم
يضع هذه الفضلات سدى فاللتن بغيرها

فصل ١١ ونحن نذكر فصلا مختصرا فى حال الانسان فى مبدئه الى نهايته لنعلمه مرآة له
ينظر فيها قول خالقه وباريه وفى انفسكم افلا تبصرون لا اتقى كمال الرب تعالى جل جلاله
وقدرته التامة وعلمه المحرط ومشيتة التساغة وحكمته البالغة تنوب خلقه من المواد المتباينة
وانشأهم من الصور المختلفة والنبات العظيم بينهم فى المواد والصور والصفات والهبثات
والاشكال والطبائع والقوى اتضحت حكمته أن اخذ من الارض قبضة من التراب ثم القى عليها

الانفصارت مثل الجأ المنون ثم اوحى عليها الريح فينفقها حتى صارت صلصلا كالصهار
ثم قدر لها الاعضاء والمفاصل والارطوبات وصورها بأجبع في تصويرها واظهرها
في احسن الاشكال وفصلها احسن تفصيل مع اتصال اجزاءها وحيها كل جزء منها لما يراد
منه وقدره لما خلق له على ابلغ الوجوه ففصلها في توصلها وابدع في تصويرها وتشكيلها
واللائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها وابليس يليف بها ويقول لامر ما خلقت فلما تكمل
تصويرها وتشكيلها وتقدير اعضائها واورصالها وصار جسدا مصورا مشكلا كأنه ينطق
الا انه لا روح فيه ولا حياة وارسل اليه روحه فنفخ فيه نفثة واقليب ذلك الطين الجاودما وهظما
وهروقا وسما وبصرا وشما ولما وحركة وكلاما فأول شيء بدأ به ان قال الحمد لله رب العالمين
فقال له خالقهم وبارؤهم مصوره يرحمك الله يا آدم فامنوى جالسا اجل شيء واحسنه منظر اوانه
خلقها وابدعه صورة فقال الرب تعالى لجميع ملائكته اسجدوا لآدم فبادروا بالسجود
تطعيا وطاعة لامر الواحد المعبود ثم قال لهم لئاني هذه القبضة في التراب شرع ابدع بها
تروني وجال باطن احسن مما تبصرون فلترى بين يديه باطنه احسن من زينة ظاهره ولصعله من
اعظم آياتنا لعله اسماء كل شيء مما لا تحصىه الملائكة فكان التعليم زينة الباطن وجماله
وذلك التصوير زينة الظاهر في اكل شيء واجله صورة ومعنى كل ذلك صنفته تبارك
وتعالى في قبضة من تراب ثم اشتق منه صورة هسي مثله في الحسن والجمال ليسكن اليها
وتقر نفسه ويخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواء
فصل ١٠ ثم لما اراد الله سبحانه أن يذر تسليها في الارض ويكثره وضع فيها حرارة
الشوة ونار الشوق والطلب ألهم كلا منهما اجتماعه بصاحبه فاجتمعا على أمر قد قدر
فاجمع الآن به. ثب ما هنا كالمشاة الرب تعالى أن يخرج لنعمة هذا الانسان منه اودع جسده
حرارة واطل عليه هياتها فصارت شوة غالبة فاذا هاجت حرارة الجسد تحللت الرطوبات
من جميع اجزاء الجسد وابتدأت نازلة من خلف الدماغ في صروق خلف الاذنين الى قفا
الظهر ثم تخرج الى الكليتين ثم يجتمع في اوعية التي يمدان لطبختها نار الشوة وحدثتها حتى
صار لها قوام وغلظ وقصرتها حتى ابيضت وقدر لها مجارى وطرق تنفذ فيها ثم اقتضت
حكمته سبحانه ان قدر بمرورها أقوى الاسباب المستفرقة لها من خارج ومن داخل
فقبض لها صورة حسنة في عين الناظر وشوقه اليها وصاق أحد همالى الآخر بسلسة الشهوة
والهبة فغن كل منهما الى امتزاجه بصاحبه واختلاطه ليقضى الله أمرا كان مفعولا وجعل
هذا عمل الحرت وهذا عمل البذر وقال أيضا والقدر ليشغل كلا منه على صاحبه ليتلقى
الآن على أمر قد قدر وقدر بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة في تلك الرطوبة والفضلة
عملها واستخرجها من تحت الغمر والبشر والظفر لتوافق للنعمة الاصل ويكون الداهى
الى التماس في غاية القوة فلا ينقطع النسل ولهذا لا يجد في منى الاحتلام من القوة ما في منى
الجماع وانما هو من فضلة حرارة تذيب الرطوبة فتنفذ فيها الطبيعة الى خارج من نوع تصور
خيال بواسطة الشيطان كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة
من الله والحلم من الشيطان فان قيل فهذا اختيار منكم لقول من قال ان المنى يخرج من

يجع اجزاء البدن وهذا وان كان قد قاله كثير من الناس فقد خالفهم آخرون وزعموا انه
فضلة تولد من الطعام وهى من اعدل الفضلات ولهذا صلت ان تكون مبدأ الانسان
وهو جسم متشابه الاجزاء فى نفسه قبل القول الاول هو الصواب ويدل عليه وجوه
منها - وم الله بجميع اجزاء البدن ومنها مشكلة اعضاء المولود لاهضاء والوالدين
ومنها المشابهة الكلية يدل على ان البدن كل ارسـل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة
بحسب محل واحد فدل ان كل عضو ارسـل قسطه ونصيبه فلما انعقد وصلب ظهرت بحا كانه
ومشابهته ومنها ان الامر لو كان كازعه اصحاب المقالة الثانية من ان المني جسم واحد
متشابه فى نفسه لم تولد منه الاعضاء المختلفة المتشكلة بالاشكال المختلفة لان القوة الواحدة
لا تفعل فى المادة الواحدة الا ضلوا واحدا فدل على ان المادة فى نفسها ليست متشابهة الاجزاء
ومنها ان المني فضل الهضم الاخر وذلك انما يكون عند نضج الدم فى العروق وصورته
مستعدا استعدادا تاما لان يصير من جوهر الاعضاء وكذلك عقب استقراعه من الضعف
اكثر مما يحصل من استقراغ امثاله من الدم ولذلك يورث الضعف فى جوهر الاعضاء
الاصلية فدل على انه مركب من اجزاء كل منهما قريب الاستعداد لان يصير جزء من عضو
ولذلك سمى الله حلاله والسلالة فاعلة من السل وهو ما يسيل من البدن كالنضار والبضارة كما
سمى اصله حلاله من طين لانما استلهم من جميع الارض كما فى جامع الترمذى حديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضهما من جميع الارض قال اصحاب القول الاخر
وهم جمهور اطباء وغيرهم لو كان الامر كازعته وان المني يستل من جميع الاعضاء لكان اذا
حصل منى الذكرو منى الانثى فى الرحم تشكل المولود تشكلا معا ولو كان الرجل لا يولد الا
ذكرا دائما لان المني قد استل عندكم من جميع اجزاءه فاذا انعقد وجب ان يكون مثله وايضا فان
المرأة تضع من وطء الرجل فى البطن الواحد ذكرا وانثى ولا يمكن ان يقال ان ذلك بسبب اختلاف
اجزاء المني قالوا ولا نسلم عموم الله لانها انما حصلت حال الاندقاق بسبب سيلان تلك المادة
الحارة جارية على تلك البحارى السحبية التى لجنها رخوة شبيهة بالحم القريب العهد بالاندمال
اذا مال عليه وهى معتدل السخونة وكانت الله انما حصلت بسبب ما كن تلك المادة لحصلت
قبل الاندقاق قالوا وما احتجناكم بالتشابه المذكورين الوائد والمولود فالتشابه قد يقع الظفر
والشعر ولبس يخرج منهما شئ وايضا قالوا لود قديشه جدا يصيد من اجداده كائنه بالصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأل الله فقال ان امرأتى ولدت غلاما اسود قال هل لك من
ابل قال نعم قال فما ألوانها قال اسود قال هل فيها من اوراق قال نعم قال ما لى له ذلك قال عسى ان يكون
تزعده مرق قال وهذا عسى ان يكون تزعده مرق قالوا ولو كان فى المني من كل عضو اجزاء فلا
تخلو تلك الاجزاء اما ان تكون موضوعة فى المني وضعا الواجب او لا تكون كذلك فان
كانت موضوعة وضعا الواجب كان المني حيوانا صغيرا ولم يكن كذلك استعانة المشابهة
قالوا ايضا فان المني امان يكون مركبا على تركيب هذه الاعضاء وتربيها او لا يكون كذلك
فالاول باطل قطعاً لان المني رطوبية سيالة فلا تحفظ الموضع والترتيب وان كانت ثقيلة فحين
الثانى ولا بد قطعاً ان يحال ذلك الترتيب والتصوير والتشكيل على سبب آخر سوى القوة

التي في المادة فانها قوة بسيطة لاشعورها ولا ادراك ولا تهدي لهذه التفاصيل التي في الصورة الانسانية بل هذا التصوير والتشكيل الى خالق عليم حكيم قد عبرت حكمته العقول ودلت آثار صنفته كاسماؤه وصفاته وتوحيده قدا عترف بذلك فاضلا الاطباء وهما بقراط وافلاطونا واقربابان ذلك مستند الى حكمة الصانع وعنايته وأنه لم يصدر الا عن حكيم عليم قد برز كرم جالينوس عنهما في كتاب راي بقراط وافلاطون فابى جملة الاطباء وزنادقة المتفلسفة والطباةيين الا كفورا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث خليفة ابن ابيدان الله وكل بالرحم ملكا يقول يارب نقطة يارب حلقة يارب مضغة فالرزق فالاجل فالعمل فيقضى الله ما يشاء ويكتب الملك وفي لفظ يقول الملك الذي يخلقها اى يصورها باذن الله اى يصور خلقه في الارحام كيف شاء الله لاله الامو العزيز الحكيم فقال اصحاب القول الاول نحن احق بالتزويه والتوحيد ومعرفة حكمة الخالق العليم وقدرته وعلمه واسعد به منكم ومن احوال من سفهنا وزنادقنا هذا التخليق على القوة الصورة والاسباب الطبيعية ولم يستدعها الى فاعل مختار عالم بكل شئ قادر على كل شئ لا يكون شئ الا باذنه ومشيئته والقوة والطبيعة خلق مضر من خلقه وعبد من جملة عبيده ليس لها تصرف ولا حركة ولا فعل الا باذن ربها وخالقها فذلك الذي جهل نفسه ورجمو مادي الطبيعة والشرعة والرب تصالى يخلق ما يشاء ويختار ويصور خلقه في الارحام كيف يشاء باسباب قدرها وحكم دبرها واذا شاء ان يسلط تلك الاسباب قواها عليها واذا شاء ان يقطع سببها قطعها واذا شاء ان يهيئ لها اسبابا آخر تقاومها وتعارضها فعل فانه الفاعل لما يريد وليس في كونه المني مستلا من جميع اجزاء البدن ما يخرج الحوالة على قدرته ومشيئته وحكمته بل ذلك ابلغ في الحكمة والقدرة واما قولكم لو كان المني مستلا من جميع الاعضاء لكان الولد يتشاكل بشكاهما معا فقد اجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سألة عن ذلك بما شئى وكفى في صحيح البخارى من حديث انس رضى الله عنه قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخشع فأتاه وقال انى حالتك عن ثلاث لا يعلمن الا بنى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة ومن اى شئ يترج الولد الى ابيه ومن اى شئ يترج الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى بهن اثنا جبريل فقال عبد الله ذاك عدوا ليهود من الملائكة اما اشراط الساعة فنار تحترق الناس من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبق ماؤه كان الشبه لها فقال اشهدنا ذلك رسول الله فهذا جواب جبريل امين رب العالمين لاجبيل الطيب وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا علا ماء الرجل ماء المرأة اذكر باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء الرجل انت باذن الله وقد يتفق المآل في الاتزال والقدرة وذلك من اندر الاشياء فيخلق لولده ذكر كذا ذكر الرجل وفرج كفرج المرأة فاذا شاء الله ان يسلط سلاله ماء الرجل على ماء المرأة او سلالتها على سلالته امر ملك الارحام بتصويره كذلك فان ذلك لا يخل بحكمته ولا يخرق عادة ولو خرقها لم يخل بحكمة احكم الحاكمين واما منكم قوم الذة فشيبة بالكبرة والجسام

يحدث عند الاتزال شيئا قد اصل من جميع يده ومعه وبصره وقواه في قالب ارحم فيص كما نه
خارج قيص كما نه مشكل به ولهذا اقتضت حكمه الرب تعالى في جرحه وقدره ان امره
بالاعتقال عقيب ذلك ليخلف عليه الماء ما تحلل من بدنه من ماء واذا اغتسل وجد نشا طاقوة
وكأنه لم ينقص منه شيء فان رطوبة الماء تخلف على البدن ما حلقته تلك الحركة من رطوبته
وتعمل فيها الحرارة الاصلية عليها فتقربها القوي التي ضعفت بالاتزال وما التشابه الواقع بين
الظفر والشعر في الود واللولود ولم يفصل بينهما شيء فإلّا ردها من شبهه فان الظفر والشعر
ناهيان للاعضاء والزواج الذي وقع فيه التشابه فاستبشع تشابه الاصل تشابه التبع واما شبه
اللولود بالجد بالجد من اجداده فهو من اقوى الادلة لنا في المسئلة لان ذلك الشبه البعيد
لم يزل يعمل في الاصلاب حتى انصرف في صورة الولد وبها حصل الشبه واما قولكم ان تلك
الاجزاء لا تخلو اما ان تكون موضوعة في المني وضعها الواجب او الى آخره فجاوبكم انكم
ان عيتم انها موضوعة بالفعل فليس كذلك وان اردتم انها موضوعة بالقوة فتم وما المانع منه
ويكون المني حيوانا صغيرا بل كبيرا بالقوة وبهذا ظهر الجواب عن قولكم ان المني رطوبة
حيالة لا تخفف الموضع والتزييب وغاية ما يقدر ان ذلك جزء من اجزاء السبب الذي يخلق
الله به الولد وجزء السبب لا يستقل بالحكم فاستقل بالايضاح مشيئة الله وحده والاسباب
فحال الظهور اقر الشبه

فصل فان قيل فهذا تصرع منكم بأن المرأة لم يخلق الله بها من اجل ان
يخلق الله منها الولد وقد علمنا من الاطباء ان المرأة لا يخلق الله بها من اجل ان
أوردته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم سلمة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم وأجابهما عنه ثابت بن المنذر في المرأة في الصحيح ان أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
ان الله لا ينسئ من الخلق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فغالت
أم سلمة أو تحلم المرأة فغالت رأت بدالكيم يشبهها ولدها وفيما عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة
رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها
من غسل قال نعم اذا رأت الماء قالت فقلت لها ان ترى المرأة ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهل يكون الشبه الا من ذلك اذا صلا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله واذا صلا ماء
الرجل ماؤها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنج على راسها ليس حيث قال
ان المرأة لا يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان
الرجل ماؤها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنج على راسها ليس حيث قال
ان المرأة لا يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان
الرجل ماؤها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنج على راسها ليس حيث قال
ان المرأة لا يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان يخلق الله بها من اجل ان
الرجل ماؤها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنج على راسها ليس حيث قال

(١) هكذا بالاصلا
غير ظاهر للبره

توبان مولاه حيث سألهم اليهود عن الولد فقالوا له الرجل أبيض وما المرأة أصفر فإذا اجتمعا
فملا من الرجل من المرأة اذكر يا ذن الله واذا علا من المرأة من الرجل أنت يا ذن الله نعم لني
الرجل خاصة القلظ والياض والخروج بدفق ودفع كأن أود من نبي من المرأة انتفاء ذلك
عنها أصاب ومن المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلاق فيردفع كأن نبي ذلك عنها اخطأ
وفي كل من المائتين قوة فإذا انضم أحدهما إلى الآخر اكتسبت قوة ثالثة وهي من أسباب
تكون الجنين واتخذت حكمه الخلاق الطبع سبحانه أن جعل داخل الرحم خشنا كالسفننج
وجعل فيه طيبا لئلا يئس قلبه الأرض الشديدة العطش لئلا يئس قلبه وقبوله الله فيه
طالبا حافظا مشتاقا لله بالعطش فلذلك إذا غفريه أمه ولم يعنيه بل يشغل عليه أتم الاشتغال
وينضم أعظم انضمام ثلاثه الهوى فيتولى القوة والحرارة التي هناك باذن الله ملكت الرحم
إذا اشتمل على المني ولم يذف فيه إلى خارج استدار المني على نفسه وصار كالكرة وأخذ في الشدة
إلى تمام ستة أيام فإذا اشتد نقط فيه نقطة في الوسط وهو موضع القلب ونقطة في أعلاه وهي نقطة
الدماغ واليمين وهي نقطة الكبد ثم يتأخر ذلك النقط ويظهر بينهما خطوط حمر إلى تمام ثلاثة
أيام آخر ثم تنفذ الدموية في الجميع بعد ستة أيام آخر فيصير ذلك خمسة عشر يوما ويصير المجموع
سبعة وعشرين يوما ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن عن الجنين
وذلك في تسعة أيام قصير ستة وثلاثين يوما ثم يتم هذا التجميع يظهر الحس ظهورا
ينافي تمام أربعة أيام فيصير المجموع أربعين يوما بجميع خلقه وهذا مطابق لقول النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما واكتفى
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاحتمال من التفصيل وهذا يقتضي الدم فجمع فيها خلقها جميعا خفيا
وذلك الخلق في ظهور خفي على التدريج ثم يكون مضطربا أربعين يوما أخرى وذلك الخلق
يتزايد شيئا فشيئا إلى أن يظهر الحس ظهورا لا يخفاه كله والروح لم تعلق به بعد فانها انما تعلق
به في الأربعين الرابعة بعد المائة وعشرين كما أخبر به الصادق وذلك مما لا سبيل إلى معرفته
إلا بالوحى إذ ليس في الطبيعة ما يقتضيه فلذلك حار فضلاء الأطباء وأذكاء الفلاسفة في ذلك
وقالوا إن هذا مما لا سبيل إلى معرفته إلا بحسب الظن البعيد قال وقف على فهايات كلامهم في ذلك
وآداب فيه حتى كل وهو صاحب الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال وحقيقة
العلم فيه عند الله تعالى لا مطمع لاحد من الخلق الوقوف عليه قل قد أوقفنا عليه الصادق
المصدق الذي لا ينطق عن الهوى بما ثبت في الصحيحين أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين
يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضطربا مثل ذلك ثم يعث إليه الملك فينخس فيه الروح
ويؤمر بأربع يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد

فصل في ورأيت لبعض الأطباء كلاما ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره
وذكر ما فيه قال إذا تم خلق الجنين مدة معينة فأنها إذا زاد عليها مثلها تحرك الجنين فإذا
انضاف إلى المجموع مثله انفصل الجنين قال فإذا تم خلقه في ثلاثين يوما فإذا صار له ستون
يوما تحرك فإذا انضاف إلى الستين مثله صارت مائة وعشرين يوما وهي متفاديه وهي مدة
ينفصل لها الحمل وإذا تم خلقه في خمسة وثلاثين يوما تحرك لسبعين وانفصل لسبعة أشهر وإذا

ثم خلقه لاربعم تحرك لثمانين واتفضل لثمانية اشهر واذا تم تحسذ واربعين تحرك تسعين
واتفضل تسعة اشهر وعلى هذا الحساب أبدا وهذا الذي ذكره هذا القائل يقتضى حركة
الجنين قبل الاربعين وهذا خطأ قطعاً فان الروح إنما تتعلق به بعد الاربعين الثالثة وحينئذ
يتمحرك فلا تثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوماً وما يقدر من حركة قبل ذلك فليست
حركة ذاتية اختيارية بل لعلها حركة عارضة بسبب الاغشية والرطوبات وما ذكره من
الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة فربما زاد على ذلك أو نقص منه ولكن الذي
نقطع به أن الروح لا تتعلق به الا بعد الاربعين الثالث وما يقدر من حركة قبل ذلك
ان سمعت لم تكن بسبب الروح والله أعلم

فصل في واما أقل مدة الحمل فقد تظاهرت الشريعة والطبيعة على أنها ستة اشهر قال
تعالى وحمله وفضله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين
لمن أراد أن يرضع المرأة وقال جالينوس كنت شديد التحصن عن مقادير أزمانه الحمل لرأيت
امراة واحدة ولدت في مائة واربع وعشرين ليلة وزعم صاحب الشفاء أنه شاهد ذلك واما
أكثره فقال في الشفاء بلغني من حيث وثقت أن امرأة وضعت بعد الرابع من رأس
الحمل ولدا قد نبت انسانه وطاش

فصل في فان قيل فاسبب الاذكار والابنات قبل الذي نخناره أنه سببه مشيئة الرب
الفاصل باختياريه وليس بسبب طبيعي وكل ما ذكر أصحاب الطائعات من الاسباب فستنقص مثل
حرارة الرجل ورطوبته قالوا ففساد المزاج ايضا يوجب ابلاذ الاث واستقامته بوجب
الاذكار هذا الخطيئ وهذا بيان فليس لالاذكار والابنات الا قول الله ملك الارحام وقد
استأذن يارب ذكرك يارب أنبي يارب شقي أم سعيد فانه الرزق فما الاجل والاذكار والابنات
قرب السعادة والشقاوة والرزق والاجل فان قيل فكلت ايضا بأسباب قلنا نعم ولكن بأسباب
بعد الولادة ولا سبب للاذكار والابنات قبل الولادة فان قيل فالتصنعون بحديث ثوبان
الذي رواه مسلم في صحيحه أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الولد فقال ما
الرجل ايضاً وما المرأة اصفر فاذا اجتمعافلا منى الرجل منى المرأة اذكر باذن الله واذا هلا
منى المرأة منى الرجل أنث باذن الله فقال اليهودي صدقت وانك انبي قبل هذا الحديث تقدم
به مسلم في صحيحه وقد تكلم فيه بعضهم وقال الظاهر ان الحديث وهم فيه بعض الرواة وانما
كان السؤال عن الشبه وهو الذي سأله عبدالله بن سلام في الحديث المتفق على صحته
فأجاب به سبق النساء فان الشبه يكون لسايق فعمل بعض الرواة انقلاب عليه شبه الوالد
بالمرأة بكونه أنثى وشبهه بالولد لكونه لاسما والشبه التام انما هو بذلك وقالت طائفة الحديث
صحيح لا مطعن في سند ولا منافية بينه وبين حديث عبدالله بن سلام وليست الواقعة
واحدة بل هما قضيتان ورواية كل منهما خير ورواية الاخرى وفي حديث ثوبان قصته
ضبطت وحفظت قال ثوبان كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدا حبر من
احبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعت دفتة كاد يصير منها فقال لي لم تدفعني فقلت
الا تقول يا رسول الله فقال اليهودي انما تدعوه باسمه الذي سماه به أمه فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان امي محمدا الذي سماني به اهل فقال اليهودي جئت اسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتنك شيء ان حدثك قال اسمع يا ذئب فكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعددعه فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسعوات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلّة دون الجسر قال فمن اول الناس اجازة قال قراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حتى يدخلوا الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فذاؤهم على ارحاقل يضر لهم ثور الجنة الذي يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها سمى مسبلا قال صدقت قال وجئت اسألك عن شيء لا يبلغه احد الا نبي او رجل اورجلان قال ايتنك ان حدثك قال اسمع يا ذئب قال جئت اسألك عن الولد قال ما الرجل ابيض وما المرأة اسفر فاذا اجتمعا فعلامني الرجل مني المرأة ذكر باذن الله واذا علاني المرأة مني الرجل انت باذن الله قال اليهودي لقد صدقت وانت لني ثم انصرف فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا الذي سألني عنه وما لي علم به حتى أتاني به الله واما حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال اني سائلك عن ثلاث لا يطلعن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن أي شيء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني آتيا جبريل فقال عبد الله ذلك عند اليهود من الملائكة فقال اما اول اشراط الساعة فانه عسر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فصبغها ماؤه كان الشبه واذ اسبغت كان الشبه لها قال اشهد أنت رسول الله وذكر الحديث فتضمن الحديثان أمرين ترتب عليهما الاثران معا والجمعا انفراد ترتب عليه اثره فاذا سبق ماء الرجل وعلا ذكر وكان الشبه وان سبق ماء المرأة وعلا ذكر وكان الشبه لها وان سبق ماء المرأة وعلاها الرجل اذ كروا كان الشبه لها ومع هذا كله فهذا جزء سبب ليس بوجوب والسبب الموجب مشيئة الله قال فقد بسبب شبه السبب وقد ترتب على ضد مقتضاه ولا يكون في ذلك مخالفة لحكمته كما لا يكون تغيير القدرة وقد اشار في الحديث الى هذا بقوله اذكروا ان الله قد قال تعالى فملك السموات والارض يخلق ما يشاء يعبد الله يشاء الا ان يعبد الله يشاء الذي كور او يزوجه ذكرنا وانا وانما يحصل من يشاء حقا انه علم قدير ما خير سبحانه ان ذلك حاد الى مشيئته وانه قد يعبد الله كور قط والانات فقط وقد يجمع لوالدين بين النوعين معا وقد يخلعها معهما معا وان ذلك كما هو واجب الى مشيئته فهو متعلق بعلمه وقدرته وقد وهب الله آدم الذكور والانات واسرائيل الذكور دون الاناث ومحمد الاناث دون الذكور سوى ولده ابراهيم (٢) وقال سليمان عليه السلام لا طوفن الاية على سبعين امرأة تأتي كل امرأة منهم بفلام يتاقل في سبيل الله فضاف عليهن فلم تظمنهن الا امرأه او واحدة جاءت بشق ولد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجعون قتل على أن يجرد الوطء ليس بسبب تام وكان له مدخل في السبية وان السبب التام

له سوى فيه الذكور
سا القلم وعبد الله
طيب و ابراهيم

مشيئة الله وحده فهو رب الاسباب المتصرف فيها كيف شاء باعطائها السببية اذا شاء ومنعها ايها اذا شاء وترتيب خلد مقتضاها عليها اذا شاء والاسباب هي بحسب ارى الشرع والقدر عليها يجرى امر الله الكوني والديني فان قيل فقد ظهر ان الولد مخلوق من الدتين جعيا قول يخلق منها على حد سواء ام يكون بعض الولد من ماء الاب وبعضه من ماء الام قيل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسئلة بوضع البيان فقال الامام احمد في مسنده حدثنا حسين بن الحسن حدثنا ابو كريب عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله قال مر بهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث اصحابه فقالت قريش يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لا سألته عن شيء لا يعلمه الا نبي فبساء حتى جلس ثم قال يا محمد يخلق الانسان فقال من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فتطفة غليظة منها الصلح والصلب واما نطفة المرأة فتطفة رقيقة منها اللحم والدم فقام اليهودي فقال هكذا يقول من قبلك

فصل في ما قيل قد ذكرتم ان تعلق الروح بالجنين ثلثا يكون بعد الاربعين الثالثة وان خلق الجنين يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون حلقه مثل ذلك ثم يكون مضغفة مثل ذلك ويتم ان كلام الاطباء لا يناسب ما خرج به الوحي من ذلك فالتصنعون بحديث حذيفة بن اسيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك في النطفة بعدما تستقر في الرحم اربعين اوحس اربعين ليلة فيقول اربى ام سقي ام سقي فيكتب فيها ولا ينقص قبل ثلثاء بالقول والتصديق وترك الشريف ولا يناسب ما ذكرناه ادغاية ما فيه ان التقدير وقع بعد الاربعين الاولى وحديث ابن مسعود يدل على انه وقع بعد الاربعين الثالثة وكلامه حق قاله هذا تقدير بعد تقدير فالاول تقدير عند انتقال النطفة الى اول الطوار الخلق التي هي اول مراتب الانسان وما قبل ذلك فليس يتعلق بها الخلق والتقدير الثاني تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح فذلك تقدير عند اول خلقه وتصوره وهذا هو تقدير عند تمام خلقه وتصوره وهذا احسن من جواب من قال ان المراد بهذه الاربعين التي في حديث حذيفة الاربعين الثالثة وهذا بعيد جدا من لفظ الحديث ولنظنه بآية كل الاية فتأمل فان قيل فالتصنعون بحديثه الآخر الذي في صحيح مسلم عن عامر بن واثلة انه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من وعظ بغيره فاني رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله حذيفة بن اسيد الغفاري فسدتم بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير علم فقال له الرجل العجب من ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثلثان واربعون ليلة يبعث الله اليها ملكا فنصورها وخلق سمها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام انثى فيقبض عليك ما يشاء ويكتب الملك بالصبيفة في يده فلا يزيد على امره ولا ينقص وفي لفظ آخر في الصحيح ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياذن هاتين يقول ان النطفة تنقسم في الرحم اربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها فيقول يارب اذكر ام انثى اسوي ام غير اسوي فقصه

الله سوا الوحي سوى ثم يقول يارب مارزقه وما جله وما خلقه ثم يجعله الله عز وجل شقيا أو سعيدا
وفي لفظ آخر في الصحيح ايضا ان ملكا موكلا بالرحم اذا اراد الله ان يخلق شيئا باذن الله يبعث
واربعين ليلة ثم ذكر نحوه قيل تلقاه ايضا بالتصديق والقبول وترك التعريف وهذا وافق ما جمع
عليه الاطباء ان مبدأ الخلق والتصوير بعد الاربعين فان قيل فكيف التوفيق بين هذين
حديث ابن مسعود وهو صريح في ان الطلقة اربعين يوما فطرفة اربعين حلقة ثم اربعين مصففة
ومطلوم ان العلقه والمصففة لا صورة فيها ولا جلد ولا لحم ولا عظم وليس بنا حاجة الى التوفيق
بين حديثه هذان بين قول الاطباء فان قول النبي صلى الله عليه وسلم لم مصصوم وقولهم عرضة الخطأ
ولكن الحاجة الى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم قبل لائنا في بين الحديثين
بحمد الله وكلاهما خارج من مكانة صادقة مصصومة وقد عثر طائفة ان التصوير في حديث
حذيفة انما هو بعد الاربعين الثالثة قالوا او اكثر ما فيه التعقيب بالغاء وتعقيب كل شيء بحسبه
وقد قال تعالى ألم تر ان الله ازل من السمااء فتصعب الارض مخضرة بل قد قال تعالى فخلقنا
الطرفة حلقة فخلقنا العلقه مصففة فخلقنا المصففة مطاوعا فكسونا المطام لحما وهذا تعقيب
بحسب ما يصلح له المصل ولا يلزم ان يكون الثاني عقب الاول وتعقيب اتصال وغنت طائفة
أخرى ان التصوير والخلق الذي في حديث حذيفة وهو في التقدير والعلم والذي في حديث
ابن مسعود وهو في الوجود الخارجي والصواب يدل على الحد ما دل عليه الحديث من
ان ذلك في الاربعين الثانية ولكن هنا تصوير ان احدهما تصوير خفي لا يظهر السر وهو تصوير
تقديري كالتصور ممن تفصل التواب أو تضرع الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها
ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لاسماء مثل هذه الصورة
ينشأ فيها التصوير والخلق على التدرج شيئا بعد شيء لاوهلة واحدة كما يشاهد بالعين في
خلق الطائر في البيض فنهنا اربع مراتب احدها تصوير وتخلق على لم يخرج الى الخارج
الثانية مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن ادراكه الثالثة تصوير بئله الحس ولكنه لم يتم
بعد الرابعة تمام التصوير الذي ليس بعده الا تمخ الروح فالمرتبة الاولى حلية والثلاث الاخرى
خارجية هيئة وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير غالب تعالى قدر
مقادير الخلق تقديرا ما قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وهنا كتب
السعادة والشقاوة والاحمال والارزاق والآجال الثاني تقدير بعده وهو اخص منه
وهو التقدير الواقع عند القبض حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بعينه وقال هؤلاء
الجنة ويعمل اهل الجنة يعملون ويقبض اهل الشقاوة باليد الاخرى وقال هؤلاء النار ويعمل
اهل النار يعملون الثالث تقدير بعده وهذا هو اخص منه عند ما مضى به في حديث حذيفة بن
اسيد المذكور الرابع تقدير آخر بعده وهذا هو عند ما بين خلقه ونشأ فيه الروح كما صرح به
الذي قبله وهذا يدل على سعة عمل الرب تبارك وتعالى واحاطة بالكلية والجزئيات وكذلك
التصوير الثاني مطابق لتصوير الهللي والثالث مطابق لثاني والاربع مطابق لثالث وهذا
بما يدل على كمال قدرة الرب تعالى ومطابقة مقدور المعلومه فبارك الله رب العالمين وأحسن
الخالقين ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل الخلقات ثم كتابة ما يكون من العام الى العام

فيلة القدر وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها ونوع وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق بمضنه بعضا ويضربضه بعضا ويوافق الواحـح في الوجود ولا يخالفه وانما يخبر بما لا يستقل الحس والعقل بأدراكه لا بما يخالف الحس والعقل وانما يخبر به الناس ويستقلون بأدراكه على أمر عيني يتعلق به الايمان أو على حكم شرعي يتعلق به التكليف والله أعلم

فصل في أن قيل أي عضو يخلف أو لا قبل سائر الاعضاء قبل اختلاف في ذلك على أربعة اقوال أحدها أنه القلب وهو قول الأكثرين والثاني أنه الدماغ والعيان وهو قول بشرائط والثالث الكبد وهو قول محمد بن زكريا والرابع أنه السرة وهو قول جماعة من الأطباء قال أصحاب القلب لا شك أن في المني قوة روحية بسبب تلك القوة بعد أن يكون إنسانا وحاجته إلى الروح الذي هو مادة القوى أشد فلا بد أن يكون لذلك الروح فبمفع خاص منه ينبعث إلى سائر الاعضاء فليظهر الروحى أول شيء ينهر من المني ويجتمع في موضع واحد ويحيط به ما يتصل إليه ذلك الجوهر الروحى من جميع الجوانب فيجب أن يكون مجتمعا هو الوسط سائر الأجزاء يحيط به وذلك الكبد هو القلب قالوا ولأن تمام البدن موقوف على الحرارة المركزية الذي بها البدن لا بد أن يتقدم على العضو الذي منع القوة الفاذية التي بها تنمو وهو الكبد قالوا ولأن فعال القوى انما تتم بالروح وهي لا بد لها من متعلق تطبق به ولا بد أن يتقدم متعلقها عليها وهو القلب قالوا وهذا هو الأكثري والآنسب بحكمة الرب تعالى فإن القلب ملك والاعضاء جنوده وحدهم فإذا صلح القلب صلحت جنوده وإذا فسدت فسدت وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إلى ما يرشد إلى ذلك فقال إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب فأولى بهذه المضغة أن تكون متقدمة في وجودها على سائر الاعضاء وسائر أفعالها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد قالوا وقد شاهد أصحاب التشريح في المني عند انقضاء نطفة في وسطه قال أصحاب الدماغ شاهدنا الفراخ في البيض أول ما يتكون منها رأسها وسنفاة في بروز الجنين أول ما يبدو منه إلى الوجود رأسه قال أصحاب الكبد لما كان المني محتاجا إلى قوة فاذية تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن أن تكون الاعضاء فيه كان أول الاعضاء واسبقها إليه وهو محل القوة الفاذية وهو الكبد قال أصحاب السرة حاجة الجنين إلى جذب الغذاء أشد من حاجته إلى الاقوات وأدراكه ومن السرة يجذب الغذاء وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو بيت القلب ومنزته وشرفه ومجمله الذي وضعه الله به يقتضى أنه المبدؤه به قبل سائر الاعضاء تقدم عليها بالوجود والله أعلم

فصل في أن قيل الجنين قبل نزع الروح فيه هل كان فيه حركة واحساس أم لا قيل كان فيه حركة النفس والنمو والاختذاء كالنبات ولم يكن له حركة غنوه واختدائه والارادة فلما لم تكن فيه الروح انضمت حركة حسبه وارادته إلى حركة غنوه واختدائه فان قيل قدمت ان الولد ينطق من ماء الإبرن فهل يغازجان ويختطان حتى يصيرا ماء واحدا أو يكون أحدهما هو المادة والآخر بمنزلة النفس التي تقدمه قبل هو موضع اختلاف فيه أرباب الطبيعة وقالت طائفة منهم منى الأب لا يكون جزءا من الجنين وانما هو مادة الروح السارى في الاعضاء وأجزاء البدن كلها من منى الأم ومنهم من قال بل هو يتقدم من

منى الاثنى ثم فصل ويفسد قالوا ولهذا كان الولد جزءاً من أمه ولهذا جاءت الشريعة بتبعيته
له في الحرية والرق قالوا ولهذا لو ترقى فصل رجل عجلة آخر ما ولدها قالوا لذلك
الام دون ما لك الفصل لانه تكون من اجزائها واحشائها ولهاودمها وما الاب بمنزلة الماء
الذى يبقى الارض قالوا والحس يشهد ان الاجزاء التى فى المولود من أمه اضعاف اضعاف
الاجزاء التى فيه من أبيه مثبت ان تكوينه من منى الام ودم الطمث ومنى الاب فاعده
كالاخصه ونزاعهم الجمهور وقالوا انه يتكون من منى الرجل والاثنى ثم لهم قولان
أحدهما ان يكون من منى الذكر اعضاء واجزؤه ومن منى الاثنى صورته والاثنى ان
الاعضاء والاجزاء والصورة تكونت من مجموع المائتين وانهما امتزجا واختلطتا وصارا
ماء واحداً وهذا هو الصواب لاننا نجد الصورة والتشكيل نارة الى الاب ونارة الى الام
والله اعلم وقد دل على هذا قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى والاصل
هو الذر فانه البذر ومنه السقى والاثنى وما ومستودع لولده تربيته فى بطنها كما تربيته فى
جرحها ولهذا كان الولد للاب حكماً ونسباً وأما تبعيته للام فى الحرية والرق فلانه انما يتكون
وصارولداً فى بطنها وخذه لبانها مع الجزء الذى فيه منها وكان الاب أحق بنسبه وتخصيه
لانما أصله ومادته ونسخته وكان اثرهما ديناً أولى بتغليظ الدين الله وشريعته فان قيل
فهلا طردم هذا وقلم لوسطه بذر رجل فى ارض آخر ويكون الزرع لصاحب الارض دون
مالك البذر قبل الفرق بينهما ان البذر مال متقوم فى ارض آخر فهو لمالكه وعليه اجرة
الارض أو هو بينهما بخلاف المنى فانه ليس به والله وهذا هو الشارع من المعاضدة واتفق
الفقهاء على ان الفصل لو تزاحم ومكة لكان الولد لصاحب الرمكة

فصل فى ان قيل فهل يتكون الجنين من مائتين وواشرين قبل هذه مسألة شرعية
كوتبة والنسب فيها تابع لتكوين وقد اختلف فيها شرعاً وقد اختلفت طائفة وآراءه
كل الآباء وقالت الماء اذا استقر فى الرحم اشغل عليه وانضم غايبة الانضمام بحيث لا يبقى فيه
مقدار رسم رأس امرة والا فسد فلا يمكن افتتاحه بعد ذلك ماء كان لامن الواطى ولا من غيره
قالوا بهذا اجرى الله العادة ان الولد لا يكون الا لاب واحداً كما لا تكون الام الا واحدة وهذا هو
مذهب الشافعى وقالت طائفة قبل يتخلق من ماء ما كثر قالوا وانضمام الرحم واشتغاله على الماء
لا يمنع قبوله الماء الثانى فان الرحم اشغى شئ واقبله لم يلق قالوا ومثال ذلك كثال المدة فان
الطعام اذا استقر فيها انضمت عليه غايبة الانضمام فاذا ورد عليها طعام فوعد انضمت له لشوقها
اليه قالوا وقد شهد بهذا القائلان بين يدي امير المؤمنين جبرين الخطاب رضى الله عنه
فى تعداد ما اثنان فخطرا بهما واليه وقال ما اراهما الا اشتراكا فيه فوافقته جبر وألحقه بهما
ووافقته على ذلك الامام احمد ومالك رضى الله عنهما قالوا والحس يشهد بذلك كما ترى فى
جرو الكلبة والسنور فانى بها مختلفة الالوان لتعدد آبائهما وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليزرع غيره يريدوط الحامل من غيره
الواطن قال الامام احمد الوطى يزيد فى سمع الولد وبصره هذا بعد انعقاده وعلى هذا مسألة
فقهاء وهى لو احبل غيره شكاخ أو نى ثم ملكها هل تصير أم ولد فيها أربعة اقوال

وهي روايات عن الامام أحمد احدى احوال تصيرام ولد لانها لم تعلق با لولد في ملكه
والثاني تصيرام ولد لانها وضعت في ملكه والثالث ان وضعت في ملكه صارت ام ولد
وان وضعت قبل ان يملكها لم تصير لان الوضع والا حبال كان في غير ملكه والرابع ان
وطئها بعد ان ملكها صارت ام ولد والا فلا لان الوطء يزيد في خلقه الولد كما قال الامام
أحمد الوطء يزيد في سمع الولد وبصره وهذا ارجح الاقوال وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه مر على امرأة تنحج على باب فسطاط فقال لعن سيدا ربان يل بها لقد هممت ان العنه
لعنة تدخل معه في قبره كيف يورثه وهو لا يحل له والمهج الحامل المقرب وقوله كيف يورثه
اي يحصل له تركه موروثه عنه لانه عبده ولا يحل له ذلك لانه قد صار فيه جزء من اجزائه
بوطئه وكيف يجعله عبده ولا يحل له لذلك فهذا دليل على ان وطء الحامل اذ وطئت كثيرا
جاء الولد صليلا مثلنا واذا هجر ووطئها جاء الولد منيلا ضعيفا هذه اسرار شرعية موافقة للاسرار
الطبيعية مبينة عليها والله اعلم بان قيل قول يمكن ان يخلق من الماء ولدان في بطن واحد
قيل هذه مسألة التوام وهو ممكن بل وقع له اسباب احدثها كثرة المني فقبض الى بطن
الرحم دفعات والرحم يمرض له عند الحركة الجارية للمني حرركات اختلافا مختلفة
فربما اتفق ان كان الجاذب قد دفعه الاولى من المني احد جانبيه ولثانية الجانب الآخر
ومنهما ان بيت الاولاد في الرحم فيه تماثيل فيكون المني كثيرا فيغفل عن احدها فضلة
يشتمل عليها البويض الثاني وهكذا الثالث قال ارسطو وقد يمشي للمرأة خمسة اولاد
في بطن واحد وحكي عن امرأة انها وضعت في اربع بطون عشرين ولدا قال صاحب
الساكن سمعت يجران ان امرأة امقطت كيبا فيه سبعون صورة صغيرة جدا قال
ارسطو واذا توأمت بذكريا واتى فقل مائس الوالدة والموالود اذا توأمت بذكريا واتى
فقل كثيرا قال والمرأة قد تحبل على الحمل ولكن يهلك الاول في الاكثر فقد
امقطت امرأة واحدة اثني عشر جنينا جللا على حمل واما اذا كان الحمل واحدا او بعد
وضع الاول فقد يمشي اثنان والله اعلم فان قيل لما السبب المانع للحاصل من الحيض غالبا
قال الامام أحمد وابو حنيفة انما تراه من الدم يكون دم فساد لا حيض والشا فحى
وان قال انه دم حيض وهو احدى الروايتين عن عائشة فلا ريب انه نادر بالاضافة الى
الاخاف قيل دم الطمث ينقسم ثلاثة اقسام قسم ينصرف الى غذاء الجنين وقسم يصعد الى البدن
وقسم يحبس الى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفس وربما كانت مادة الدم
قوية وهو كثير فيخرج بعضه قوته وكثره والراجح من الدليل انه حيض حكمه حكمه
اذ ليس هناك دليل عقل ولا شرعي يمنع من كونه حيضا واعتفاء الأدلة من الجنين فقد
ذكرناه في مواضع اخر والله اعلم فان قيل لما السبب في ان النساء الحبال يشتقن في الشهر
الثاني والثالث الى تناول الاشياء الغريبة التي لا يمتد بها طبسا حين قيل ان دم الطمث لما
احتبس فيه من بحكمة قدرها الله وهي ان صرفه غذاء لولد مقدار ما يحتاج اليه يسيرا
فتدفعه الطبيعة الصحيحة الى ثم المعدة فيحدث لهن شهوة في تناول الاشياء الغريبة فان قيل
فكيف وضع الجنين في بطن أمه قائما او قاعدا او مضطجعا قيل هو معتمد بوجهه على رجله

وبراحته على ركبته ورجلاه مضومة الى قدميه ووجهه الى ظهره وهذا من العناية
الالهية ان اجلسه هذه الجلسة في المكان الضيق في الرحم على هذا الشكل وايضا فلو كان
رأسه الى أسفل لوقع ثقل الاعضاء الخسيسة على الاعضاء الشريفة وأدى ذلك الى تلفه
ولانه عند محاولة الخروج اذا انقلب أعانته على الخروج فانه اذا خرج أول ما يخرج منه
رأسه لان الرأس اذا خرج أولا كان خروج سائر الاعضاء بعده سهلا ولو خرج على غير
هذا الوجه اسكن فيه تمويقي وعسر فان الرجلين لو خرجت أولا انصاق خروج الباقي
فانه ان خرجت الرجل الواحدة أولا انصاق عند الثانية وان خرجت معا انصاق عند اليمين
وان خرجت الرجلان واليدان انصاق عند الرأس فكان يلتوى الى خلف وتلتوى السرة
الى العنق فيألم الرحم ويصعب الخروج ويؤدي الى مرضه أو تلفه فان قيل غاصب الاجهاش
الذي يسمونه الطرح قبل كمال الولد قيل الجنين في البطن بمنزلة الثمرة في الشجرة وكل منهما
له اتصال قوي بالأم ولهذا يضغط قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة ونحتاج الى قوة فاذا
بلغت الثمرة نهايتها هل قطعها وربما سقطت بنفسها وذلك لان تلك الرباطات والعروق
التي تغذيها من الشجرة كانت في غاية القوة والغذاء آخر رجوع ذلك الغذاء الى تلك الشجرة
فضعفت تلك الرباطات والمجاري وساعدتها ثقل الثمرة فسهل أخذها وكذلك الامر في الجنين
فانه مادام في البطن قبل كماله واستحكمه فان ربوطه وأغشيته تكون مانعة من السقوط
فاذا تم وكل ضعفت تلك الرباطات وانتهكت الأغشية واجتمعت تلك الرباطات الزلّة
فسقط الجنين هذا الامر الطبيعي الجساري على استقامة الطبيعة وسلامتها وأما السقوط
قبل ذلك فلفساد في الجنين وفساد في طبيعة الأم أو ضعف الطبيعة كما نمتط الثمرة قبل
ادراكها لفساد يعرض أو لضعف الاصل أو لفساد يعرض من خارج فأسقط الجنين السبب
من هذه الاسباب الثلاثة فآفات التي تصيب الاجنة بمنزلة الآفات التي تصيب الثمار
فان قبل فكيف الرحم مع ضيقه يخرج منه ما هو أكبر منه بأضفاف مضاعفة قبل هذا
من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيئته فان الرحم لابد أن ينفتح
الافتتاح العظيم جدا قال غير واحد من العقلاء ولابد من انفصال يعرض له فواصل العظيمة
ثم تلتئم بسرعة أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء وحذافهم بذلك وقالوا
لا يكون ذلك الا بعناية الهية وتدبير تعجز العقول عن ادراكه وتقر للعلاق العظيم بكمال الربوبية
والقدرة فان قيل فما السبب في بكاء الصبي حالة خروجه الى هذه الدار قيل ههنا سببان
سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الاطباء وسبب ظاهر فاما السبب الباطن فان
الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطانا فشیطان المولود قد خنس
ينتظر خروجه ليقارنه ويتوكل به فاذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خصره
فصرخا عليه وتقيضا واستقبالا له بالمداوة التي كانت بين الابوين قديما فيبكي المولود
من تلك الطعنة ولو آمن زنادقة الاطباء والطبائعين بالله ورسوله لم يحدوا عندهم
ما يبطل ذلك ولا يردوه وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صباح المولود حين يقع ترعة من الشيطان وفي الصحيحين من حديثه أيضا

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مولود يولد الاغتصه الشيطان فيستهل صارخا من تحته الا ابن مريم وأمها وفي لفظ آخر كل بني آدم عساه الشيطان يوم ولدته الأمريم وابنها وفي لفظ البخاري كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطن في الجنب والسبب الظاهر الذي لا تخبر الرسل بأمثاله برخصه عن الناس ومعرفة له من غيرهم هو مفارقتة لما ألوف والمادة التي كان فيها إلى أمر غريب فانه يتقلد من جسم حار إلى هواء بارد ومكان لم يألف يستوحش من مفارقتة وطنه ومألفه وعند أرباب الاشارات ان بكاءه ارهاص بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والحواف وأنشد في ذلك

ويكي بها المولود حتى كأنه * بكل الذي يلقاه فيها يهدد

والألم يبيكه فيها وأنها * لا وسع عما كان فيه وارغد

ولهم نظير هذه الاشارة في قبض كفه عند خروجه إلى الدنيا وفي فتحها عند خروجه منها وهو الاشارة إلى أنه خرج مر كبا على الحرص والطمع وقارقه صفر الدين منها وأنشد في ذلك وفي قبض كف المراء عند ولاده * دليل على الحرص الذي هو مالكة وفي فتحها عند الملمات اشارة * إلى فرقة المال الذي هو ناركة

ولهم نظير هذه الاشارة في بكاء الطفل وضحك من حوله أن الامر - يبدل ويصير إلى ما يبيى من حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته وأنشد في ذلك

ولدتك اذ ولدتك أمك با كيا * والناس حولك بضكون سرورا

فاعلم لك ان تكون اذ ايكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

ونظير هذه الاشارة أيضا قولهم ان المولود حين ينفصل ويديه إلى فيه اشارة إلى تعجيل تزوجه عند القدوم عليه بأنه ضئيف من مقام اكرامه تعجيل قراء ماشار بلسان الحال إلى ترك التأخير ورجاء من اصبعه اشارة إلى نهاية فقره وأنه يبلغ منه إلى من الاصابع ومنه قول الناس لمن بلغ به الفقر فانيته فهو من اصابعه وأنشد في ذلك

ويهو إلى فيه من شانه * يطالب بالتعجيل خوف التشاغل

ويطلمم أفى فقير وليس لى * من القوت شئ خير من الا نامل

ونظير هذه الاشارة أنه يحدث بالعجب بمن يظهر من الحدث

ويحدث بين الحاضرين اشارة * إلى أنه من حادث ليس بمصمم

يقول وعندي بعد أخواتها * وما منكم الا وذا العرش ارحم

ونظير هذه الاشارة ان يضحك بعد الاربعين وذلك عند ما يتصل نفسه الناطقة وبدوكها وفي ذلك قصاص من البكاء الذي اصابه وعند ولادته وتأخير يده لئى يتأذى العباد اذا اصابته شدة فالفرج كام يطلبها في أثرها

ويضحك بعد الاربعين اشارة * إلى فرج واقه بعد الشدائد

يقول هي الدنيا فتبكيك مرة * وتضحك أخرى فاصطبر لعمواته

قالوا ويرى المني بعد ستين يوما من ولادته ولكنه ينساها لضعف القوة الحافظة وكثرة الرطوبات

وفي ذلك لطف به أيضا لضعف قلبه عن التفكير فيما يراه

ويرى يمين القلب اذياً في له • ستون يوماً رؤية الاحلام

لكنه ينسأ بعد اضعفه • عن ضبطه في بقطة ومنام

فصل • ولما تكامل لتطفة اربصون يوماً فاستحكم فضعفها وعدهتها حرارة الرحم استعدت لحالها هي اكل من الاولى وهي الدم الجامد الذي يشبه العلقة وبقل الصورة وبخضها بالعداها ولما مك اجزائها فاذن لها اربصون استعدت لحالها هي اكل من الحالتين قبلها وهي صيرورتها لخالصها من العلقة واغوى واحفظ والمخ المودع فيها هو الدم هو كسوتها والرباطات قسك اجزاء • وتشدبضها بضعها والكبد الذي أخذ صفوا الغذاء فيرسله الى سائر الاعضاء والى الشعر والظفر والامعاء الذي هي مجارى وصول الطعام والشراب الى المعدة والعروق التي هي مجارى تنفذه وايصاله الى سائر اجزاء البدن والمعدة التي هي خزانة الطعام والشراب وحافظته لسحقه والقلب الذي هو صبح الحرارة ومعدن الحياة والمستوى على ملكة البدن والريئة التي تروح عن البدن وتقيد الهواء البارد الذي به حياته والسان الذي هو ريد القلب وترجائه ورسوله والسمع الذي هو صاحب اخباره والبصر الذي هو طليعته ورأده والكاشف له عما يريد كشفه والاعضاء التي هي خدمه وخوله والرجلان تسعي في مصالحة واليد يطش في حوائجه والاسنان تفصل قوته وتقطعه والورق توصله الى اربابه والذكر آلة نسله وأنثياه خزانة مادة النسل والكبد لغذاء وقمته وهي الحيوان بمنزلة شرس الشجر والنهات تجذب الغذاء وترسله الى جميع الاجزاء وآلات الغذاء خدما لها والقلب للارواح التي بها حيات الحيوان وآلات النفس خدما لها والدماغ معدن الحس والتصور والحواس خدما لها والاثنيان معدن التناسل والذكر خدما لها وهذه الاعضاء هي رأس أعضاء البدن

فصل • وأما آلات الغذاء فتلاثة أقسام آلة تقبل الغذاء وتصلحه وتقرقه وترسله الى جميع البدن وآلة تقبل فضلائه وآلة تعين في اخراج نفعه ولما منفعة في بقائه فالآلات القسابة هي الفم والرى والبطن والعكيد والعروق الموصلة الى الكبد والعروق الموصلة منها الى البدن

فصل • وأما آلات القابلة للفضلات فالمرارة تقبل ما لطف منه والطحال يقبل كسيفه والكل والمرارة يقبلان المتوسط والكبد موضوعة في الجانب الايمن وتأخذ يسيرا للجانبا الايسر وهذه الحكمة بدية وهي أن القلب في الجانب الايسر اقرب وهو معدن الحار الغريزي فيجذب عنه الكبد قليلا لتلا يتأذى بحرارتها وجعل في اوعية الغذاء قوى خادمة له فالتق مع كونه يقطع الغذاء ويطحنه بحوله ويقره والرى مع كونه منفذا الى المعدة يقره فقيرا ثانيا والمعدة مع كونه خزانة حافظة تنضجه وتطبخه وتغيره فقيرا ثالثا وتعضه وتبقى منه ما لا يصلح وتخرجه وتذمه الى مخرج التفل فان الطعام اذا استقر في المعدة اشتغلت عليه وانضمت غايبة الانضمام ثم انضجته بحرارتها ثم يتولاه الكبد وتشتغل عليه وتقلبه دما خالصا ثم تقسمه الى جميع الاعضاء قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف ولما كانت المعدة

حوض البدن الذي يردده أجزاء البدن من كل ناحية اقتضت الحكمة الالهية جعلها في وسطه وخالص الغذاء يتأدى الى الكبد من شعب كثير فويجتمع في موضع واحد واسع يسمى باب الكبد وجوع المروق التي تصل بالمعدة والامعاء والطحال تسبغ وتزني الى باب الكبد والمعدة تجذب الموافق ويبقى الخالف المتنافي الذي حيزت قولها عنه ثم ان الكبد نصفه وثيقه بعد اجتذابه مرة أخرى وتزني عنه غير الموافق وقد أعد الصانع الحكيم سبحانه لتقية الدم من الكبد ثلاثة خدام فارعين قائمين بالمرصاد بلا كلل ولا دور وقد وضع كل منها في المكان اللائق به ونصبه فصبه بها يكون امكن من عمله ولا استقر الغذاء في المعدة وطبخته وانضجته صارت فضله ثلاثة فضلة كالدرى الرابع فضلة كالرخوة والزيد الطافي وفضلة مائة فيعمل كل خادم من هذه الخدام الثلاثة على فضلة لا يبعدها الى الاخرى ليعذبها من جري خادم الفضلة الخفيفة الطافية وهي المصفرة المرارة نصبها الرب تعالى فوق الكبد لان الجذب هو الفضلة الطافية ومكانها فوق مكان الدرى الرابع وخادم الفضلة التي هي كالدرى الرابع الطحال ونصبه الخلاق العظيم اسفل من باب الكبد حيث كان ما يجذب به من سفلى ولم يكن في الجانب الايمن لان المعدة قد شغلت ذلك الجانب وكان الجانب الايسر خاليا فزعمه فاذنق الدم من هاتين الفضلتين خدمه الخدام الثالث وهو الكبد وقد بقي احمر فبقى اللون مشرقا ورانيا ويصل اليها من عرق عظيم يسمى الاجوف من يوزع من هناك على جميع البدن العليا والسفلى فيروا ضة كثيرة العدد ما بين كبير وصغير ومتوسط كلها تصل بالعرق الاجوف وتقاومه ومادام الدم في هذا العرق ففيه ماية غير محتاج اليها لانها كانت مشربة كركب الغذاء فساو سلت الى مستقر ما يستغنى عنها فاحتاج ولابد الى اخراجها ودفعها ولولم يبادر الى ذلك اضرت به فخلق الله سبحانه الكليتين يتصان هذه الفضلة بتثمين طويلين كالانبي وبين وبقرغان في الثالثة يفرقن آخريين وضهما سبحانه اسفل من الكبد قليلا حيث يكون امكن لتفليس الماية كائروق المصارات واما المرارة فوضعها الله سبحانه فوق الكبد لانها بمنزلة السقطة أو القطنة التي يقطف بها الذهب عن وجه الطوباء واما الطحال فوضعها اسفل الى اسفل لانه بمنزلة ما يجذب الاشياء المصونة اذا رسبت

فصل في اذا اتى الدم من هذه العقول كلها وحملت فيه هذه الخدم بقواها التي أودعها فيها هذا العمل وأصلحته هذا الاصلاح جل ملك الاعضاء والجوارح وهو القلب فيه حلا آخر مقصده بمرارة أخرى وهي أقوى من حرارة الكبد

فصل في وجل سبحانه في المعدة أربع قوى قوة جاذبة للقلا ثم وقوة منضجة وقوة ممسكة وقوة دافعة لفضلة المستغنى عنها منه ورئيس هذه القوى هي القوة المنضجة وصارت لها خدم لها وخصت المعدة من سائر الاعضاء بأن أودع فيها قوة تحبس بالون والقضال وخاصة فتمنا لتذبة الحيوان على تناول الغذاء عند الحاجة وأما سائر الاعضاء فانهما تغذي بالتبات باجذاب اللاتم اليها ولما احتاجت المعدة الى قوة وحس بالون ولم يكن ذلك الامن معدن الخواص وهو الدماغ اناها روح العصب عظيم فأنبت أكثرها في قلبها وما يليه ومن يقيه مستقيما حتى يبلغ قعرها فان قيل قال الحكمة في ان ياعد سبحانه بين المعدة والقم وجعل بينهما مجرى

طويلا وهو المرى وهلا اتصلت المعدة بالمع واستغنت عن المرى قبل هذا من تمام حكمة الخالق وفيه منافع كثيرة منها أن يحصل الغذاء فقير ما في طريق المرى فيلطف قبل وصوله إليها ومنها بعده عن آلة التنفس لئلا تقوفه ويسوق الصوت والكلام وان لا تغلب المعدة الى خارج عند شدة الجوع كما يعرض ذلك الحيوان الثمره اذا كان قصير العنق فان قيل فلم كانت الى جانب الايسر أميل منها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الكبد ولا يختصر فان قيل فلما كانت مستقيمة في وضعها بل مال اسفلها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الطحال حيث كان أخفض موضعا من الكبد فان قيل فلم جعلت مستقيمة مدورة وجعلت على الصلب مستقيمة قبل الموضع الله بين الكبد والطحال جعلها مستقيمة وكانت مستديرة لتتسع للطعام والشراب وكان اسفلها أوسع من اعلاها لذلك وجعل لها مدخلا وهو المرى ومخرجا يسمى البواب وجعل البواب اخيق من المرى لان ما يتلصقه يكون أصلب واخشن مما يخرج فحصل مدخل الداخل أوسع من مخرج الخارج لا يطلأخه في المعدة ولينه ولحكم آخر منها أن لا يزال منه الطعام والشراب قبل نضجه وانه ولتقوى المعدة على حبسه ولخرج أولا فأولا لادفعه واحدة والمرى يتسع بالتدريج حتى يبلغ المعدة ولذلك يظن أنه جزء منها وأما البواب فان الجزء الضيق يتصل بأسفلها الذي هو أوسعها ثم يتسع على التدريج ليسهل خروج الفضلة

فصل في الكبد منطبعة على المعدة محتوية عليها بزوائدها المتصنها والطحال يستغنيان عن البواب الايسر والصلب يستغنيان من خلف والترائب من قدماها والترائب مؤلفة من طبقتين رقيقتين تطبق احداهما على الاخرى يشتم كثير وهو غشاء الامعاء كلها ولياها ثم غشي البطن كله بششاء واحد يقي الاحشاء ويجمع من افتتاح المعدة والامعاء بإرياح ويربط جلة آلات الغذاء ولم يجعل في الكبد تجويف كجوف القلب لتسوى على الدم احتواء يمكنه وتحيله حالة بليفة والكبد ثلاث شبك من العروق شبكة بينها وبين المعدة والامعاء وشبكة في مفرعها وشبكة في مجدها فالشبكة الاولى تجذب الغذاء وتحيله بعد أن أحاله وفي الشبكة الثانية يصير دما وفي الشبكة الثالثة يزداد صفاء وترويقا والكبد بالقلب والدماغ اتصال يشقة من العصب حفية كمنسج العنكبوت ولما كانت النفس المعدية بمنزلة حيوان غائب وحشى وكل جسم يوت فلا بد أن يتصل به هذه النفس وتقووه بخلاف النفس المفكرة التي محلها الدماغ وبخلاف النفس الغضبية التي محلها القلب فالنفس المفكرة تستعين بالنفس الغضبية على تلك النفس الحيوانية الغائبة الوحشية اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن وصل بين محل هذه الانفس الثلاثة وسماها ليذهن بعضها لبعض ولا تنكر تسمية هذه القوى نفوسا فليس الشأن في التسمية فأنت تجد فيك نفسا حيوانية تطلب الطعام والشراب ونفسا مفكرة سلطانها على الصور والعلم والشعور ونفسا غضبية سلطانها على الغضب والارادة وتضرب كل واحدة منها فيما جعل اليه وبعضها من بعض تحمل النفس الحيوانية الكبد ومحل المفكرة الدماغ ومحل الغضبية القلب

فصل في وتأمل الحكمة في أن جعلت صفقات عروق الكبد أرق من صفقات سائر عروق البدن لينفذ الى الكبد فوق جوهر الدم بسرعة وهي مع ذلك غير محتاجة الى الوقاية

لان الكبد تميزها بجمها ونفاوضت مجاري المرة الصفراء بعد العروق التي تصعد الغذاء من المعدة وقبل العروق التي تأخذ الدم منها لان هذا الموضع هو بين موضع كمال الطبع وبين انقائه الى الرق الاجوف وحيث يمكن اتصال المرة من الدم وجمت العروق كلها الى رقب واحد هو الباب ثم مادت فتشمت في مقر الكبد ثم مادت فيمعت في مجدها الى عرق واحد وهو الاجوف لتعبد بينهما افصاج ما تحتوي عليه ولان لا ينفذ بسرع عذو كذلك كل موضع احتج فيه الى طول مكث المادة حين بقاؤها فيه بطول مسلكها وكثيرة تصاريحه كما فعل في مجاري المني وشبكة الدماغ وهذا شأن العروق الجواذب واما العروق الضواريب فبالعكس من ذلك فانها جمعت في مقر الكبد دون مجدها لانه موضع الدم وحاجته الى المديدة بالحرارة مساسة قال جالينوس ولا تقسم العروق الضواريب في مجذب يعلم الخالق سبحانه انه جذب الكبد تحرك دائما بمجاورة الجباب فيقوم لها ذلك مقام حركة العروق الضواريب وجعلت هذه العروق الضواريب رقفا لانها انفاوضت لترويح الكبد لان غذيتها والالاتصال روح اليها اذ ليس بالكبد حاجة الى قبول روح حيواني كثير ولا يحتاج لجمها الى غذاء لطيف بخاري

فصل في أحرز الصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها بأن ربطها بالمعدة والامعاء كلها بالعروق وبالنشاء الممدود على البطن الذي يشد جميعها وصل بهار باطات من جميع النواحي وغشاؤها الرابطة يتصل بالجباب برابط قوى ورباط الكبد بالجباب حين صلب وثيق لان الكبد مملئة به وهو أصلب من غشاء الكبد بشدة الحاجة الى صلابة لانه يحرز الكبد والعرق الاجوف متى ناله آفة ذمات الحيوان كآفة تلك اغصان الشجرة اذا أصاب ساقها آفة وجعل أرق هذه الرباطات من خلف بشدة بالنظام وأغلظه من قدام حيث لا نظام هناك فقيه وهذا من شدة الاسر الذي قال الله تعالى فيها نحن خلقناهم وشددنا أسرهم شدا وصلهم بالرباطات المحكمة وجعل خلقهم بعضه الى بعض ولما كان الجباب آلة شريفة ففسس بوعدهم من العضوين المجاورين له وهما المعدة والكبد بمقدار حاجته لئلا يزحسا ويعوقاه عن فعله فبوعدت المعدة عنه بطول مجراها

فصل في واما الطبيب فيقول انه لا تقع فيه وانما شغل المكان به ثلاثا يبيى فارقا فيل أحد شقي البدن ينقل الكبد فيعمل موزونا فكبد قلت وهذا غلط من وجه وصواب من وجه اما الصواب فن الحكم البهيبة جعل الطحال في الجانب الايسر على موازنة الكبد لئلا يميل الشق الايمن به ولا يمكن أن تقوم المعدة بموازنة الكبد لانها دائما تمثلي وتخلو فتارة تكون أخف من الكبد وتارة أريج منها فيصير البدن موزنا أو يميل الى شق الكبد وتارة الى شق المعدة وتارة آخر فيعمل الخالق سبحانه الطحال يوازن الكبد وجعل المعدة بينهما في الوسط لئلا ينقل جانب ويشف آخر عند امتلائها وخلقها فلما جعلت وسطا لم تختلف وضع البدن باختلافها واما الفيل فقله انه لا منقعة فيه وانما يشغل المكان ثلاثا يبيى فارقا فانه لو لم يعلم فيه منقعة لم يكن له أن ينقعا فان عدم العلم بالمنقعة لا يكون علما بعدمها ولا شيء في البدن خال من المنقعة أثبتة وفي الطحال من النافع انه يجذب الفضلة الغليظة الكريهة السوداء من الكبد تروا من جف العروق كالمنقى له فاذا حصلت تلك

الفضلة عنده انضجها وأحالها وهو ينضج غليظ الدم وعكركما ينضج قولون غليظ الغذاء ويابس ويستعمل في فله العروق الضوارب الكثيرة الميثومة فيه كلها لما نضج واستحال الى طبيعة صار غذاء له. ومالم يكن أن يقلب الى الدم الموافق له قذنه الى المعدة ينضج آخر من جنس العروق وانما أمكنه جذب النضل الاسود بقوة لجمية لانه رغو متحلل مخفف كالاسنجع ولما اتصلت به العروق الضوارب الكثيرة استندى بها عن انضاج الفضول السود وليبقى لجمه خفيفا متحللا لان دم الشرايين رقيق لطيف قريب بطبعه البصار غشا اخذني به كان خفيفا كالرئة ولكن الرئة تقتدى بما صفاورق وأشرق وكان أحمر ناريلو كذلك الرئة كانت أخف وزنا منه وأصف جرمًا ومائلة الى البياض وأما الطحال فيقتدى بما لطيف من الخلط الاسود والطحخ في الشرايين فيستريح منه البدن ويقتدى به الطحال بالطحال يقتدى بهذا لطيف من غذاء الكبد لانه يرشح اليه من الشرايين التي صفا فاليها يحبه جدا ولاجل سواد تلك الفضلة وكونها عكرة في الاصل لم يكن لون الطحال أحمر ولا مشرقا فأما الكبد فيقتدى بدم غليظ فاضل يرشح اليها من العروق غير الضوارب فليجوده غذاءها كان لونها أحمر ولفضلته كانت كثيفة فالكبد تقتدى بدم أحمر غليظ والطحال بدم أسود لطيف والرئة بدم صاف مشرق في غاية النضج قريب من طبيعة الروح فجوهه كل عضو على ما هو عليه صير غذاء ملائمة فالغذاء شبيه بالمتقذى في طبعه وفضله وهذا كما أن حكمة الله سبحانه في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره حيث حرم الاغذية الخبيثة على عباده لانهم اذا اخذوا بها صارت جزأ منهم فصارت أجزاؤهم متشابهة لاغذيتهم اذا الفاذي شبيه بالمتقذى بل يستعمل الى جوهه. فلهذا كان نوع الانسان اعدل أنواع الحيوان مناجا لا اعتدال غذائه وكان الاخذاء بالدم ولحوم السباع يورث المتقذى بها قوة شيطانية سجيبة مادية على الناس فمن محاسن التريعة تحريم هذه الاغذية وأشباعها الا اذا عارضها مصلحة أرجح منها كحل الضرورة ولهذا اكلت التصاري لحوم الخنازير فأورثها نوما من القلظة والقسوة وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صار فيه قوة ولما كانت القوة الشيطانية طارضة ثابتة لازمة لنوات الاتياب من السباع حرما الشارع ولما كانت القوة الشيطانية طارضة في الابل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها ولما كانت الطبيعة الجارية لازمة لسمار حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الجر الاهلية ولما كان الدم مركب الشيطان وبجراه حرمة الله تعالى تحريما لازما فمن تأمل حكمة الله سبحانه في خلقه وأمره وطبق بين هذا وهذا فحاله بإعطيان معرفة الله تعالى واسمائه وصفاته وهذا هو الذي حركنا ليطس النفس في هذا المقام الذي لا يكاد أن يرى فيه الا احد طريقين طريقة طيب معترض فوحى مقلد لبقراط وطائفته قد عبرت عنه على الرسل وما جاؤا به وهو بمن قال تعالى فيه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وطريقة من يمسد ذلك كله ويكذب قائله ويظن مناقته للشر بصد فبعد حكمة الله تعالى في خلقه وإداعه في صنمه وكلا الطريقين مذموم وسالكه من الوصول الى الغاية محروم فلا تكذب بشرع الله ولا تحسد حكمة الله واكثر ما فسد الناس انهم لم يبروا

الاطباء زنديقا مهلا عن الشرائع او متساهلا قادحا فيما جرت به حكمة الله ومشيئته في خلقه منكرا للقوى والطبائع والاسباب والحكم والتعليل فاذا اراد الاول ان يدخل في الاسلام صده جهل هؤلاء ومكاربهم للمعتول والخس واذا اراد ان يدخل في معرفة الحكم والغايات وما اودع الله في مخلوقاته من المنافع والقوى والاسباب صده زندقة هؤلاء وكفرهم واصراضهم عن ما يباهت به الرسل وقدحهم فيما عندهم من العلم فيضار دينه على عقله ويختار ذلك عقله وما استقر عنده عمالا يتكافرون به حسه ولا عقله على الدين وهذا قد بلانخلق الاطباء والطبايعيين احد انواع ادلة التوحيد والمعاد وصفات الخلق وما اخبرت به الرسل هو من اظهر ادلته ولايزداد الباطن فيه الا ايمانا وما اخبرت به الرسل لا ينقص ما جرت به عادة الله وحكمته في خلقه من نصب الاسباب وترتيب مسبباتها عليها بجملة وحكمه فصدر خلقه وامره علمه تعالى وحكمته وآلاء الرب تعالى لا تتعارض ولا تتناقض ولا يبطل بعضها بعضا والله اعلم

﴿ فصل ﴾ والكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما والعروق الضواريب تتصل بها المعدة والقلب بمنزلة النور او بمنزلة اوتون الجسم يعضن ماؤه وله الى كل بيت منفذ ينفذ فيه وحج النار اليه وكذلك الحار الغريزي الذي منبعه من القلب ينفذ في مسالك ومنافذ الى جميع الاعضاء فيعضنها

﴿ فصل ﴾ وجعلت الاعضاء مسلما مؤديا والمعدة هي الآلة تهضم الغذاء واستقر اشوا الامعاء تؤدي ذلك الى الكبد ولما كانت الامعاء آلة الاداء والاتصال كثرت لفائفها وطولها كانت العروق التي تأتياها من الكبد لانحصى كثرة لينفذ فيها الغذاء ولا مالا ولا تستفيضه بسيرا سيرا فلو اقلطويل لفائف الامعاء لكان يخرج قبل اخذها صينته وكان يعرض اليهم بشوة الاسل دائما وكان الانسان يعدم التفريغ لمصلحته واستراجه له وكان دائما مكيا على الغذاء ولهذا صار الحيوان الذي ليس لامعته استدارات بل له معاء واحد مستقيم مكيا على الغذاء دائم عديم الصبر عنه كالفيل وأما مالا معاته استدارات فانه اذا فارقه الغذاء او بعضه في الاستدارة الاولى صادفه في الثانية فان هو فاته في الثانية صادفه في الثالثة والرابعة والخامسة كذلك فيمكن صبره على الغذاء حكمة بالغة وما ينفذ الى الامعاء يبعث من العروق الضاربة يأخذ من الغذاء جزءا سيرا لطيفا وأما العروق غير الضاربة هي مجاري الغذاء بالحقيقة فاخذت اكثر وأما العروق الضاربة فقبضت مسلما للارواح المتبعثة من القلب فامتخت بقليل الغذاء وجعل قلب القلب وصلة بالامعاء لمصنعا أولا ويدها بقوة الحار باذن خالقه ثم يأخذ منها الجزء الملائم من الغذاء المستغنى من فصل الكبد لطافة جوهره فان هذا الجزء لو حصل في الكبد لم يؤمن اصبرانه وفاسده فلا يتنفع به القلب ثم يأخذ منها عند شدة الحاجة وصدق المجاعة فيتقبل ذلك من اذى المواضع ولذلك يشاهد من اكل مسبة شديدة بحس زيادة وقاه في كل اعضائه حتى ماير الطعام بالمعدة قبل استقراره فيها فبعضان من اتقن ما صنع ولما كانت المعدة آلة هضم الغذاء والامعاء آلة دفعه جعل للامعاء طبقتان ليقوى دفعها بهما جميعا وليكون حرصا لها وحفظا ولذلك من تعرض له قرحة الامعاء بانجراد احد الصفاقين يبقى الآخر سليما

وجعلت الامعاء الغلاظ تذهب الفضل والرقائق لتأدية الغذاء والسبب في أن صار الانسان لا يحتاج الى تناول الغذاء دائما كثرة لغنائف امعائه والسبب المانع من قذف الفضول دائما سعة الامعاء الغلاظ التي تقوم لها مقام واه آخر شبيه بالمعدة في السعة كما أن المشاة واه يقول كذلك فصل في ونحن ند كرفصلا مختصرا في هذا الباب نجمع ذلك شأنه بإيضاح وياحزان شاء الله تعالى به الحول والقوة فنقول المرى موضوع خلف الحلقوم وما على فصار الظهر وينتهي في ذهابه الى الجنب وهو مشدود برابطات فاذا ابدى الى الجانب الايسر واتسع وذلك المقسح هو المعدة واسفلها يهود ما يلا الى اليمن والمعدة مقر طبعه وقها هو المسدق منها ويسمونه الفؤاد وهذا من غلطهم الا أن يكون ذلك اصطلاحا خاصا منهم والفؤاد عند أهل اللغة هو القلب قال الجوهري الفؤاد القلب وقال الاصمعي وفي الجوف الفؤاد وهو القلب وقد فرق بعض أهل اللغة بين القلب والفؤاد فقال البيهت القلب مصفوفة من الفؤاد معلقة بالنياط وقالت طائفة مسدق القلب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم جاءكم أهل اليمن ارق قلوبا وألين أفئدة فترق بينهم ما وصف القلب بالارقة والافتة باللين وأما كون غم المعدة هو الفؤاد فهذا لا نعلم أحدا من أهل اللغة قاله وتأمل وصف النبي صلى الله عليه وسلم القلب بالارقة التي هي ضد القساوة والفظ والفؤاد باللين الذي هو ضد اليبس والقسوة فاذا اجتمع لين الفؤاد الى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة والاحسان ومعرفة الحق وقبوله قال ابن موجب للقول والفهم والركة تقتضي الرحمة والشفقة وهذا هو العلم والرحمة وبهما كال الانسان وربنا وسع كل شيء رحمة وعلما فلنرجع الى ما نحن بصدده فنقول المعدة مع المرى ذات طيتين لطنتين واللحم في الطبقة الداخلة أقل ولهذا يقلب عليها البياض وهي عصبية حساسة وهي في الطبقة الخارجة كثر ولهذا يقلب عليها الحجرة وهي مربوطة مع القفار برابطات وثيقة وتنتهي من جهة قعرها الى منفذ هو باب المعدة وبوابها يلقى عند اشتقاقه على الغذاء مدة هضمه ويقال لباطن جرم المعدة خول المعدة والامعاء المصارين وهو جرح مصران يضم المم وهو جرح مصر ومسمى مصر المصر الغذاء اليه والسفلى يقال لها الاقتاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قد تدلى اقتاب بطه والعليا ارق من السفلى لما تقدم من الحكمة ما على الرقاق يسمى الاثنى عشر لان مساحته اثنا عشر اصبع او بليه المسمى بالصائم قلعة لبث الغذاء فيه لا يابو جدد ابدأ خاليا كما غننه بعضهم فان هذا باطل حاد وشر ما كما عند كرمو الثالث المسمى بالارفة في واقفانف وهو اطول الامعاء واكثرها تلافيف ولبث الغذاء فيه أطول والعروق التي تأتيه من الكبد اقل وأما الاثنى عشر فتشعبان في طول البدن قصيران ويقال لبث الغذاء فيهما وهو في الصائم أقل لبثا وهذه الثلاثة تسمى الامعاء العليا والامعاء الرقاق وهي كلها في سعة البواب وما الدامع وهو الاول من الثلاثة السفلى فيسمى الاورولانه لا منفذ له بل هو كال كيس يخرج منه ما دخل من حيث دخل وحكمته سبحانه يتم فيه ما يصر هضمه من الاشياء الصلبة كما يتم ذلك في قوائم الطيور ووضع في الجانب الايمن والخاص المسمى يقولون يتددى من الجانب الايمن ويأخذ مرضا الى الايسر ويحتبس فيه الفضل ويراجع تحضى ما فيه والسادس هو الآخر وهو المعى المستقيم لانه مستقيم الوضع في طول البدن وهو واسع جدا يجمع فيه الفضل كما يجمع البول في المثانة وعليه الفضلة المانعة

بجروج الثفل بدون الارادة وقد صرح من النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يأكل في معا واحد
والكافر يأكل في سبعة امعاء أطلق على المعدة اسم المعاء تغليبا ولشابهتها بالامعاء تكون كل واحدة
من الامعاء والمعدة محلا لغذاء هذا الغدة العرب كما يقولون القبران والسران والركنان الجائبان
والشاميان والعراقيان ونظائر ذلك ولا سيما فان تركيب الامعاء كتركيب المعدة اذهى مركبة من
طبقتين لحية خارجية وعصية داخلية والطبقة الداخلة منها لزوجات متصلة بها تغنيها من
حرالم البرزور داه كثيفة وزليقة فلا تمسكه ولا يتطرق بها شيء منه ولما كان الكمال ليس في قلبه شيء
من الايمان والخير يقتضى به انصرف قوامه لعمته كلها الى الغذاء الحيواني البهي لما فقد الغذاء الروحي
القلبي فتورثا معاؤه وقواء على هذا الغذاء واستغرقت امعاؤه هذا الغذاء وامتلأت به
بحسب استعدادها وقولها كما امتلئت به العروق والمعدة اما المؤمن فانه انما يأكل العلفه ليتقوى
بها على ما أمر به فعمته وقوام مصر وقفا الى امور وراه الاكل فاذا اكل ما يفيده ويقم عليه استغنى
قلبه ونفسه ووروده بالغذاء الايناعي عن الاستكثار من الغذاء الحيواني فاشتغل معاؤه الواحد وهو
قولون بالغذاء ما مسكه حتى اخذت منه الاعضاء والقوى مقدار الحاجة فلم يخرج الى ان يملا " امعاء
كلها من الطعام وهذا أمر معلوم بالضرورة واذا قويت مواد الايمان ومعرفة الله وامعاء
وصفاته ومحبهه والشوق الى لقائه في القلب استغنى بها العبد عن كثير من الغذاء ووجد لها
قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني فان كثفت طباعك عن هذا وكنت منه بمنزل فتأمل حال
الفرح والسرور بعدد نعمه عظيمة واستغنى عن هذه من الطعام والشراب مع وفور قوته وظهور
الدوية على بشرته وتغذي بالسرور والفرح ولا نسبة لذلك الى فرح القلب ونعيمه وانهاج
الروح بقربه تعالى ومحبهه وسرته كما قيل

لها احاديث من ذكر ان تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته اني اهل عندوني بطمئني وبسقي في
وصديق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه فان المقصود من الطعام والشراب
التغذية المسكنة فاذا حصل له اهل الغذائين واشرفهما وانعمهما فكيف لا يفيته عن الغذاء
المشترك واذا كنا نشاهد ان الغذاء الحيواني يقبل على الغذاء القلبي الروحي حتى يصير الحكم
له ويضمحل هذا الغذاء بالكلية فكيف لا يضمحل غذاء البدن عن استيلاء غذاء القلب والروح
ويصير الحكم له وقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر الايام لا يطعم شيئا وله قوة ثلاثين رجلا ويطوف
مع ذلك على نساءه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نسوة وهذا المسح ابن مريم صلى الله عليه وسلم
حي لم يت وغذاؤه من جنس غذاء الملائكة وانت تشاهد المريض يكث الايام العديدة لا يأكل ولا
يشرب لا تشغل نفسه بحاربة المرض ومدافعته واكتفاء الطبيعة ببقية الغذاء الذوقي
الامعاء والمعدة مع مدة الحرب فاذا وضعت الحرب اوزارها رايت شدة طلبه للغذاء فالتفت
والحب والفرح والحزن والمستولى عليه الفكر لا تنسأ له نفسه من الغذاء الخالي من ذلك
فصل في الكبد عضو لحمي تحلقه عروق رقاق وغلاظ وعلى الكبد خشاء عصبي
حساس يحيط بها وينتهي الى غلاته والكبد هي الاصل في الغذاء وآلات الغذاء تخدم لها
ومعينات فان الانسان لما كان كالشجرة المستقلة جعل له ما يقوم مقام النهر الجاري في اصول

الشجر يستقيها وهو الامعاء والمعدة بمنزلة العين وتجرى منها السواقي وهرق الكبد المتصلة بالامعاء بمنزلة هروق الشجرة المتصلة بأرض الساقية تنص الماء منها وتؤدي الى الشجرة وتواضعاها وورقها وغارها وهذه الهروق تنص الماء من الطين والترى وكذلك هروق الكبد تنص صفو الماء وخالصه من كلونه ونجليه الى طبيعة الاعضاء كما تفعل هروق الشجرة وشكل الكبد شكل هلالى محدب من ظاهره مقعر من باطنه وهى تحت الاضلاع الخس ولها خمس شعب يقال لها الزوائد تحتوى على المعدة كما تحتوى الكف بأصابعها على الشئ القبوض ويقال لشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سبعين ألفا من أهل الجنة يأكلون من زيادة كبدا لحوت الذى هو أول طعامهم وهذا يدل على عظم قدر هذه الزائدة فما الظن بالكبد التى هى زائدة فكيف بالحوت الذى حواها ومقرها يسمى المورد لانه يورد الغذاء من المعدة والامعاء ويسمى باب الكبد ثم تشعب هذه الهروق من جانبها بشعب تتصل بالامعاء وتسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصغيرة التى تؤدى الى مقرة عظيمة ولهذه الجداول أشبية من فوقها ومن تحتها تستدير مع الامعاء الهروق المتصلة بها وتسمى هذه الاشبية وما تحويه الرباط

فصل في العرق الثاني ينقسم في مجزئها الى هروق صفار واصفر منها حتى تبلغ غاية الرقة ثم تعود وتجمع أول ما أول على قياس ما تفرق وأخذ من كثرة الى واحدة ومن رقة الى خلط حتى يجمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالاجوف ومنها يتأدى الدم الى البدن كله وحين يخرج ينقسم قسمين فيأخذ أحدهما نافذ في الجباب نحو القلب ويسمى الوتين قال أهل الفقه الوتين هرق يبقى القلب قال في الصحاح الوتين هرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه ووثنيه أصيب فهو موتون وقال الواحدى الوتين نياط القلب وهو هرق يمرى في الظهر حتى يتصل بالقلب اذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وهذا قول جميع أهل الفقه وأنشدوا قشماخ

إذا بلغتني وحلت رحلى * حراية فاشربني ضم الوتين

وقال ابن عباس وجهور المفسرين هو جبل القلب ونياطه وأما الأبهري الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا أو ان انقطع أعبرى فقال الجوهري الأبهري هرق اذا انقطع مات صاحبه وهما أبهريان يخرجان من القلب ثم تشعب منهما سائر الشرايين وأنشدوا للاصمعي

ولنفؤاد وجب عند أبهره * لدم القلام وراء القيب بالجر

فصل في المرارة موضوعة على الكبد ولها مجريان أحدهما متصل بقعر الكبد بمحذب المرة الصفراء والآخر متصل بالامعاء العليا فنصب المرة ليفسها ويحلبها ويتصل منه السر بأصل المعدة ليمتزج بالغذاء فيكون فيه معونة على هضمه

فصل في القوة التى وكلها الله سبحانه ولما لا تدبر البدن من أعظم آياته الدالة عليه فانها تفعل في الطعام والشراب الواردين عليها فاعمالا متوعدة من تقطع وتقصيل وتفرغ وتحليل وتركيب فبدا ذلك في الفم وهو تقطيعه بالأسنان ومضغه واختلاطه بالارطوبات التى فيه وانضمامه منه انضماما تاما ثم بعد ذلك عند ووده الى المعدة تهضمه هضمًا آخر

ويسمى الهضم الاول ويعينه على هضمه ما يجاورها من الاعضاء في الكبد عن يمينها والطحال عن يسارها والقلب من فوقها والمرى امامها والامعاء السبل الموصلة اليها والعروق الطرق المؤدية منها والحرارة النار الطابخة الطعام فيها والقوة الهاضمة والجاذبة والنافذة والدافعة خدما لها فاذا انضم الطعام فيها صار كبلوسا شبه الجاه الكشك الضيق ثم تنز صوبه ولطيفه فتقذفه العروق الرقاق الشعرية الين رقة الشعر ويجذب الى الكبد فاذا ورد هذا الطيف الى الكبد اشتملت عليه يحمته فطبخته وقهضته واحالته الى جوهرها وصيرته دما ويسمى هذا الهضم الثاني ولما كان هذا الانصاج والطبخ يشبه طبخ القدر علاه شيء كازخوة وازيد وهو الصفراء ورسب منه شيء مثل العكر وهو السوداء وتختلف على مقام التضيغ شيء بقي على فبوجته وهو البائم والشيء الذي يصنى ويبقى من ذلك كله هو الدم فاندفع من الكبد في العروق الاعظم المعروف بالاحوف بعد ان تصفت عنه المائية الى آلة البول فيسلك هذا الدم في الاوردة المتشعبة من الجوف ثم في جداول متشعبة من الاوردة ثم في سواق متشعبة من الجداول ثم في روافع متشعبة السواق ثم في عروق رقاق شعرية ثم يرتفع من افواها في الاعضاء لتغذي به قسلة الاعضاء وتسير به بجوهرها فيصير في اللحم لحما وفي العظم عظما وفي العصب عسبا وفي الظفر ظفرا وفي الشعر شعرا وفي السمح والبصر وآلة الحس كذلك تبارك من هذا صنعه في قطرة من ماء ميعن

فصل في الدم هو المخلط الاصل والنفذ الحقيق للبدن والمخلف عليه بدل ما ينقص ويحلل منه والاخلط الاخر كالابازير والتوابل وهي صنفان صنف لطيف وهو دم القلب وغليظ وهو دم الكبد ومثله مثل السلطان اذا كان وقورا حليما ساكنا عاشت به رعيته واذا غضب واحتد قتل

فصل في اما البائم فخلط في مستعدين يستكمل لفضله عند حوز الغذاء اذا تولته الحرارة الغريزية فهضمته وصيرته دما فتكون في المعدة والامعاء وفي الكبد عند قصور الهضم وفيه من المنفعة انه يرطب البدن ويمل المفاصل لسلس حركاتها ويخالط الدم في تغذية الاعضاء البغمية المزاج كالدماغ فان قيل لما كانت الاعضاء محتاجة ان يكون قريبا منها لترطيبها لم يجعل له عضو يخصص به لاسيما والاعضاء تغذي به اذا اهرزها الغذاء

فصل في اما الصفراء فخلط لطيف حار وحاجة البدن اليها في ان تخالط الدم وترفعه بلطفها وتغذيه في المسالك الضيقة وتغذيه في تغذية الاعضاء الحارة اليابسة وما ينقص منها مما يستغنى عنه يتصنى الى الحرارة لتأخذ نصيبها منه وما تستغنى عنه الحرارة تصبه الى الامعاء ليضلها عن لطفها الاتفال وفروجتها وتلدع عضل المتعدة فيصالح الحاجة الى التبرز

فصل في اما المرارة السوداء فخلط بارد يابس وفيه من المنافع انه ينفذ مع الدم في العروق ليشد ويقويه ويكفيه ويسكه ويمنع من سهولة الحرارة عند الحاجة الى ذلك ويعينه على تغذية الاعضاء المحتاجة ان يكون في غذائها شيء من السوداء كالعظام وما اتصل منه واستغنى عنه يصنى الى الطحال فيصقه الطحال جدوا ويتغذى به ثم يحلب ما يستغنى عنه الطحال الى قم المعدة فيسدد عنه بالمحوضة التي فيه فتعرك الشهوة ويصحب بالجوع فطلب الاعضاء

القصد سوى معلومها وراثتها من الاعضاء التي تليها وتطلبه الاعضاء التي تليها من التي تجاورها وهكذا حتى ينتهي الطلب الى المدة فالجوع طلب الاعضاء القصد سوى معلومها من الاعمال الدنيا

فصل ﴿ ولما اقتضت حكمة الرب جل جلاله وتقدست اسمائه ولا اله غيره حيث كان بدن الانسان مشبها في احواله بالمدينة ان يوجد فيها اعضاء رئيسة تقوم بمصالحها كما تقوم رؤساء المدينة بمصالحها يكون لها بمنزلة الولاة والامراء واعضاء تكون خادمة لهذه الاعضاء الرئيسية فان الرئيس لا يكون رئيسا الا برؤس وهي بمنزلة الشرط والمعاورة والتقياد وان يوجد فيها اعضاء كالرعية وهي فسمان ماله اتصال بالرؤساء وان لم يكن له اتصال خدمة ومالا اتصال له بهم بل هو مستقل بنفسه فالاعضاء اذا بهذا التقسيم اربعة اقسام اعضاء الرئيسية الخادمة الاولى الاعضاء المروضة الخادمة الثالثة الاعضاء المروضة بلاخدمة الرابع الاعضاء التي ليست رئيسة ولا مروضة

فصل ﴿ والاعضاء الرئيسية انما استغنت الرياسة لشرفها اذ كانت هي الاصول والمعادن والمبادئ للقوى الاولى في البدن المضطر اليها في بقاء الشخص والنوع وهي بحسب بقاء الشخص ثلاثة القلب والكبد والدماغ وبحسب بقاء النوع اربعة الثلاثة المذكورة والاثنيان واما القلب فهو الذي جعله الخلاق العليم قائما بأمر البدن كقيام الملك بالرعية وهو اول عضو يتحرك في البدن وآخر عضو يسكن منه وهو مبدأ جميع الخلق وما يطبقه من صلاح او فساد يتأدى منه الى غيره من الاعضاء واما الكبد فهي العضو الذي يقوم لحفظ الحياة او كانت هي التي قلنا الاعضاء بالبقاء لبقاء البدن بحفظها ما يمكن بقاؤه واما الدماغ فهو العضو القائم بأمر الحس والادراك وتكميل الحياة اذ فيه آلات الاحساس التي بها يعرف النافع من الضار والملائم من المنافر صارت الحياة ناعمة صالحة متجاورة لزينة حياة النبات واما الاثنيان فهما اللذان يقومان لحفظ بقاء النوع

فصل ﴿ واما الاعضاء الخادمة فالرئة والشرابين الحاملة المؤدية من القلب الحرارة الفريزية والقوى والارواح الحيوانية التي بها قوام البدن فهذان خادمان القلب والمعدة والاوردة خادمان للكبد والاوردة تنقل الدم الناذي والقوى الى جميع البدن والكبد خادمة الدماغ وكذلك الاحصاب التي بها يحصل الحس والحركة والاثنيان يحضرهما الاعضاء المؤدية التي والجاري المؤدية عنهما الى موضع التوالد

فصل ﴿ واما الاعضاء المروضة بلاخدمة فهي اعضاء مختصة بقوى لها طبيعة بها تم تدبيرها ويستقيم أمرها ولا يدفع ذلك أن يقبض عليها من الاعضاء الرئيسية قوى عنها باذن الله تعالى كالاذن والعين والانف فكل واحد منهم يقوم بأمر تفسد ما فيه من القوة الطبيعية التي أعطاه الله الخالق سبحانه ولا يتم ذلك الا بأن تأتيها قوة حساسة تنزل عليها من الدماغ باذن الله تعالى

فصل ﴿ واما الاعضاء التي ليست برئيسة ولا مروضة فهي التي اختصت بقوى فريزية فيها من أصل الخلقة في أول التكوين ليتم بها -وامرأها وكثيرها في اجساد النساء ودفع المضار كالعظام والعضلات والاعضاء المتشابهة الاجزاء مثل الزباطات والاعصاب

والاوتار والشرابين والاوردة والاغشية والشم والعظام كالاساس والاسطوانات لبناء
هيكل البدن فان قيل هل في العظام قوة الاحساس وحياته أم لا قيل هذا موضع يختلف فيه
أرباب الشريعة فيما بينهم وأرباب الطبيعة فيما بينهم فقال طائفة لاهية في العظام وان كان
فيها قوة الفؤ والاختداء قالوا ان الحياة انما هي الروح الحيوانى ولا حظ للعظام فيه قالوا
ولان مركب الحياة انما هو الدم الميث في العروق والاعصاب والشم ولهذا يمكن للشم ولا يظفر
نصيب من ذلك ولهذا لم يألم الانسان بأخذه قالوا انما هي العظام والشم حياتغو واختذاه
وحياة اعضاء البدن حياتغو واحساس قالوا ولهذا قلنا ان العظام لا تنبسط بالموت ولانها
لم يكن فيها حياة تزول بالموت قالوا وزوال الفؤ لا يوجب نجاسة ما فارقته بديل ييس الزرع
والشجر قال آخرون الدليل على ان العظام تحمل الحياة قوله تعالى قال من يحيى العظام
وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والحس يدل على ذلك أيضا فان العظم يألم
ويضرب ويسكن وذلك نفس احسائه قالوا ولا يمكن انكار كون العظام فيها قوة حساسة
نفس بالبارد والحار قال الآخرون الاحساس والالم ليس للعظم في نفسه وانما هو لما جاوره
من اللحم قال المنزاعون لهم هذا تكرار ظاهرة فان العظم نفسه يألم ولا سيما اذا تصدع
ثم ان الانسان والاخراس نفس بالالم والحار والبارد بأنفسها لا يعساورها من اللحم
ولهذا توسط طائفة ثالثة وقالت عظام الانسان خاصة لها الاحساس بخلاف
سائر العظام وهى لاء قد سلموا المسئلة من مكان قريب فان الذى دل على احساس
الانسان وحياتها هو الدال على حياة سائر العظام والشبهة التى ذكروها لوصفت
لمنت من احساس الانسان واماديت الطهارة والنجاسة فذلك لامر آخر وروا الحياة
من نجسها بالموت سوى بينها وبين اللحم ومن لم ينفسها وهو الراجح في الدليل فذلك لعدم قلة
التنجيس فيها وان الموت ليس لمة النجاسة وانما هو دليل القوة وسببها والحق هو احتقان الفضلات
في اللحم والعظم يرى من ذلك والدليل على هذا ان الشارع لم يحكم بنجاسة الحيوان التام
الذى لانفسها لمة لعدم احتقان الفضلات فيه فقلنا يحكم بنجاسة العظم أولى وأحرى
قال الرطوبات التى في الذباب والعقرب والخنفساء اكثر من الرطوبات

فصل في الذى احصاه المشركون من العظام في البدن مائتان وخمسة واربعون عظما
سوى الصغار المحسيات التى أحكم بها مفاصل الاصابع التى في الخيمرة وقد أخبر النبي صلى
الله عليه وسلم أن الانسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلا فان كانت المفاصل هي العظام فقد
اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظام صغار لم تدخل تحت ضبطهم واحصائهم وان كان
المراد بالمفاصل المواضع التى تنفصل بها الاعضاء بعضها من بعض كما قال الجوهري وغيره
المفصل واحد مفاصل الاعضاء تلك أهم من العظام فتأمل وان السلايميات المذكورة في
الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن ذر يصعب على كل سلايمى من أحدكم
صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبيرة صدقة
الحديث فالسلايمى العظيم وجهه سلاميات فها ثلاثة امور اعضاء وعظام ومفاصل وجعل
الله سبحانه العظام اصلا شئ في البدن لتكون اسما وعلامة في البدن اذ كانت الاعضاء

كلها موضوعة على العظام حتى القلب كما سيأتي بسم الله ان شاء الله تعالى وهي حاملة
 للأعضاء والحامل اقوى من المحمول وتكون وقاية وجنة ايضا كالتصفيق وقاية
 الدماغ وعظام الصدر وقاية له وجعلت العظام كثيرة لقوائده ومنافع عديدة منها الحركة
 فان الانسان قد يحتاج الى حركة بعض اجزائه دون بعض وقد يحتاج الى حركة
 جزء من عضو ومنها انه لو كان على عظم واحد لكان اذا اراد ان يمشي يمشي بجملة ومنها
 انه كان يتمدح عليه الصانع والحل والربط ومنها انه اذا اصابه آفة تمتدحت جميع البدن فبجعلت
 العظام كثيرة ليكون متى نال بعضها آفة لم تضر الى غيره وقام غيره من العظام مقامه في
 تحصيل تلك المنفعة ومنها تعذر المنافع التي حصلت بسبب تعدد العظام ولولا كثرتها
 وتعدد هالفات تلك المنافع ومنها ان من العظام من يحتاج البدن الى كبيرة ومنها ما يحتاج
 الى صغيرة ومنها ما يحتاج الى مستطيلة ومنها ما يحتاج الى مجوفة ومنها ما يحتاج الى عريضة
 ومنها ما يحتاج الى مستقيمة ولا يحصل ذلك الا بتعدد العظام ومنها ما يبع الصنع وحسن التأليف
 والتركيب وغير ذلك من القوائد ثم شد الخالق بعضها الى بعض بالرباطات والاسر المحكم ثم
 كساها لحما حفظا لها ووقاية ثم كسى اللحم جلدا صونا له ولما كانت الفضلات تنقسم الى
 لطيفة وغلظة جعل الله سبحانه للغلظة منها مجاري فتجذب فيها الى اسفل ويخرج منها
 خروجا ظاهرا للحمس وأما اللطيفة فهي الفضلات الباردة فان من شأنها ان تصعد
 الى فوق وتخرج من البدن بالتحليل جعل في العظام العليا منها منافذ يقبل منها البخر
 المتصاعد فلو تكن تلك المنافذ محسوسة لئلا يصف صوان الدماغ وهو التصف بوصول
 الاجسام المؤذية اليه فيجعل الدماغ مركبة من عظام كثيرة ووصل بعضها ببعض بوصل
 يقال لها الشؤون ومنه قولهم فلان لم يجمع شؤون رأسه ويشتل الرأس بجملة اجزائه
 على تسعة وخمسين عظما وجعل التصف مستديرا تاما في مقدمه ومؤخره وجانبه بمنزلة
 خطاه القدر وعظامه ستة وهي عظم اليافوخ وعظم الجبهة وعظم مؤخر الرأس والعظام
 الاذن فيهما ثقب السمع وفي كل واحد من الصدغين عظمان مصححان وعظام الحسى الاعلى
 أربعة عشر عظما ستة منها في مجاز العينين واثنان للأنف واثنان تحت الانف وهما المنقويان
 الى الفم واثنان في الوجنتين واثنان تحت الشفة العليا وأما العظم الشبيه بالونج فهو واحد
 وهو كاقاعدة الرأس وعظام الحسى الاسفل اثنان وهما متصلان في وسط الذقن وبينهما
 بنيان ويصلان من فوق بالحسى الاعلى اتصالا مفصليا والاثنان اثنان وثلاثون في كل
 على ستة عشر ثنيات وتليها الرباعيات وتليها الثنائيات وتليهما الاضراس خمسة من هنا
 وخمسة من هنا والنواجز اول الاضراس وهما تاجدان في كل ناحية تاجد وربما قصص
 النواجز في بعض الافراد وكان في كل جانب اربعة اضراس وقد سلم الله غذاء الانسان
 الى يده فتأخذه قسلة الى شفتيه قسلة الشفتان منها قسلة الى الاثاب والتأيا فتصله ثم
 تسله الى الاضراس قسلة وتطحنه ثم تسله الى اللسان والفم فيعجنه ثم يسله الى الحلقوم
 والري فيسله ويوصله الى المعدة فتطبخه وتتخذه وتصله كما ينبغي ثم تسله الى الكبد
 فيسله منها ثم يرسله الى كل عضو رايه ومعلومه ثم تصب فريدة الصفراء في المراتة

السوداء في الطحال والثفل يخرجها عنها كاتقدم بيانه
 فصل ﴿ والراس يقال بالعموم على ما يقوله العنق بمحمله ويقال بالخصوص على الفروة
 وهي جلدة الراس حيث منبت الشعر والحجيمة العظم الذي يحوى الدماغ وهي مؤلفة من
 سبع قطع متعاقبة تسمى القبايل وتسمى مواضع التكاليف شؤونا ووسط الحجيمة يسمى
 الهامة وحدا الهامة من الجانبين قرن الراس وحدا الهامة من المقدم اليافوخ ومن المؤخر القصدوة
 وهي ما يصبب الارض من راس المستلق على ظهره ولها ثلاث حدود تقرة الفقار والقذالان
 منقرة القفاحدها من آخر الوسط والقذالان جانبيا القرة وقد تقدم تفصيل القبايل
 السبع وسنظهر الحجيمة عما يحيط بها السمحاق وسطها خشاوتان احدهما يلي الحجيمة وهو
 أفتحهما وأصلبهما والآخر يكشف الدماغ ويحيط به وبخالطه ويقال لكل منهما أم
 الدماغ ويسميان الامان ومنه الآمة والمأمومة التي فيها ثلث الدية وهي الجراحة التي تبلغ
 أم الدماغ ويقال لها تجويف في الدماغ بطن وهي ثلاث بطون وبين بطني الدماغ القذنين
 في مؤخره ووسطه مجرى فيه قطعة من الدماغ مستطيلة شبيهة بالدودة يسد ذلك المجرى
 وينفتح بها وتحت الدماغ سيلة مبسوطة مؤلفة من حروق ضوارب يتولد منها روح
 نفساني ينفذ الى البطنين القذنين في مقدم الدماغ وفي الدماغ البركة والحوض والقمع والدودة
 والبطون والاششية ومبادئ الاعصاب ويحتوى الدماغ على ثلاث خزائن تاذ بعضها
 الى بعض ويسمى بطونا فالاولى في مقدمه تنقسم الى قسمين والثانية في وسطه والثالثة في
 مؤخره وجوهر الدماغ معنى متزدد الشكل كأنه زرد يجوع والروح النفساني مثبت في
 خلل الزرد والدماغ مقسوم في طولها لنصفين متضامين والتصنيف في مقدم اظهر
 والفشا آن يدخلان في فصول الدماغ وتزريده والصلب منها يدخل بطونا بين جرزق
 البطن المقدم فيجوز بينهما وتحت مصفى كالبركة تسمى العصرة تصبب في العروق الدم
 المنضج وتثبت في جداول تسقى البطن المقدم وتجتمع الى عرقين كبيرين يحملان الدم الى
 البطن الاوسط والمؤخر والبطن الاوسط كدهليز ومنفذ بين المقدم والمؤخر وسقفه معقود
 كالازج والدماغ موضوع علولا على زائدين الفخذين متقاربان فيتمامان ويبقا حدان الى
 الانفراج فيفتح الدهليز ويترأى البطنان المقدم والمؤخر والجزء المؤخر أخفى تدويرا من المقدم
 وأصغر زردا وهو كرمي الاستطالة ويستند على التدريج حتى يسيل منه الضاع كالجدول من
 العين وفي الدماغ مجرى ان احدهما في آخر المقدم والمؤخر في الاوسط لدفع فضوله ويجمعان عند
 منفذ واحد عميق اولي في الفشاء الرقيق والآخر في الفشاء الصلب يأخذ الى ضيق كاتبع ولما كان
 الدماغ مبدأ حركات البدن الى ارادته لم يكن بحاجة الى الحركة القوية يحوط عليها بسور من
 عظام بخلاف المعدة والكبد والرحم وسائر آلات الفشاء فانها لما احتاجت أن تتسع وتقتل بالفشاء
 فعمل مرة بعد اخرى وان تقصر عن الفضول تقصر جوار العظم يمنع من ذلك ويكفي فيه الفضل
 وحده فأحيط عليه بسور من عظم وأما الصدر فانه لما احتاج الى الوثابة بالعظام والى
 الحركة بالفضل القلب الصدر منهما وكان البطن أوسع من الصدر لما يحق به من آلات الفشاء

والنفس واللسان والرئ وغيرها

فصل في مستقبل الآن النظر في نفسك من رأس وانظر الى المبدأ الاول وهو النطفة التي هي قطرة مهيئة ضعيفة لو تركت ساعة لبطت وفدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والزائب وكيف أوقع المحبة والالفة بين الذكور والاناث ثم قادها بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع ثم اسخرج النطفة من الذكر بحركة الواقع من اعلى العروق وجهها في الرحم في قرار يمكن لا تناله يد ولا تطلع عليه شمس ولا يصيبه هواء ثم صرف تلك النطفة طورا بعد طور طبقا بعد طبق وخذها بما جاء الحيض وكيف جعل سبحانه النطفة وهي يضاء مشرقة حلقة حراء ثم جعلها مضغة ثم قسم أجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والصروق والاوراق والسم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو كشف لك القطاء رأيت الخلط والتصوير يظهر في تلك النطفة شيئا بعد شي من غير أن ترى المصور ولا آتته ولا خلقه فهل رأيت مصورا لا نفس آتته ولا تلاقيا ثم تأمل هذه القبة الطيبة التي قد ركبت على التكبين وما أودع فيها من العجائب وماركب فيها من الخزائن وأودع في تلك الخزائن من المنافع وما شملت عليه هذه القبة من العظام المختلفة الاشكال والصفات والمنافع ومن الرطوبات والاعصاب والطرق والمجاري والدماغ والمنفذ والقوى الباطنة من الذكر والفكر والفضيل وقوة الحفظ فيه القوة المفكرة والذاكرة والمخيلة والحافظة وهذه القوى مودعة في خزائنها صغيرة لمصالحها يستعملها ويستخدمها كيف أراد فتأمل كيف دور سبحانه الرأس وشق سمعه وبصره وافته وقد وكيف ركب كريبه في بطن الام من ثلاثة وعشرين عظام وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة وتأمل كيف انقلبت تلك النطفة القبيحة الضعيفة الى العظام الصلبة الشديدة ثم تأمل كيف قدر سبحانه كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص بحيث حصل من مجموعها بطلت المنفعة وفات الغرض ثم ركب بعضها من بعض بحيث حصل من مجموعها كرامة الرأس على هذه الخلقة المخصوصة ولما كان الرأس اشرف الاعضاء الانسانية واجمعها لقوى والمنافع والآلات والخزائن اقتضت العناية الالهية بأن يحين بأ نواع من المصنعات وذلك أن الدماغ يحيطه غشاء رقيق وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق ثم فوق ذلك الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة العنقية الجلد ثم فوق الجلد الشعر فخلق سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلق فوق الارض سبع سموات طباقا والمقصود من تخليفها الاحفاظ في صون الدماغ من الاكاف والدماغ من الرأس بمنزلة القلب من البدن وهو سبحانه قسمه في طوله ثلاثة اقسام وجعل القسم الاقدم محل الحفظ والفضيل والبطن الاوسط محل التأمل والفكر والبطن الاخير محل التذكر والادب ترجيح لما كان قد نسيه ولكل واحدة من هذه الامور الثلاثة أمرهم للانسان لاجله منه وانه محتاج الى التفهم والتفهيم ولو لم يكن حافظا لمصالح التصورات وصورها بمدبريتها لكان اذا سمع كلمة وشعرها شذت عنه عند مجئ الاخرى فلم يحصل المقصود من التفهم والافهام فبطل له ربه وقطره خزائنه ففقد له صور المعلومات حتى يحقق له وتسمى القوة التي فيها القوة الحافظة ولا تتم مصلحة الانسان الا بمافاته اذا رأى شيئا ثم غاب عنه ثم رآه مرة أخرى عرف ان هذا الذي رآه الآن هو الذي

رآه قبل ذلك لانه في المرة الاولى يثبت صورته في الحفظ ثم توارى عنه بالجاب فلما رآه مرة
 ثانية صارت هذه الصورة المصورة مطابقة للصورة المنوية التي في الذهن فحصل الجزم
 بأن هذا ذلك ولولا القوة الحافظة لما حصل ذلك ولما عرف أحد أحاديثه عنه ولذلك
 اذا خالت القبة جدا وانحست تلك الصورة الاولى من الذهن بالكيفية يحصل له العلم بأن هذا
 هو الذي رآه أولا لا بعد تفكر وتأمل وقد قال قوم أن محل هذه الصور النفس وقال قوم
 محلها القلب وقال قوم محلها العقل واكمل فريق منهم حجاج وادلة وكل منهم أدرك شيئا وفاب
 عنه شيء اذا ادراك المذكور مفتقر الى مجموع ذلك لا يتم الا بهو التحقيق أن منشأ ذلك ومبده
 من القلب ولهايته ومستقره في الرأس وفي المسئلة التي اختلف فيها الفقهاء هل العقل في القلب
 أو في الدماغ على قولين حكيا ورايين عن الامام أحد والتحقيق أن اصله وملاذه من القلب
 وينتهي الى الدماغ قال تعالى أفل يسمعون والارض تشكون لهم قلوب يسلون بها وأذان
 يسمعون بها فيجعل العقل في القلب كما جعل السمع بالاذن والبصر بالعين وقال تعالى ان في ذلك
 لذكرى لمن كان له قلب ولم يدر من السلف لمن كان له عقل واخبر آخرون بأن الرجل
 يضرب في رأسه فيقول عنه ولولأن العقل في الرأس لما زال فان السمع والبصر لا يزولان
 بضرب البد أو الرجل ولا غيرهما من الاعضاء لمدى قتلتهما بهما وأجاب أرباب القلب عن
 هذا بأنه لا يتزعزع زواله بفساد الدماغ وان كان في القلب لابين القلب والرأس من الارتباط
 وهذا كما لا يتعجب بان شر الحية بقطع الاثني وفساد القوة بفساد العضو فذلك لانه
 محلها وارتباط به والله أعلم وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأداته وقدرته
 وحكمته كيف ترسم صورة السموات والارض والبصار والشمس والقمر والاقليم
 والمساكن والامم في هذا المحل الصغير والانسان يحفظ كتبها كثيرة جدا وعلمها مشقة
 متعددة وصنائع مختلفة فترسم كلها في هذا الجزء الصغير من غير أن يحفظ بعض هذه الصور
 بعض بل كل صورة منهم بنفسها محصاة في هذا المحل وأنت لو ذهبت نقش صور اوائه كالآلة
 كثيرة في محل صغير لا تخلط بعضها ببعض وتفسد بعضها بعضا وهذا الجزء الصغير نقش
 فيه الصور الكثيرة المختلفة والمضادة ولا يطل منها صورة ومن أعجب الاشياء أن هذه
 القوة العاقلة تقبل ما يؤيده اليها الخواص فتجتمع فيها ثم تعيد كل حاسة منها فاعلة الحاسة
 الاخرى مثاله أنك ترى التخصص تعلم أنه فلان وتسمع صوته تعلم أنه هو وتلمس الشيء
 تعرفه وتشمه تعرف أنه هو ثم تستدل بالجملة من صوته على أنه هو الذي رأيت فيخبرك
 سماع صوته عن رؤيته ويقوم لك مقام مشاهدته ولهذا يجوز استكثار الفقهاء
 شهادة الامم وبيعه وشراءه وأجهوا على جواز وطنه امرأته وهو لم يراها قط اعقادا
 منه على الصوت بل لو كانت خرساء أيضا وهو المرش بانه الوط . وقد جعل الله سبحانه
 بين السمع والبصر والتؤاد علاقة وارتباطا وتقوذا يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا
 يترن سبحانه بينهما كثيرا في كتابه كقوله ان السمع والبصر والتؤاد كل أولئك كان عنه
 مستولا وقوله تعالى وجعلناهم سمعا وابصارا وأشدته وقوله لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم
 آذان لا يسمعون بها وهذا من عنابة الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية لتقوم كل

حاجة منها مقام الحاسة الاخرى وتفيد فائدتها في الجملة لافي كل شيء ثم اودع سبحانه قوة التفكير وأمره باستعمالها فيما يمدى عليه النفع في الدنيا والآخرة فركب القوة المفكرة شيئين من الاشياء المحاضرة عند القوة الحافظة تر كيبا خاصا فيسولد من بين ذلك الشيئين شيء ثالث جدير لم يكن للعقل شعوره ولما كانت مواده عنده لكن بسبب التركيب حصل له الامر الثالث ومن هنا جعل استخراجه الصنيع والحرف والعلوم وبناء المدن والمساكن وامور الزراعة والفلاح وغير ذلك فلما استخرجت القوة المفكرة ذلك واستحسنه سلمته الى القوة الارادية العلية فنقلته من ديوان الازهان الى ديوان الاحسان فكان أمرا ذهنيا فصار وجوديا خارجيا ولولا الفكرة لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع المفاد وذلك من اعظم النعم وقام العناية الالهية ولهذا لما فقد الهائم والمجانين ونحوهم هذه القوة لم يتمكنوا بما تمكن منه ارباب الفكر ولما كان استخراجه المطلوب بهذه الطريق يتضمن فكرا وتقديرا فيفكر في استخراج المادة اولاهم بقدرها ويفصلها ثانيا كما يصنع الخياط بحصل الثوب ثم يقدره ويفصله ثانيا قال تعالى عن الوحيد ذرف ومن خلقت الى قوله انه فكرو وقد رققت كيف قدر فكرو سبحانه التقدير دون التفكير ودمه عليه دونوه وهذا منزل على مقتضى الحال سواء فانه بالتفكير طالب لاستخراج المجهول وذلك غير مذموم فلما استخرج قدره تقديرين تقدير اكلية وجزئيا بالتقدير الكلى ان الساحر هو الذي يفرق بين المرء وزوجه والتقدير الجزئي الذي يفرق بين المرء وزوجه فهو تقدير بعد تقدير فهذا كره سبحانه ودمه عليه وأما التفكير فان الفكر طالب لمعرفة الشيء فلا يلزم بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله الى تحقيق الباطل وابطال الحق فتأمله

❖ فصل ❖ ثم ازل الى العين وتأمل عجائبيها وشكلها وخلقها وايداع النور الباصر فيها وتركيبها من عشر طبقات وثلاث رطبوات وكل واحد من هذه الطبقات والرطبوات شكل مخصوص ومقدار مخصوص لو لم يكن عليه لاختلفت المصلحة المقصودة وجعل سبحانه موضعه الابصار في قدر العدة ثم أظهر في تلك العدة قدر السماء والارض والجبال والبحار والشمس والقمر فكيف انعمت تلك العدة ان يرسم فيها ما انصبها اليه البينة وجعل تلك القوة الباصرة في جزء اودود فتأمل كيف قام الباصر بهذا الجزء الاسود وجعل سبحانه الحديقة مصونة بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصلقها وتدفع الاقضاء عنها وجعل شعر الاجفان اسود ليكون سوادا سبيلا لاجتماع النور الذي به الابصار ويكون مانعا من تضرعه ويكون البلق في الحسن والجمال وخلق سبحانه تصرف الحديقة أربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة منهن لا تمل امر العين ولما كانت العين شيئا بالمرأة التي انما ينفع بها اذا كانت في غاية الصفاة والصفاء وجعل سبحانه الاجفان مضركة الى الاطباقي ابدأ باختيار الانسان وغير اختياره لتبقى الحديقة قبة صافية عن جميع الكدورات وجعل العينين بمنزلة المرأة بين الصليتين التي تنطبع فيهما صورة الاشياء الخارجة فيثاثر القلب ثم يظهر ما فيه عليهما فيثاثران فيهما امرأة لافي القلب يظهر فيهما وامرأة لافي الخارج تنطبع صورته فيهما فالبينان على القلب كازواجيتين الموضوحتين ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال

القلب من رضاه وفضله وحبه وبفضه وتفرته ومن أحبب الأشياء ان العين من أطف
أعضاء البدن وهي لا تأثر بالحرو والبرد تأثير غير هام من الأعضاء الكثيفة ولو كان الأمر حاداً إلى
بجرد الطبيعة كان ينبغي ان يكون الأمر بالعكس لان الألفط أسرع تأثير انهم ان حصول
هذه المصالح ليس هو بمجرد الطبع

❖ فصل ❖ ثم أعدل إلى الأذنين وتأمل شكلهما وخلقهما وابداع الرطوبة فيهما ليكونا
حونا على ادراك السمع وجعلهما رة لتفتح الهوام عن الدخول في لاذن وحولهما جهازان
بصدفتين يجمعان الصوت ويؤديانه إلى الصماخ وجعل في الصدفتين نوعين من
لتطبول المسافة فتكسر حدة الصوت وتلج الهوام دفعة بل تكثر حركاتها
فيثبته لها فيضربها وجعل العينين مقدمتين والأذنين مؤخرتين لان العينين بمنزلة
الطلبة والكاشف والرائد الذي يتقدم القوم يكشف لهم ويجزله السراج الذي يضي
للسالك ما أمامه وأما الأذان فيدركان المعاني الغائبة التي ترد على العبد من أمامه ومن خلفه
وعن جانبيه فكان جعلهما في الجانبين أعدل الأمور فسيبان من بهرت حكمته العقول وجعل
للعينين غطاء لان مدرك الأذن الاصوات ولا يبق لها فلو جعل عليهما غطاء زال الصوت
قبل ارتفاع الغطاء فزالت المنفعة المقصودة وأما مدرك العين فأمر ثابت والعين محتاجة
إلى غطاء يقيه وحصول الغطاء لا يؤثر في بعض الإدراك وقال بعض أهل العلم حيناً الإنسان
هاديان وإذا رسولان إلى قلبه ولسانه ترجان ويدها جناحان ورجلاه يريدان والقلب
ملك فأطاب الملك طابت جنوده وإذا خبت خبت جنوده

❖ فصل ❖ ثم نزل إلى الأنف وتأمل شكله وخلقه وكيف رطبه سبحانه في وسط
الوجه بأحسن شكل وقع فيه باين وأودع فيهما حاسة الشم وجعله آلة لاستنشاق
الهواء وإدراك الروائح على اختلافها فيشتق فيهما الهواء البارد والطيب فيستغنى بالمضرب
عن قمع الفم أبداً ولولاهما لاحتاج إلى قمع فيه دائماً وجعل تجويفه واسعاً ليحصر
فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول إلى الدماغ فان الهواء المستشقى ينقسم قسمين شطراً منه
وهو أكثره ينفذ إلى الرئة وشرطه أن ينفذ إلى الدماغ ولذلك بضر المزكوم استنشاق الهواء البارد
وجعل في الأنف أيضاً أمانة على تقطيع الحروف وجعل بين المضربين حاجزاً وذلك أبلغ
في حصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما أنفان بمنزلة العينين والأذنين واليدين والرجلين
وقد يصيب أحد المضربين آفة فيبقى الآخر سالماً وجعل تجويفه نازلاً إلى أسفل ليكون مصباً
لفضلات النازلة من الدماغ وستره بسائر أبدى ثلاثاً تبدو تلك الفضلات في عين الرائي
وتأمل منفعة النفس الذي لو قطع عن الإنسان لهـك وهو أربعة وعشرون ألف نفس
في اليوم واليلة فسط كل ساعة ألف نفس وتأمل كيف يدخل الهواء في المضرب فيكسر
برده هناك ثم يصل إلى الحلقوم فيعدل مزاجه ثم يصل إلى الرئة فيصفي فيها من الغلط والكدره
ثم يصل إلى القلب أصفى ما كان وأعدل فيروح عنه ثم ينفذ منه إلى العروق المتحركة وينتقل
إلى أقالص أطراف البدن ثم إذا سخن جداً وخرج عن حد الانقباض به حاد عن تلك الأقالص
إلى البدن ثم إلى الرئة ثم إلى الحلقوم ثم إلى المضربين ثم يخرج ويصود مثله هكذا أبداً فيجسود ذلك

هو النفس الواحد وقد أحصى الرب عدد هذه الانفس وجعل مقابل كل نفس منها ماشاء الله من الاحقاب في الجحيم أو في النعم فأسفد من أضاع ما هدته في غيره شي

فصل وهو سبحانه جعل القلب أمير البدن ومعدن الحرارة الغريزية فإذا استنشق الهواء البارد وصل الى القلب وحدثت حرارته فيبقى هناك مدة فعضن وأحرق واحتاج الى اخراجه ودفعه معه فلم يضيع أحكم الحاكمين ذلك النفس ويخرجه بغير فائدة بل جعل اخراجه سببا لحثوث الصوت ثم جعل سبحانه في الحنجرة والسان والحنك باخلاها الصوت فحدث الحرف ثم ألهم الانسان ان يركب ذلك الحرف الى مثله ونظيره فحدث الكلمة ثم ألهم تركيب تلك الكلمة الى مثله فحدث الكلام فتأمل هذه الحكم الباهرة في اتصال النفس الى القلب لحفظ حياته ثم عند الحاجة الى اخراجه والاستغناء عنه جعله سببا لهذه المنفعة العظيمة تبارك الله أحسن الخالقين وخلق سبحانه هذه المقاطع والخارج مختلفة الاشكال فكما لا تشابه صورتان من كل وجه بل كما يحصل الامتياز بين الأشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل بالقوة السامعة **فصل** الامتياز للامعي والبصير

فصل ثم انزل الى الصدر ترى معدن العلم والحلم والوقار والسكينة والبر وأضدادها فبعد صدور العلية على بالبر والخير والعلم والاحسان وصدور السفلة على بالخبور والشرور والامانة والحسد والمكر ثم اتخذ من ماحة الصدر الى مشاهدة القلب نهد ملكا عظيما جالسا على سرير مملكته يأمر وينهى ويؤلى ويعزل وقد حنف بالامراء والسو زراء والجند كاهن في خدمته ان استقام استقاموا وان زاغ زاغوا وان صغ صغوا وان فسد فسدوا عليه العول وهو محل نظر الرب تعالى ومحل معرفته ومحبه وخشيته والتوكل عليه والابانة اليه والرضى به وعنه والعبودية عليه اولاهل رعيته وجنده تبعه فأشرف ماني الانسان قلبه فهو العالم بالله السامع اليه المحب له وله محل الايمان والعراق وهو مخاطب المبعوث اليه المرسل المخصوص بأشرف العطايا وهو الايمان والعقل واما الجوارح اتباع نية قلب يستخدمها استخدام الملوك لمبيدوا رايه فرعيته والذي يصرى الى الجوارح من الطامات والمعاصي انقاهى آثاره فان اظلمت الجوارح وان استنار استنارت ومع هذا فهو بين أصعبين من اصابع الرحمن عز وجل فسيحان مقلب القلوب ومودعها ما يبقاه من أسرار القيوب الذي يحول بين البره وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه معصرف القلوب كيف ارادو حيث اراد أو حى الى قلوب الاولياء ان أتقى الى قيادرت وقامت بين يدي رب العالمين وكره عز وجل اتبعات آخرين قطبهم وقبل اقتصدوا مع القواعد كانت اكثرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاومقلب القلوب وكان من دعاة الهم بامقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك قال بعض السلف مقلب قلب أشد قلبا من القدر اذا استجيمت غلباتها وقال آخر القلب اشد قلبا من الرتبة بأرض فلات في يوم ربح ماصف ويطلق القلب على معينين أحدهما امر حسي وهو المصو المسمى الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم اسود وهو منبع الروح والثاني امر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا المصو تعلق اختصام تلك اللطيفة هي حقيقة الانسانية وقلب جندان

جنديري بالابصار وجنديري بالبصار فأما جنده المساعدة فالاعضاء الظاهرة والباطنة
 وخلقته خادمة له لاستطيع له خلافا فإذا أمر العين بالانتحاح انقضت وإذا أمر اللسان بالكلام
 تكلم وإذا أمر اليد بدبشت وإذا أمر الرجل سعت وكذا جميع الاعضاء فخلقته تذيلا ولما خلق
 القلب فسفر الى الله والدار الآخرة وجعل في هذا العالم ليتزود منه اعتزال الركب والازاد
 لسفره الذي خلقه لاجله فأعين بالاعضاء والقوى وصرفت له وأقيمت له في خدمته فخلق له
 ما يوقه من الغذاء والمنافع ويدفع عنه ما يضره ويهلكه فاعتزل جندين باطن وهو الإرادة
 والشهوة والقوى وظاهر وهو الاعضاء فخلق في القلب من الارادات والشهوات ما احتاج
 اليه وخلق له الاعضاء التي هي آلة الارادة واحتاج لدفع المضار الى جندين باطن وهو
 الغضب الذي يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو الاعضاء التي ينفذ بها غضبه
 كالاسلحة لقتال ولا ينفذ ذلك الا بحرصه بما يجلب وما يدفع فأعين الجند من العلم يكشف له حق
 ما ينفعه وما يضره ولا سلطت عليه الشهوة والغضب والشيطان اعين بجند من الملائكة
 وجعل له محل من الخلال ينفذ فيه شهوته وجعل بازاء اعداءه ينفذ بهن غضبه فما ابتلى
 بصفة من الصفات الا وجعل له مصرف ومحل تنفذها فيه فبجمل لقوة الجسد فيه مصروف
 المنافسة في فعل الخير والقبطة عليه والمساواة اليه والقوة الكبر والتكبر على اعداء الله تعالى
 واهانتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه يتخيل بين الصفيين في الحرب انه المشية
 يفضها الله الا في هذا الموطن وقد أمر الله سبحانه بالقنطة على اعدائه وجعل لقوة الحرس مصرفا
 وهو الحرس على ما ينفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم احرس على ما ينفعك ولقوة
 الشهوة مصرفا وهو الزوج بأربع والتسرى بأشياء ولقوة حب المال مصرفا
 وهو اتفاقه في مرضاته والسرود منه لمعاده فحبة المال على هذا الوجه لا تدم
 ولحبة الجاه مصرفا وهو استمالة في تنفيذ أوامره وإقامة دينه وقصر المعلوم وإغاثة
 الملهوف وإغاثة الضعيف وقمع اعداء الله فحبة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة
 وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفا وهو لهوه مع امرأته او بقومه واسهمه او نأديه فرسه
 وكل ما أمان على الحسنى وجعل لقوة الغييل والمكر فيه مصرفا وهو الغييل على عدوه
 وعد الله تعالى بأنواع الغييل حتى يراغمه ويرده خائسا ويستعمل منه من انواع المكر
 ما يستعمله عدوه معه وهكذا جميع القوى التي ركبت فيه مصرفا وهو الغييل على
 عدوه احد امها وقد ركبها الله فيه لمصالح اقتضتها حكمته ولا يطلب تعطيلها وانما تصرف
 بما ربيها من محل الى محل ومن موضع الى موضع ومن تأمل هذا الموضع وثقته فيه حل
 شدة الحاجة اليه وعظم الانتفاع به

فصل في وجع الطرق والابواب التي يسان منها القلب وجنوده اربعة فن ضبطها
 وهداها وأصلح مجاريها وصرفها في محالها الثلاثة بها جوارحه ولم يثبت به عدوه وهي
 الحرس والشهوة والغضب والجسد فهذه الاربعة هي اصول مجامع طرق الشر والخير وكما
 هي طرق الى العذاب السرمدي فهي طرق الى النعيم الابدی فأدبوا البشر صلى الله عليه وسلم
 أخرج من الجدة بالحرس ثم أدخل اليها بالحرس ولكن فرق بين حرصه الاول وحرصه

التاسي وأبو الجن أخرج منها بالحسد ثم لم يوفق لمنافسة وحسد بعيدة اليهود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا وسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم بما فيه الهل وأطراف النهار وأما الغضب فهو دخول العقل يشغله كابتغال الذنب الشاؤ أعظم ما يفرسه الشيطان عند غضبه وشهوته وإذا كان حرصه على ما ينفعه وحسده منافسة في الخير وغضبه لله على أعدائه وشهوته يستعمله فيما أبغى له وهو ناله على ما أمر به لم تضربه هذه الاربعة بل انتفع بها أعظم الانتفاع

فصل وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أوجب العيائب فهذا يلزم مرة وهذا يلزم مرة فإذا ألم به الملك حدث من له الانتفاس والانشراح والنور والرحمة والاخلاص والناية ومحبة الله وإثاره على ما سواه وقصر الامل والبصيرة عن دار البلاء والامتحان والغرور فلو دامت له تلك الحالة لكان في أمان عيش وأذنه وأبصاره ولكن تأتبه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهلم والتم والخوف والحبط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وما جعلها والفلة من الله ما هو من أعظم عذاب القلب ثم لناس في هذه المحبة مراتب لا يحصيها الا الله فمن من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الالم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب فيدار الى تلك الهمة ولا يدعهما تسخك فصبغ تدار كما هو فدايمين التمتين يدال مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة تقوى ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى فلا يزال يقلب لمة الملك حتى تسخك ويصير الحكم لها فيؤت القلب ولا يحسن ماله للشيطان مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن بكر الشهوة والغلبة جيب منه الاحساس بذلك المعنى فإذا كشف امكنه تدارك هذه الدوا وحسنه وان ماذا انطاع ماذا الامر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والغموم والاحزان وهي لم تجددها وانما كانت كامنات تواربها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتجددها ضعافه

فصل والشيطان يلزم القلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي توجان صفات وارادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستعمل امره ووجد موطنه مقرا فتأني الاذكار والدعوات والتعوذات لحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لان مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات وحمل على الظهور منها والاختزال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولما من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوى لمة الملك فتأني الاذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء وإذا أرادت لذلك مثلا مطا بقا فثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم او خبز وهو يتأملك ويراك لتقاومه وهو أقرب منك فانت تزجره وتصح عليه وهو يأبى الا القوم عليك والقارة على ما بين يديك فالاذكار بمنزلة الصباح عليه والزجر له ولكن معلومه ومراده عندك وقد قرنته عليك فاذالم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك فواك أقوى منه فانت تزجره ويصبح عليه فيذهب وكذلك القلب انخلى من قوة الشيطان يتزجر بمجرد الذكر واما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبة وموطنة فبقي الذكر في حراسها وجوانبها ولا يقوى على اخراج العدو ومصادق

ذلك مجده في الصلاة فتأمل الحال وانظر هل تخرج الصلاة اذكراها وقرأتها الشيطان من قلبك وتفرغته كله لله تعالى بكلية وتقدمين يدي ربه مقبلا بكلية عليه يصل الله تعالى كأنه يراه قد اجتمع همه كله على الله وصار ذكره ومراقبته ومحبه والانسان في عمل الخواطر والوسوسات أم لا والله المستعان وههنا تكتفي بنفي النطق لها وهي ان القلوب المتأثرة بالاخلط الرديئة والعبادات والأذكار والتعوذات أدوية تلك الاخلط كما يشير الدواء اخلط البدن فان كان قبل الدواء وبعد حية لم يزد الدواء على اثره وان ازال منه شيئا مما تدار الامر على شيئين الحمية واستعمال الادوية

فصل في أول ما يطرئ القلب الخطرة فان دفعها استراح عما بعدها وان لم يدفعها قويت فصارت وسوسة فكان دفعها أصعب فان يادر ودفعها والاقويت وصارت شهوة فان عاجلها والا صارت ارادة فان عاجلها والا صارت عزيمة ومتى وصلت الى هذه الحال لم يمكن دفعها واقترب بها الفعل ولا يد وما يقدر عليه مرة مقدماته وحينئذ ينتقل العلاج الى أقوى الادوية وهو الاستفراغ التام بالنوبة الصوح ولا ريب ان دفع مبادئ هذا الداء من أوله وبين استفراغه بعد حصوله وساعد القدر وأعان التوفيق ان الدفع أولى به وان تأملت النفس بفارقة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الاخس المقطع السكك المشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الاعظم الدائم الذي لانسبة لهذا المحبوب اليه أئنة لافي قدره ولا في تناسله وليوازن بين ألم فوته وبين ألم فوات المحبوب الاخس وليوازن بين لذة الانابة والاقبال على الله تعالى والتشم بحبه وذكره وطاعته ولذة الاقبال على الرذائل والاثان والقبايح وليوازن بين لذة الظفر بالذنب ولذة الظفر بالعدو وبين لذة الذنب ولذة العفة ولذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو وبين لذة الذنب ولذة ارغام عدوه وردة خامسا ذليلا وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينه وبين مراده فوته ومراده فوت ثناء الله تعالى وملائكته عليه وفوت حسن جزائه وجزيل ثوابه وبين فرحة ادراكه وفرحة تركه لله تعالى عاجلا وفرحة ما يئنه عليه في دنياه وآخرته والله المستعان وهذا فصل جبره الكلام في قبوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون أشرتنا اليه اشارة ولو استغفيناها لاستدعى عدة أمقار ولكن فيأذ كرهنا تبيه على ما تركناه وبالله التوفيق

فصل في الرجوع الى القصور ثم قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أما الرزق ففسر بالمطر وفسر الجنة وفسر رزق الدنيا والآخرة ولا ريب ان المطر من الرحمة وان الجنة مستقر الرحمة فرزق الدارين في السماء التي هي العلو وقوله تعالى وما توعدون قال عطاء مرضى الله عنه من الثواب والعقاب وقال الكلبي من الخير والشر وقال مجاهد الجنة والنار وقال ابن سيرين من امر الساعة قلت كون الجنة والخير في السماء فلا شك في ذلك وكون النار في السماء وما يوعدون به اهلها يحتاج الى تبين فاذا نظرت الى اسباب الخير والشر واسباب دخول الجنة والنار وافترق الناس وانقسامهم الى شقي وسعيد وجدت ذلك كله بقضاء الله وقدره النازل من السماء وذلك كله مثبت في السماء في صحف الملائكة وفي افواح المهنوظ قبل العمل وبعدة قال امر كله من السماء وقول من قال امر الساعة يكشف عن هذا المعنى

فان امر الساعة يأتي من السماء وهو الموعود بها فاجلته والنار النارية التي لاجلها قامت
الساعة فصيح كل ما قال السلف في ذلك والله اعلم
فصل ثم قسم سبحانه اعظم قسم بأعظم قسم به على اجل مقسم عليه واكد الاخبار
بهذا قسم ثم اكد بتشبيهه بالامر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة مقال فوردب السماء
والارض انه خلق مثل ما انكم تنطقون قال ابن عباس رضي الله عنها يريد انه خلق واقمع
كما انكم تنطقون قال الفراء انه خلق كما ان الآدمي ناطق قال الزجاج هذا كما تقول في الكلام
ان هذا خلق كما انك ههنا قلت وفي الحديث انه خلق كما انك ههنا فشيء سبحانه تحقيق
ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده والواحد منا يعرف الناطق ضرورة ولا
يحتاج الى نظرية استدلال على وجوده ولا يتخلل شك في أنه ناطق فكذلك ما أخبر الله عنه
من امر التوحيد والتبوة والمعاد واسمائه وصفاته حتى ثابت في نفس الامر يشبه بثبوت
نطقكم ووجوده وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم يقول أحدهم هذا حق مثل الشمس
وافصح الشارح من هذا بقوله

وليس يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج التمار الى دليل

وههنا امر ينبغي التفتن له وهو ان الرب تعالى شهد بحقيقة ما أخبر به وهو صدق الصادقين
واقسم عليه وهو ابرار المسبحين واكد بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه واقام عليه
من الأدلة العينية والبرهانية ما جعله معانيما شاهداً باليسار وان لم يباين بالابصار ومع ذلك
فاكثر النفوس في غفلة عنه لا تستدله ولا تأخذ له أهبة والمستدله الاخذ له أهبة لا يعطيه
حقه منهم الا الفرد بعد الفرد ما كثر الخلق لا ينظرون في المراد من ايجادهم واخراجهم الى
هذه الدار ولا يفكرون في فلة مقامهم في دار الفرود ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها والى ابن
يرحلون وابن يستقرون قد ملكهم الحس وقيل نصيبهم من العقل وعلتهم الفلة وخرتهم
الاماني التي هي كالسراب وخدمهم طول الامل وكأن المقيم لا يرسل وكأما أحدهم لا يبعث
ولا يستل وكان مع كل مقيم توقع من الله لفلان ابن فلان بالامان من عذابه والفوز بجوزل ثوابه
فأما في المذات الحسية والشهوات النسبية كيف ما حصلت حصلوا من أي وجه لا احتأذوها
غافلين عن المطالبة آتئين من العاقبة يسمون لما يدركون ويتركون ما هم بمطالبون ويعبرون
ما هم منه متفلقون ويخربون ما هم اليه صارتون وهم من الآخرة هم غافلون انهم شهوات
نفسهم فلا ينظرون في مصالحها ولا يأخذون في جعز ادها في سفرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم
اولئك هم الفاسقون والعجب كل العجب من غفلة من تعد عليه لحظاته ونحصى عليه انقاسه
ومطاييل الليل والنهار ترمح به ولا يفكر الى ابن يحمل ولا الى اي منزل ينقل
وكيف تنام العين وهي قريبة * ولم تدر في أي الحنين تنزل

واذا نزل بأحدهم الموت قلبي لغراب ذائه وذهاب لذائه لا لما سبق من جنائمه ولا لسوء منتقبه
بعد مجاته فان خطرته على أحدهم خطرة من ذلك اعتد الضمور الرجعة وكان يتيقن أن ذلك
نصيبه ولا بد فلو أن العاقل أحضر ذنوبه ما استحضر عاقبته وما يشكر مواعين النظر وتأمل الآيات
لنهم المراد من ايجادهم ونظرت عين الراحل الى الطريق ولاخذ المسافر في الزود والمرض في

التدوى والحازم بعد ما يجوز أن يأتي قال الظن بأمر متيقن كأنه لصدق إيمانهم وقوة إيمانهم وكانهم يماينون الأمر فاضحت ربوب الإيمان من أهلها حالية ومعاله على عروشها خارية قال ابن وهب أخبرني مسلم بن علي عن الأوزاعي قال كان السلف إذا صدع الجبر أو قبله كأنما على رؤسهم الطير متبلين على أنفسهم حتى لو أن حيا لاحدهم غاب عنه حينئذ لم يقدموا التفت إليه فلا يزالون كذلك إلى طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيقتلون بأول ما يقتضون فيه أمر معادهم ومهم صارتون اليهم ثم يأخذون في الفقه

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ والقرآن الحبيب ﴾ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب الصحيح أنق و من بمنزلة سم والموطس تلك حروف مقدرة وهذه متعددة وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما فيها قبل وهننا نقد المفسر به والمقسم عليه وهو القرآن فأقسم بالقرآن على شيوته وصدقته وأنه حق من عنده وذلك حذف الجواب ولم يصرح به لاسيما في القسم من الدلالة عليه ولأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم يسأله ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب بل بالإنبياء أن يقع سواء كما قال سبحانه إن تلك آيات الكتاب الحكيم كان لئلا عجبنا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق عند ربهم فأى عجب من هذا حتى يقول الكافرون إن هذا لصبر مبين وكيف يتعجب من رحمة الخالق عباده وهدايته وانعامه عليهم بتعريفهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بل بطريق الخير والشر ومهم صارتون إليه بعد الموت وأمرهم ونهيهم حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبة ما جاء به إلى الصبر لولا غاية الجهل والظلم بالعجب كل العجب قوله وتكذيبهم كما قال تعالى وإن تعجب فاعجب قوله

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك حم والكتاب المبين وقوله ص والقرآن ذي الذكر وقوله يس والقرآن الحكيم المثلث المرسلين والصحيح أن يس بمنزلة حم والم لم يست اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأقسم سبحانه بكتبه على صدق رسوله وصحة نبوته ورسالته فقال كبر المقسم به والمقسم عليه وقوله تعالى على صراط مستقيم وجوز فيه ثلاثة أن يكون خبرا بغير خبر فأكبر عنه بأنه رسوله وأنه على صراط مستقيم وإن يكون متعلقا بالخبر نفسه على القول بعامه أي أرسلت على صراط وهذا يحتاج إلى بيان تقديره المصولين على صراط مستقيم وكونه من المرسلين مستلزم لذلك فامتنع من ذكره

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى والصافات صفا أقسم سبحانه بثلاث ثكنة الصافات للعبودية بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تصفون الأول وتراصون في الصف وكما قالوا عن أنفسهم وأنهم الصافات والملائكة الصافات اجتمعت في الهواء وأجازت الملائكة التي تزجر الصافات وغيره بأمر الله قالت ليات التي تلو للكلام الله وقيل الصافات الطير كما قال تعالى أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقضن وقال تعالى والطير صافات وأجازت الآيات والكلمات أجازت عن معاصي الله والتاليات الجامعة لكتاب الله تعالى وقيل الصافات للقتال في سبيله فازجر الخيل العمل على أعدائه قالت ليات الذي كذب به عند ملاقاته عدوه وقيل

الجماعات الصافات أبدانها في الصلاة الزاجرات انفسها عن معاصي الله فالتاليات آياته والفظ يحتمل ذلك كله وان كان احق من دخل فيه واول الملائكة فان الاقسام كالدليل والآية على صفة ما قسم عليه من التوحيد وما ذكر غير الملائكة فهو من آثار الملائكة وبواسطتها كان واقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته والهيته وقرر توحيد ربوبيته فقال ان الهكم لو احد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق من اعظم الادلة على انه اله واحد ولو كان معه اله آخر لكان اله مشاركاله في ربوبيته كما شاركه في الهيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه قاعدة القرآن بقرر توحيد الالهية بتوحيد الربوبية فيقرر كونه معبودا وحده بكونه خافيا رازقا وحده وخص المشارق ههنا بالذ كراما لئلا يلا على المقارب اذا الامر ان المتضايان كل منهما يتلزم الآخر وما لا يكون المشارق مطلع الكواكب ومظاهر الانوار واما توطئة ما ذكر بعد هاهنا من تزيين السماء بزيينة الكواكب وجعلها حفظا من كل شيطان فذكر المشارق انسب بهذا المعنى واليق والله تعالى أعلم

فصل ١٠ ومن ذلك قوله في قصة لوط عليه السلام ومراجهته قومه له قالوا اولم تنكح من العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلمين لعمر ك انهم انى سكرتهم يعمهون اكثر الفسرين من السلف والمخلف بل لا يعرف السلف فيه زنا ما ان هذا قسم من الله لله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا من اعظم فضائله ان يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوافق الزمخشري ذلك فنصرف القسم الى انه بحياة لوط وانه من قول الملائكة فقال هو على ارادة القول أى قالت الملائكة لوط عليه الصلاة والسلام لعمر ك انهم انى سكرتهم يعمهون وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الآخرين بل ظاهر اللفظ وصياقه انما يدل على ما فهم

السلف اخطب لاهل التمثيل والاعتزال قال ابن عباس رضى الله عنهما لعمر ك اى وحياتك قال وما أقسم الله تعالى بحياة نبي غيره والعمر والعمر واحد لانهم خصوا القسم بالفتوح لاثبات الاخف لكثرة دور الخلف على ألسنتهم وايضا فان العمر حياة مخصوصة فهو عمر شريف عظيم أهل ان يقسم لمزيتة على كل عمر من أعمار بنى آدم ولا ريب ان عمره وحياته من اعظم النعم والآيات فهو اهل ان يقسم به والقسم به اولى من القسم بشيء من المخلوقات وقوله تعالى يعمهون اى يعمرون وانما وصف الله سبحانه القوطية بالسكرة لان العشق سكرة مثل سكرة الخمر وأنشد كما قال القائل

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران

فصل ١١ ومن ذلك قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اقسام سبحانه بنفسه القدسة فتماما كذا بالتى قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الاصول والفروع واحكام الشروع واحكام المعاد وما سائر الصفات وغير هاولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التكليم حتى يتشقى عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتفسخ له كل الانساح وقبله كل القبول ولم يثبت لهم الايمان بذلك ايضا حتى ينضاف اليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض فهنا قد يصحكم الرجل

غيره وعنده خرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم فلا يلزم من التسليم انتفاء الحرج اذ قد يحكم الرجل غيره وعنده خرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والاشقياء اذ قد يحكمه وينتفى الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه والتسليم أخص من انتفاء الحرج فالخرج مانع والتسليم امر وجودي ولا يلزم من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه اذ قد ينتفى الحرج ويبقى القلب غارفا منه ومن الرضى والتسليم فتأمله وعنده هذا يعلم ان الرب تبارك وتعالى اقم على انتفاء ايمان اكثر الخلق وعند الامتحان تعلم مثل هذه الامور الثلاثة موجودة في قلب اكثر من يدعي الاسلام ام لا والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آخره وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ يقول الراجي من ربه حصول الاماني عبد الحميد الفردوسي المكي الافغانى غفر الله له ﴾

﴿ ولوالديه والسيدين واحسن اليهما واليه واليهين ﴾

قد تم بحمد الله الرحمن طبع كتاب التبيان في اقسام القرآن تأليف العلامة الحبر البصر القهامة صاحب التأليف العديدة والنقاير المفيدة شمس الدين محمد بن ابى بكر الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية وهو لعمري كتاب مفيد جرى الطبع ليم تفيد كل مستفيد في الطبعة المبررة الكاشفة لكافة المحمبة في ظل السلطان العظيم والناقدان المعظم السلطان ابن السلطان الملك المظفر المعان المفوظ بالقرآن العظيم والسبع المثاني مولانا السلطان المزي ﴿ عبد الحميد ﴾ خان الثاني اللهم انصره نصره نصرة الدين وتميزه وعدو كان حقا علينا فصرنا المؤمنين واحفظ اشباله الكرام ووفق عاله ووزراؤه وعلماءه انضمام لكل خير آمين بحمد النبي الامين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وكان ختام الطبع في الثالث

من شهر جادى الاولى من عام الواحد والعشرين والثلاثة والالف

من هجرة من خلقه الله على اكل وصف صلى الله عليه

وعلى آله ما طاف بالبيت العتيق طائف

ووقف بمسرفة واقف

آمين



صفحة	صفحة
٤٨ فصل ومن ذلك قوله تعالى والتزامات حرقاً	٣ فصل اذا عرف هذا الخ
٥٢ فصل ومن ذلك قوله تعالى والمرسلات حرقاً الخ	٤ فصل واقسم على صفة الانسان الخ
٥٣ فصل ومن ذلك قوله تعالى لا اقسم يوم القيامة الخ	٦ فصل ومن ذلك قوله لا اقسم الخ
٥٧ فصل ومن أسرار هذه السورة أنه سبحانه جمع فيها لا ولياً له الخ	٧ فصل ومن ذلك قوله تعالى والشمس الخ
٥٧ فصل ومن أسرارها انها تضمنت اثبات قدرة الرب الخ	٨ فصل وذكر في هذه السورة محمود الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها انها تضمنت التأييد والثبوت في تلقي العلم الخ	١٠ فصل ومن ذلك قوله تعالى والفجر الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها أن اثبات النبوة والمعاد يعلم بالعلم الخ	١٢ فصل وأما سورة لا اقسم بهذا البلد الخ
٥٩ فصل ومن ذلك قوله تعالى كلا والفرج والابل اذا دبر الخ	١٦ فصل ومن ذلك اقسامه بالتين الخ
٦١ فصل واقسم سبحانه بالابل اذا دبر الخ	٢٠ فصل ومن ذلك قسمه تعالى بالليل الخ
٦٢ فصل واقسم سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة الخ	٢٥ فصل ثم قال تعالى ان علينا هدى الخ
٦٣ فصل ومن ذلك قوله لا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون الخ	٢٦ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالضحى الخ
٦٥ فصل الامر الدال ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين الخ	٢٨ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالعاديات الخ
٧٠ فصل ومن ذلك قوله عز وجل فلا اقسم برب المشارق الخ	٢٩ فصل فهذا شأن القسم وأما شأن المقسم عليه فهو حال الانسان الخ
٧١ فصل وقد وقع الاخبار عن قدرته عليه سبحانه على تبديله الخ	٣٠ فصل ومفعول العلم ان علمت فيه الخ
٧٣ فصل فلا أقام عليهم الجدة وقطع المذرة الخ	٣٠ فصل ومن ذلك اقسامه بالعصر الخ
٧٤ فصل ومن ذلك قوله تعالى والفرج وما يسطرون الخ	٣٢ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماء ذات البروج الخ
٧٥ فصل ثم اقسم سبحانه بالفرج وما يسطرون الخ	٣٦ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماء والطارق الخ
٧٥ فصل والاقلام متفاوتة في الرتب الخ	٣٧ فصل والمقسم عليه ههنا حال النفس الانسانية الخ
٧٥ فصل القلم الثاني قلم الوحي الخ	٤٠ فصل ومن ذلك اقسامه بالشقق والليل وما وسق الخ
٧٦ فصل والقلم الثالث قلم التوقيع من الله ورسوله الخ	٤١ فصل وقوله لتركبن طبقاً عن طبق الظاهر أنه جواب القسم الخ
	٤٢ فصل ومن ذلك قوله سبحانه فلا اقسم بالخنس الخ
	٤٣ فصل واختلف في صفة ابل الخ
	٤٤ فصل ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القرآن الخ
	٤٦ فصل ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر لعالمين الخ

